

سيرة الحسين
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ

المركز الإسلامي للدراسات

لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أول حي ماضي

بناية حجازي - ط 1 - تلفاكس: 00961.1.274519

البريد الإلكتروني: alhadi@alhadi.org



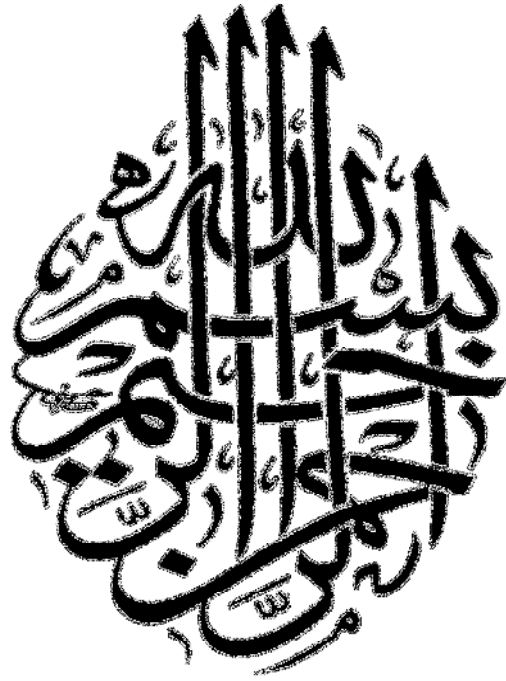
المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

سيرة الحسين
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

المجلد الحادي والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات



الفصل الثالث

هل كان الحر مرتدا؟!...

الأسد الذي هو علي x:

وذكرت رواية أخرى ما خلاصته: أن رجلاً من بني أسد، أتى إلى ساحة المعركة في كربلاء، بعد ارتحال عمر بن سعد، فشاهد من تلك الأجساد أنواراً ساطعة، وأرواحاً طيبة، ورأى أسداً هائل المنظر، يتخطى تلك الجثث حتى وصل إلى جسد الحسين «عليه السلام»، فتمرغ بدمه، وله همهمة وصياح، فدهش ذلك الأسدي.

وعند انتصاف الليل رأى شموعاً مسرجة، ملأت الأرض، وبكاءً وعويلًا مفاجئاً..

وعلم أن هؤلاء نساء الجن، وأن الأسد هو علي بن أبي طالب^(١). وفي الرواية أمور أخرى لا حاجة إلى ذكرها.

ونقول:

لا نريد أن نناقش هذه الرواية بالتفصيل، ونكتفي بطرح سؤال

(١) راجع: مدينة المعاجز ج ٤ ص ٧٠ و ٧١ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٩٣ و ١٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٥١٢.

واحد عن سبب ظهور الإمام علي «عليه السلام» في صورة أسد هائل المنظر!! ألم يكن ظهوره بصورة رجل متتكر، أو ملثم هو الأنسب بمقامه؟!

ولنا أن نسأل أيضاً عن سبب تمرّغه بدم الحسين «عليه السلام»!!

وعن أنه إذا كان هناك بكاء وعويل مفجع، وكانت هناك شموع ملأت الأرض، هل يعقل أن لا يكون قد رآها، ولا رواها إلا رجل واحد من بني أسد، مع أن المفروض أن تكون المنطقة مأهولة؟! إلا إذا فرض أن ذلك الأسدي كان وحده يسكن في تلك الأرض الواسعة، التي يحتاج فيها إلى الأمن، وإلى المعونة، وغير ذلك.

وعلى كل حال.. فإن كتاب مدينة المعاجز قد اشتمل الجزء الرابع منه على أحاديث كثيرة حول الإمام الحسين «عليه السلام» تعد بالعشرات.. ولا يمكننا إيراد جميعها لمناقشته، وبيان بعض ما يحسن بيانه فيه. مع العلم: بأنها روايات لا أسانيد لها في الأكثر، ولم يذكر الكثير منها في مصادر معتمدة، وقسم منها لم تعرف مصادره من الأساس.

دفن الحر في موضع قتله:

قال عماد الدين الطبري: «إن الحر «رحمه الله» دفن في

الموضع الذي قتل فيه»^(١).

ونقول:

لسنا بحاجة لحشد النصوص وجمع الشواهد لتقنيده هذه المقولة، فإن الحر إنما قتل في معسكر أبي عبد الله الحسين «عليه السلام»، الذي كان يقاتل في بقعة معينة، بالقرب من ثقله وعياله، وكان «صلوات الله وسلامه عليه» كلما استشهد أحد من أصحابه وأهل بيته أتى بجسده، ووضعه مع سائر الشهداء الذين سبقوه.

ولم يكن هناك مبرر لاتساع ميدان القتال، ليصبح فرسخاً، أو أكثر، ولو أن هذا الأمر قد حصل فعلاً، فالسؤال هو:

لماذا أتى الحسين «عليه السلام» بسائر الشهداء وضمهم إلى بعضهم البعض، وجعلهم في مكان واحد، وترك الحر وحيداً فريداً في تلك البقعة النائية عنه، وعن أصحابه وأهل بيته.

قبر الحر لا يزار لماذا؟!:

قال السيد الجزائري «رحمه الله» عن قبر الحر:

«وهو بعيد عن قبر مولانا الحسين «عليه السلام» بفرسخ، وأزيد. وقبره الآن معروف يزوره بعض الناس.

وبعض الخواص من الشيعة والعلماء يترك زيارته. بل ربما سمعت عن بعض محدثي الشيعة لعنه، والطعن عليه، تعويلاً على أنه

(١) نفس المهموم ص ٣٨٩ عن كامل بهائي.

قطع عليه بالارتداد الفطري، ومثل هذا المرتد عند الأكثر لا تقبل توبته.

وما نقل من قبول الحسين «عليه السلام» له منقول بأخبار الأحاد، وهو يعارض الإجماع»^(١).

ونقول:

إن هذا الحكم القاسي على الحر غير سديد.. وقد بين السيد الجزائري ذلك بما ملخصه:

أولاً: المرتد هو من أنكر ضرورياً من ضروريات الدين، كمن أنكر وجوب الصلاة، أو فعل ما يعلم ضرورة نفيه من الدين، كالسجود للصنم، أو قتل النبي مثلاً، مع علمه بأن ما ينكره، أو يفعله من ضروريات الدين بالفعل، أما إذا كان يحتمل في مثله جهل ذلك، كما لو كان يعيش في الأدغال، ولم يعرف عن دينه إلا أقل القليل، فلا يشمل هذا الحكم.

ثانياً: لم يكن الحر يريد قتل الحسين «عليه السلام»، بل كان يريد أخذه إلى ابن زياد، فلما تحقق أن ابن سعد يريد قتل الحسين انفصل عنه، ولجأ إلى الحسين تائباً من تضيقه على الإمام «عليه السلام». ولا دليل يثبت على أنه «رحمه الله» كان يعلم أن تضيقه هذا يخرج من الدين. **بل قد يقال:** إن مجرد إيذاء الإمام لا يعد ارتداداً، فقد كان أقرباء

(١) الأنوار النعمانية ج ٣ ص ٣٦٣.

الأئمة «عليهم السلام» يؤذون الأئمة، ولم يكن الأئمة يحكمون عليهم بالارتداد، بل كانوا يعودونهم إذا مرضوا، ويقضون ديونهم، ويبكون عليهم إذا نزلت بهم نازلة، كما جرى لبني الحسن، وبكاء الإمام الصادق «عليه السلام» عليهم.

ثالثاً: إن ما يخرج من الدين، ويحقق الارتداد، ولا تقبل التوبة منه هو ما يكون من ضروريات دين الإسلام، لا من ضروريات مذهب التشيع، فمن أنكر إمامة علي «عليه السلام» لا يكون مرتدًا، ولا يجب إجراء عقوبة المرتد في هذه الدنيا عليه. وإن كان يعاقب في الآخرة بأشد مما يعاقب به المرتد.

رابعاً: قولهم: إن المرتد عن فطرة لا تقبل توبته، غير مقبول، بل هي تقبل فيما بينه وبين الله، كما قال الشهيد الثاني «رحمه الله»، فلو تاب قبل العقوبة قبلت توبته، وصحت عباداته ومعاملاته، ولكن لا تعود إليه زوجته، لأنها بانّت منه، كما أن ماله لا يعود إليه، بعد أن دخل في ملك غيره.

فإن كان الحاكم غير الإمام المعصوم، لم يجز له العفو عنه، وإن كان هو الإمام، فالأمر إليه، إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وقد عفا علي «عليه السلام» عن أهل البصرة، وقبل توبة من تاب منهم، مع أنهم كانوا مرتدين عن فطرة، وكذلك الحال بالنسبة لأهل صفين والنهروان.

خامساً: لا معنى لقولهم: إن ارتداد الحر قطعي، وتوبته ظنية، لأن كل خبر وأثر ذكر ارتداده، ذكر توبته واستشهاده. وذكر قبول الإمام

«عليه السلام» أيضاً لتوبته.

بل قد يقال: إن الطعن في توبة الحر طعن في من قبلها. وهذا هو الارتداد الظاهر والصريح.

سادساً: تدل الأخبار المعتبرة والصحيحة، كما قال الشهيد الثاني «رحمه الله» على أن الارتداد قسم واحد، والمرتب يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهذا مذهب ابن الجنيّد.

وأما التفصيل بين المرتد عن فطرة وغيره، فلم يرد إلا في رواية عمار الساباطي، وهي رواية ضعيفة لا يمكن تقييد العديد من الروايات المعتبرة والصحيحة بها^(١).

غير أننا نقول:

أولاً: بالنسبة لأهل الجمل وصفين، قد يقال: لا دليل على أن ارتدادهم كان عن فطرة، فإن فتح العراق والشام قد حصل بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن حين فتحها صار الناس يدخلون في الدين بصورة تدريجية، فلعل معظم الذين حاربوا علياً «عليه السلام» كانوا قد أسلموا قبل سنوات قليلة أو كثيرة، ثم جاؤا مع معاوية لحرب علي «عليه السلام».

ثانياً: إن الأحاديث تصرح: بأن الإمام «عليه السلام» سار فيمن حاربه باليمن والكف، لأنه علم أنه سيكون للبغاة دولة، فلولا سياسته

(١) الأنوار النعمانية ج ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٦ بتصرف وتلخيص.

هذه للقي شيعته بعده بلاء عظيمًا^(١).

رواية مكنوبة:

روي عن ابن مسعود أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجده، إذ دخل علينا فتية من قريش، ومعهم عمر بن سعد «لعنه الله»، فتغير لون رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقلنا له: يا رسول الله، ما شأنك؟!

فقال: إنا أهل بيت، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإني ذكرت ما يلقي أهل بيتي من أمتي من بعدي، من قتل، وضرب، وشتم، وسب، وتطريد، وتشريد.

(١) راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٧٣ والكافي ج ٥ ص ٢١ و ٣٣ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٣٧ و ١٥٤ و ١٥٥ والغيبة للنعماني ص ٢٣٢ و ٢٣١ والمحاسن للبرقي ص ٣٢٠ وعلل الشرايع ص ١٤٧ و ١٥٠ و ١٥٤ ووسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٥ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٩ و ١٨ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٢٠٧ ورياض المسائل ج ١ ص ٤٨٢ و ٤٨١ و ص ٤٨٣ والمختلف ج ٢ ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ٢٧٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٢١ ونور الثقلين ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٥٠ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٣٩٤.

وإن أهل بيتي سيشردون ويطردون ويقتلون، وإن أول رأس يحمل على (رأس) رمح في الإسلام، رأس ولدي الحسين «عليه السلام»، أخبرني بذلك [أخي] جبرائيل، عن الرب الجليل.

وكان الحسين «عليه السلام» حاضراً عند جده في ذلك الوقت، فقال: يا جداه، فمن يقتلني من أمتك؟!!

فقال: يقتلك شرار الناس، وأشار النبي «صلى الله عليه وآله» إلى عمر بن سعد «لعنه الله».

فصار أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا رأوا عمر بن سعد داخلاً من باب المسجد، يقولون: هذا قاتل الحسين «عليه السلام».

[قال:] وجعل عمر بن سعد، كلما لقي الحسين «عليه السلام» يقول: يا أبا عبد الله، إن في قومنا أناساً سفهاء، يزعمون أنني أقتلك. فيقول له الحسين «عليه السلام»: [والله] إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم أناس حلماء، أما إنه ستقر عيني حيث لا تأكل من بر الري من بعد قتلي إلا قليلاً، ثم تقتل من بعدي عاجلاً^(١).

ونقول:

لا ريب في عدم صحة هذه الرواية:

(١) مدينة المعاجز ج ٤ ص ٦١ و ٦٢ والمنتخب للطريحي ص ٣٣٢.

أولاً: لأن عمر بن سعد قد ولد بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنحو عشر سنوات، ومقتضى هذه الرواية: أنه كان في عهد رسول الله فتى، وهذا غير مطابق للواقع.

ثانياً: إنها ذكرت: أن أول رأس يحمل على رأس رمح في الإسلام رأس الحسين «عليه السلام»، وقد قلنا: إن ذلك أيضاً غير دقيق. فراجع ما ذكرنا حين تكلمنا عن هذا الأمر وما جرى في الكوفة بعد عاشوراء.

ثالثاً: ما معنى قوله: «لا تأكل من بر الري بعد قتلي»؟! فإن ابن سعد لم يتول الري لا بعد قتله الإمام الحسين «عليه السلام» ولا قبله، ولم يأكل من برها لا قليلاً ولا كثيراً؟!

والصحيح: أنه «عليه السلام» قال لابن سعد: «لا تأكل من بر العراق إلا قليلاً، ولم يذكر له بر الري».

وقد قال له هذه الكلمة حين جاءه عمر بن سعد بجيشه إلى كربلاء، وذلك في أحد أيام عاشوراء.

أول زائر للحسين x:

قال ابن نما: ورويت إلى ابن [أبي] عائشة قال: مر سليمان بن قتة العدوي، مولى بني تميم بكربلاء بعد قتل الحسين «عليه السلام» بثلاث، فنظر إلى مصارعهم، فاتكا على فرس [قوس] له عربية وأنشأ يقول:

مَرَرْتُ عَلَى أَبِياتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَالَهَا يَوْمَ حَلَّتْ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ أَضْحَتْ لِفَقْدِ حُسَيْنٍ وَالْبِلَادَ اقْشَعَرَّتْ
وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ أَضْحَوْا لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتْ
وَتَسَالْنَا قَيْسٌ فَنُعْطِي فَقِيرَهَا وَتَقْتُلْنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ
وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا سَنَطْلُبُهُمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتْ
فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الدِّيارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بَرَعَمٌ تَخَلَّتْ
فَإِنَّ قَتِيلَ الطِّفْلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذِلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتْ
وَقَدْ أَعْوَلَتْ تَبْكِي السَّمَاءُ وَأَنْجَمُنَا نَاحَتْ عَلَيْهِ وَصَلَّتْ

وقيل: الأبيات لأبي ربح الخزاعي^(١).

ونقول:

(١) مثير الأحزان ص ١١٠ و ١١١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٨ وراجع
الأبيات، أو بعضها في: مقاتل الطالبين ص ١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية)
ص ٨١ و بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٩٣ و ٢٤٤ و العوالم، الإمام الحسين ج ١٧
ص ٥٤٤ و ٥٤٨ و مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٧ و (ط المكتبة الحيدرية)
ج ٣ ص ٢٦٣ و قد وصفه بالهاشمي، ونظم درر السمطين ص ٢٢٦ ونسب
قريش ص ٤١ و معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦ و التذكرة الحمدونية ج ٤ ص ٢١٩
و الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٩١ و بغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٦٨ و
٢٦٦٩ و الوافي بالوفيات ج ١٢ ص ٢٦٦ و الملهم (نشر أنوار الهدى)
ص ١٢٠ و ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٠.

١ - الظاهر: أن سليمان بن قتّة: أول من زار شهداء كربلاء في مصارعهم، لأنه حضر كربلاء بعد ثلاث ليال، وهو أيضاً أول من رثى الحسين «عليه السلام» من الشعراء.

٢ - وصف ابن نما هذا الرجل بالعدوي.. وهذا غير ظاهر، فقد قال المبرد: «سليمان بن قتّة، رجل من تميم بن مرة. وكان منقطعاً إلى بني هاشم»^(١).

٣ - قد يقال: إن قوله: «فنظر إلى مصارعهم». يدل على أن الأجساد الطاهرة لم تدفن إلا بعد ثلاثة أيام.
ويجاب:

بأن المصارع جمع مصرع، وهو مكان القتل، فلا تدل هذه العبارة إلا على أنه قد حضر إلى المكان الذي صرعوا فيه.
ولا تدل على أنهم لا يزالون فيه، ولم يدفنوا.

وقد يؤيد ذلك: أن الأجساد، ولو كانت لا تزال على وجه الصعيد، لذكر ذلك في شعره، وكان قد سعى لدفنها.

٤ - يلاحظ وجود تصحيف في بعض كلمات النص المتقدم، كما يظهر من مراجعة المصادر والمقارنة بينها، مثل: «قتّة» و«قبة» و«قوس» و «فرس».

(١) الكامل في الأدب ج ١ ص ١٨٦ والمجدي في أنساب الطالبين ص ٣٣٢.

الفصل الرابع

دفن الرؤوس..

بداية:

نشير في هذه البداية إلى أمرين:

الأول: إن زمان ومكان دفن الرؤوس ليس مما يمكن الاجتهاد، والقول بالرأي فيه، وبالرغم من أنه أمر نقلي، فإننا أيضاً لا نريد أن نلاحق أقوال الناقلين والمؤلفين، لكي نحشدّها ونجمعها في صعيد واحد، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر، ولا يغيّر كثيراً في النتائج النهائية للبحث..

ولذا فنحن نقتصر هنا على عبارة نحاول أن نجعلها وافية وكافية في تكوين تصور معقول لهذا الموضوع، فنقول:

الثاني: إننا قلما نجد تعرضاً من قبل أهل البيت «عليهم السلام» لتحديد المواضع التي نزلوا فيها، أو مواضع دفنهم، أو دفن الشهداء، أو مواضع دفن رؤوسهم، أو المسير الذي مروا فيه في تنقلاتهم، وفي أسفارهم، أو ما إلى ذلك، بل تركوا هذه الأمور للناس ليتداولوها، ويهتموا بها.

ولأجل ذلك كثرت المزارات لموضع رأس الحسين «عليه

السلام»، أو لموضع كان قد وضع فيها، أو لموضع قطرة دم سقطت من الرأس الشريف، أو لموضع نسب إليهم أنهم صلُّوا فيه، ولو على سبيل الاحتمال، أو الظن، أو للمشاهد التي تقام استناداً إلى رؤيا حقيقية، أو مدَّعاة، أو ما إلى ذلك..

وإنما تركوا ذلك للناس، ربما لأنهم لا يرون ضرراً في تكثير هذه المشاهد التي تربط الناس بأهل البيت «عليهم السلام»، وتذكّر بمظلوميتهم، ويُذكر الله تعالى ويعبد فيها، وفيها تتكامل النفوس، وتطلب الحاجات، وتتال البركات.

رؤوس الشهداء ورأس الحسين x:

نبدأ أولاً بالحديث عن رؤوس الشهداء ورأس الحسين «عليه السلام»، ثم نعقب ذلك بالحديث عن موضع دفن رأس الحسين «عليه السلام»، كما يرويهِ غير الشيعة أولاً، ثم ما يرويهِ الشيعة، وما استقر عملهم عليه، فنقول:

رؤوس الشهداء مع الحسين «عليه السلام» قسمان:

الأول: رؤوس أصحاب الحسين «عليه السلام».

الثاني: رؤوس بني هاشم.

وتقدم: أن ذكوان: أبا خالد ادَّعى، أو ادَّعى له: أنه طلب من ابن زياد أن يأذن له بدفن الرؤوس، فأذن له، فأخذها وكفنها، ودفنها في الكوفة في الجبانة.

وقد ذكرنا: أننا نشك كثيراً في صحة هذا الكلام.

وسيمر معنا هنا: إن شاء الله المزيد مما يُظهر وهن هذه المزاعم أيضاً، فلاحظ ما يلي:

ذكرت بعض النصوص: أن رؤوس أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام»، بل رؤوس جميع من قتل معه «عليه السلام» قد سيّرت من الكوفة إلى الشام، مثل:

١ - ما روي عن أبي مخنف قال عن ابن زياد: «دعا زحر بن قيس، فشرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية الخ..»^(١). وذكر المفيد نحوه أيضاً^(٢).

٢ - قال سبط ابن الجوزي: إن ابن زياد حط الرؤوس في اليوم الثاني (أي حطها من الصّلب)، وجهزها والسبايا إلى الشام^(٣).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٩ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥١ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٥ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩١ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٨ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٨ ص ٣٧٨٤ والوافي بالوفيات ج ١٤ ص ١٢٧ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩١ والإرشاد ج ٢ ص ١١٨ و ١١٩ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٣ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٤.

(٢) راجع المصادر في الهامش السابق، ولاسيما المصادر الثلاثة الأخيرة فيه.

(٣) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٣.

٣ - قال ابن أعثم: «دعا ابن زياد زحر بن قيس الجعفي، فسلم إليه رأس الحسين بن علي «عليهما السلام» ورؤوس إخوته، ورأس علي بن الحسين «عليه السلام»، ورؤوس أهل بيته وشيعته «رضي الله عنهم أجمعين». ودعا علي بن الحسين «عليه السلام» أيضاً فحمله، وحمل أخواته، وعماته، وجميع نسائهم، إلى يزيد بن معاوية»^(١).

وقال ابن كثير: «ما قتل قتيل إلا واحتزوا رأسه، وحملوه إلى ابن زياد. ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد»^(٢).

وبعد هذا.. كيف يكون ذكوان (أبو خالد) قد دفن رؤوس أصحاب الحسين في الكوفة؟!!

ولكن ذلك لا يعني: أن بغض الطرف، عن خلاف آخر تظهره النصوص، وهو: هل أن رؤوس الشهداء أرسلت إلى الشام، ومعها رأس الحسين «عليه السلام» مع زحر بن قيس أولاً، ثم أرسل الأسرى بعد ذلك.. كما هو ظاهر النصوص التي ذكرناها آنفاً؟!!

أو أن الرؤوس والسبايا قد أرسلوا معاً إلى الشام؟!^(٣).

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٥.

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٠ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٦ إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٥.

(٣) راجع: إقبال الأعمال ج ٣ ص ٨٩ والملهوف ص ٢٠٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٩ والأمالى للصدوق ص ٢٣٠ وروضة الواعظين

وفي بعض الروايات: أن رأس الحسين «عليه السلام» أرسل أولاً، ثم أرسلت سائر الرؤوس بعد ذلك مع الأسرى^(١).

غير أننا لا نرى منافاة بين هذا وسابقه، ففي الإرشاد: أن الأسارى قد سرحوا في أثر الرأس، فساروا حتى لحقوا به في الطريق^(٢).

ثم إنهم لما قربوا من دمشق سبق زحر بن قيس برأس الحسين «عليه السلام» إلى دمشق.

نصوص لا تذكر رؤوس الشهداء:

قالوا: إن النصوص المتوافرة عن أحداث دمشق تذكر رأس

(منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٥ و ١٤٥ و ١٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ص ٣٩٥ و ٤١٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١٣ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٨٥ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨١ و ٦٤٣ عن التبر المذاب ص ٨٨.

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥.
(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١١٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٣ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٠ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٣.

الحسين فقط، ولم تشر إلى رؤوس أهل بيته وأصحابه بشيء^(١)..

ألا يحتم هذا على الباحث: أن يتريث في إطلاق القول حول موضوع إرسال ما عدا رأس الإمام الحسين «عليه السلام» إلى دمشق؟!

ونقول:

أولاً: إن الحسين «عليه السلام» هو الأساس والمحور، الذي يهتم الناس لما جرى له، فإنه سيد شباب أهل الجنة، وهو أقدس رجل على وجه الأرض، وجميع من عداه إنما هو في كنفه، وتحت مظلتها، وما جرى له إنما هو لأنه نصره، وحاول أن يدفع عنه.

ثانياً: قولهم: إنه لا ذكر في الشام لغير رأس الحسين «عليه السلام»، غير دقيق، فلاحظ ما يلي:

ألف: قالوا: إن السبي لما ورد من العراق على يزيد، خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرية علي والحسين «رضي الله تعالى عنهما». والرؤوس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثنية جيرون، فلما رأهم نعب غراب، فأنشأ يزيد «لعنه الله» يقول:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ تِلْكَ الرُّؤُوسُ عَلَى شَفَا جَيْرُونِ

(١) راجع على سبيل المثال: الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥.

نَعَبَ الْغُرَابُ فُفُلْتُ قُلْ أَوْ لَا تَقُلْ فَقَدْ اقْتَضَيْتُ مِنَ الرَّسُولِ

ومن الواضح: أن غاية يزيد من استقدام السبايا والرؤوس إلى الشام هو: أن يراهم الناس، ليؤكد بذلك قوته وشوخته.

ب: قد طلبت أم كلثوم من الشمر «لعنه الله»: أن يخرجوا الرؤوس من بين المحامل، وينحوا النساء عنها، فأمر بحمل الرؤوس في أوساط المحامل^(٢).

ج: قال خواند أمير: إن يزيد سلم رؤوس الشهداء إلى علي بن الحسين، فألقها بالأبدان الطاهرة يوم العشرين من صفر، ثم توجه إلى المدينة^(٣).

(١) تفسير الألوسي ج ٢٦ ص ٧٢ عن تاريخ ابن الوردي، والوافي بالوفيات، وراجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٤٨ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٣٠٠ و ٣٠١ وعن صورة الأرض، لابن حوقل ص ١٦.

(٢) الملهوف ص ٢١٠ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠١ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١١٠ وراجع ص ١٣٣ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٢٧ وراجع: مثير الأحزان ص ٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٧.

(٣) حبيب السير ج ٢ ص ٦٠.

دفن الرؤوس في باب الصغير:**قال السيد الأمين:**

رأيت بعد سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق بابه صخرة كتب عليها ما صورته:
«هذا مدفن رأس العباس بن علي، ورأس علي بن الحسين الأكبر، ورأس حبيب بن مظاهر».

ثم إنه بعد ذلك بسنين هدم هذا المشهد، وأعيد بناؤه، وأزيلت هذه الصخرة،

وبني ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء.

ولكن الحقيقة: أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر.

وهذا المشهد الظن قوي بصحة نسبته، لأن الرؤوس الشريفة بعد حملها إلى دمشق، والطواف بها، وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها، والتشفي، لا بد أن تدفن في إحدى المقابر، فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير، وحفظ محل دفنها. والله أعلم^(١).

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٧.

ونقول:

نلاحظ ما يلي:

١ - إن ذكر رأس حبيب بن مظاهر في جملة المدفونين في باب الصغير يؤيد صحة النصوص التي ذكرت: أن الرؤوس كلها قد أرسلت إلى دمشق بما فيها رؤوس الأصحاب.

٢ - إن ما يريده يزيد من حمل الرؤوس إلى دمشق هو: أن يطاف بها ويراهما الناس، وبذلك يتحقق وينتهي الغرض منها..

وبعد ذلك، فمن الطبيعي أن يأمر بدفنها.. ولكنه بالنسبة لرأس الحسين كان ليزيد «لعنه الله» منه موقف آخر، حيث قالوا: إنه صلبه بجيرون ثلاثة أيام.

وقيل: صلبه على باب قصره.

وسياتي ذكر ذلك عند ذكر ما جرى في الشام، إن شاء الله.

ولا مانع من أن يكون قد صلبه في الموضعين: في جيرون، وعلى باب القصر أيضاً، إظهاراً للقوة والشوكة، والجبروت والعظمة، وشماتة منه وحقداً.

ثم إن يزيد «لعنه الله» قد أمر أن يطاف بالرأس الشريف في مدائن الشام وغيرها^(١).

(١) راجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٩ وراجع: مثير الأحزان ص ١١٣ و (ط)

ثم دفعه إلى الإمام السجاد «عليه السلام» ليعيده إلى كربلاء، فكان هو المتولي لأمره، وتحقق مضمون ما ورد، من أن الإمام لا يتولى أمره إلا الإمام.

٣ - لكن ما يستوقفنا هنا، ما قاله خواند أمير، من أن يزيد قد سلم الرؤوس إلى الإمام السجاد «عليه السلام»، فألحقها بالأبدان.. فإن هذا إن صح، فيمكن أن يكون المراد منه: أنه سلمه القليل منها، لا جميعها. وإن لم نستطع التحديد الدقيق للرؤوس التي وقع الاختيار عليها..

٤ - وقد يؤيد ذلك: أن حمل جميع الرؤوس إلى كربلاء، لو صح لتوافرت الدواعي على نقله، ولكان الرواة والمؤلفون، قد نقلوه ودونوه، حتى استفاض في كتبهم.

وقد نجد من يعتبر ذلك من شواهد ندم يزيد، أو من شواهد حسن معاملته التي يدعونها له. ولكننا - كما قلنا - لا نجد شيئاً من ذلك يليق بهذا الحدث اللافت.

٥ - لم نفهم السبب في اختياره هذه الرؤوس الثلاثة: رأس العباس، وعلي الأكبر، وحبيب لتدفن في باب الصغير، فإن كانت سائر الرؤوس قد تركت بلا دفن؟! فالسؤال هو: لماذا تركت؟! وإن كانت قد دفنت، فأين دفنت، إن استثنينا هذا الموضع؟!!

ألا يحق لنا أن نحتمل: أن يكونوا قد دفنوا جميع الرؤوس في ذلك

الموضع الذي دفن فيه رأس العباس وعلي الأكبر، وحبيب، ولكن الناس ميزوا هؤلاء الثلاثة، وعرفوهم بأسمائهم، فذكروا أسماء من عرفوهم؟! عرفوهم؟! عرفوهم؟!

أو أنهم عرفوا أكثر من ثلاثة، ولكنهم ذكروا أسماء عظمائهم، وأكثرهم شهرة، وأسماءهم مقاماً؟! وأكثرهم مقاماً؟!

٦ - ربما كانت مقبرة باب الصغير مزدحمة بالقبور آنئذ، فانتسح هذا المكان لرؤوس ثلاثة أشخاص. ثم دفنت باقي الرؤوس في موضع آخر، أو توزعت في مواضع أخرى في هذه الجبابة، أو في غيرها..

أين دفن رأس الحسين؟!:

هناك عدة أقوال حول موضع دفن رأس الإمام الحسين «عليه السلام»، أربعة منها من مرويات ومقولات أهل السنة، وثلاثة منها من مرويات الشيعة، أو ذهب إليها بعض علمائهم، ومؤلفيهم.

ونحن نذكر هذه الأقوال وتلك كما يلي:

ألف: أقوال غير الشيعة:

قالوا: في رأس الحسين «عليه السلام» أقوال، هي:

الأول: إنه مدفون بالمدينة عند قبر أمه فاطمة «عليها السلام».

الثاني: إنه مدفون بدمشق بباب الفراديس، عند البرج الثالث مما يلي المشرق، أو قرب باب توما، أو في حائط بدمشق، أو في دار الإمارة، أو في المقبرة، أو في قصر الخضراء، أو على رأس

إسطوانة في المسجد الأموي، أو في قبر معاوية أو، أو..

الثالث: إن سليمان بن عبد الملك دفنه في مقابر المسلمين، فلما ولي عمر بن عبد العزيز نبش، وأخذه ولا يعلم ما صنع به.

الرابع: إنه مدفون بمسجد الرقة على الفرات في مدينة الرقة.

الخامس: إنه مدفون بمصر، نقله الخلفاء الفاطميون من باب الفراديس إلى عسقلان، ثم نقلوه إلى القاهرة.

وقيل غير ذلك..

ب: أقوال الشيعة:

أما شيعة أهل البيت، فلهم في ذلك أقوال ثلاثة، منشؤها رواياتهم وما لديهم من نصوص، وهي:

القول الأول: إن الرأس الشريف مدفون عند أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى جهة رأسه الشريف.

الثاني: إنه مدفون مع جسده الشريف في كربلاء.

الثالث: إنه مدفون بظهر الكوفة، دون قبر أمير المؤمنين «عليه السلام».

وقفات مع أقوال غير الشيعة:

ولنا وقفات مع الأقوال، التي حاول غير الشيعة إثارتها، نجملها كما يلي:

دفن في المدينة:

ألف: قولهم: إنه دفن بالبقيع عند أمه فاطمة «عليها السلام». وكان يزيد أرسله إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وكان والياً عليها. وذكروا: أن عمرواً قال: وددت أنه لم يبعث به إلي. فقال مروان: أسكت، ثم تناولوه ووضعوه بين يديه، وأخذ بأرنبه أنفه وقال:

يا حبّذا بردك باليدين ولونك الأحمر في الخدين^(١)

(١) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٤ و ٨٥. وراجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧١ و ٧٢. وراجع: المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ٣٤٤ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٥ ونهاية الأرب ج ٢ ص ٤٨١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٥. وراجع: مثير الأحزان ص ١٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩١ و ٣٩٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ٢٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٧ ونور الأبصار ص ١٣٣ وشرح الأخبار ج ٣ ص ١٦٠ و ١٦١ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٦.

ونجيب:

أولاً: يبدو من كلام البلاذري: أن الرأس الشريف أرسل إلى المدينة، ثم أعيد إلى الشام.

قال الكلبي: وبعث يزيد برأسه إلى المدينة، ثم رده إلى دمشق، فدفن في حائط بها، ويقال: في دار الإمارة، ويقال: في المقبرة (١).

فإذا كان المطلوب هو ذكر الأقوال، فيمكن أن نضيف إليها القول: بأن السجاد «عليه السلام» أخذه من يزيد، وألحقه بالجسد..

ثانياً: إن مما يؤكد هذا القول، ما تقدم من أن الإمام لا يتولى أمره إلا الإمام. والرأس والجسد أساسيان في تكوين الإنسان، فلا يجوز، بل لا يتولى الصلاة على الرأس، وتكفينه، ودفنه إلا إمام وحجة مثله..

وقد قلنا فيما سبق: إن هذا ليس مجرد حكم تكليفي، بل هو إخبار عن واقع حتمي الحصول.

ثالثاً: ورد في الكلام المتقدم: أن الرأس الشريف دفن إلى جنب أمه فاطمة «عليها السلام»، فمن أين علم الراوي: أنه دفن عند قبر أمه، لاسيما وأن الذي دفنه هناك هو والي المدينة عمرو بن سعيد بن العاص؟! العاص!

ونحن نعلم: أن الزهراء «عليها السلام» قد دفنت ليلاً، وعفي قبرها، حتى إن أحداً سوى الأئمة، وربما بعض الخلص من شيعتهم لا

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٩ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٩.

يعرف موضعه إلى يومنا هذا.. فما معنى ادّعاء دفن الرأس إلى جنب أمه؟ ولماذا؟!!

إلا أن يقال: ليس المقصود هنا قبر أمه فاطمة الزهراء «عليها السلام»، بل المقصود قبر جدته فاطمة بنت أسد «رضوان الله تعالى عليها»..

وهو احتمال بعيد، حيث لم نعهد أحداً نسب الحسن والحسين إلى جدتهما، بالرغم من ما لها من مقام وعظمة، واحترام وكرامة.

الرأس في الشام:

إن الأقوال التي تذكر دفن الرأس الشريف لم تستطع تحديد زمان الدفن، ولا مكانه بصورة دقيقة.

أما اختلافها في مكان دفنه، فقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما قالوه فيه: هل دفن في حائط بدمشق، إما في دار الإمارة في القصر، وإما غيره، وقد حفر له فأعمق؟! (١).

أو عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق؟! (٢).

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٦ و (ط دار إحياء التراث) ج ٣ ص ٢١٤.

(٢) مثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥٢ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٧ جواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٩ وراجع: الإشارات في أماكن الزيارات ص ٥ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨

أو في باب الفراديس في دار الإمارة؟! (١).

أو في باب توما؟! (٢).

أو في قبر معاوية، أو على رأس إسطوانة في المسجد الأموي،
أو بقي في خزائن السلاح، أو، أو...؟!.

وهي مجرد دعاوى، وبعضها صرح ناقلوها بضعف روايتها. بل
إن نفس هذه الاختلافات التي ذكرناها توجب وهنها، فكيف إذا ارتاب
الباحث فيها، باعتبار أنها تهدف إلى تضییع الناس، وتضعف الإقبال
على زيارة القبر الشريف، ولاسيما إذا انضم إلى ذلك عدم وضوح
البلد الذي انتهى إليه الرأس الشريف، هل هو كربلاء، أو المدينة، أو
مصر، أو الرقة، أو عسقلان، أو الشام أو النجف أو ما بين الكوفة
والنجف؟!.

في مسجد الرقة:

زعموا: أن يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه إلى آل أبي معيط عوضاً
عن رأس عثمان، وكانوا بالرقة، فبعثه إليهم، فدفنوه في بعض

ص ٢٢٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩١.

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ وراجع: لواعج الأشجان ص ٢٤٨
وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٦.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٦ و ٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥
ص ٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٥٩.

دورهم، ثم أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع.

قال: وهو إلى جانب سدره هناك، وعليه شبيه التنبل - وهو اليقطين ونحوه - لا يذهب شتاء ولا صيفاً^(١).

ونلاحظ هنا أنه قال: إن يزيد بن معاوية بعث الرأس إلى آل أبي معيط، عوضاً عن رأس عثمان.

مع أن عثمان لم يقطع رأسه.

ومع أن الحسين قد ذهب للدفاع عن عثمان كما تقدم.

في خزائن السلاح:

وأما عدم الوضوح من حيث الزمان، فقد زعموا: أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك، فبعث إليه، فجاء به، وقد قحل، وبقي عظم أبيض، فجعله في سبط، وطبّيه، ودفنه في مقابر المسلمين.

وعند ابن الجوزي: دفنوه بدمشق عند باب الفراديس^(٢).

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٦١ والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٨ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٥ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٢٢ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٩ وص ٢١١ والإتحاف ص ٦٩ و ٧٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٥ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ ونظم درر السمطين ص ٢٢٦ والمنظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٤ والرد على المتعصب العنيد ص ٥٠ ومثير الأحزان ص ١٠٦ و ١٠٧ و (ط

لكن رواية ابن عساكر تضيف إلى ذلك ما يلي:

«فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى الخازن - خازن بيت السلاح -: وجه إليَّ رأس الحسين بن علي.
فكتب إليه: إن سليمان بن عبد الملك أخذه، وجعله في سبط، وصلى عليه، ودفنه، فصح ذلك عنده.
فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس، فنبتشوه وأخذوه، والله أعلم ما صنَّعَ به»^(١).

ونقول:

إن هذا الكلام موضع شبهة وريب، لما يلي:

١ - إن هذا يعني: أن الرأس الشريف لم يدفن إلى عهد سليمان بن عبد الملك..

٢ - قول الرواية: إنهم جاؤا بالرأس إلى سليمان بن عبد الملك،

المكتبة الحيدرية) ص ٨٥ وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٩٤ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٩ والوافي بالوفيات ج ١٢ ص ٢٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٠٧ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥٢.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٦١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٥ و (ط) دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٢٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٠٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٥ والأمالى للشجري ج ١ ص ١٧٦.

وقد قحل، وبقي عظم أبيض، غير مقبول، فإن كلمة «وقد قحل» معناها: أن جلده ييس على عظمه، فقله: «بقي عظم أبيض» يصبح غير ذي معنى، لأن المفروض: أن الجلد كان لا يزال على ذلك العظم، ولكنه أصبح يابساً، وملتصقاً به..

والخلاصة: أنه إن لم يكن الجلد باقياً على العظم، فلا يصح وصفه بالقحل، لعدم وجود الموصوف.

وإن كان الجلد باقياً، فلا معنى للقول: «وبقي عظم أبيض».

٣ - والأهم من ذلك: أن لنا الحق في أن نتساءل، ونسأل: من الذي قال لهؤلاء: إن هذا هو رأس الحسين «عليه السلام»؟! ومن هو ذلك الخازن العارف بالرأس؟! وما مدى أمانته وصدقه فيما يدّعيه؟! ولا سيما إذا كان ما بقي منه هو عظم أبيض؟! فإن سليمان بن عبد الملك لم ير الإمام الحسين «عليه السلام»، فقد توفي سنة ٩٩ للهجرة، وعمره تسع وثلاثون سنة^(١). فهو قد ولد قبل استشهاد الحسين «عليه السلام» بسنة واحدة، فكيف يعرف أن هذا هو رأس الإمام بعد أن غيره الزمان.

كما أن الذين نبشوا القبر واستخرجوا الرأس، من أين علموا أن هذا الذي استخرجوه هو رأس الحسين «عليه السلام»؟!

٤ - والأهم من هذا وذاك ادّعاؤهم: ضياع الرأس، فلا يدري أحد

(١) مختصر تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ١٧٠ و ١٧١.

من أخذه، وما صنع به؟!!

٥ - وبعض الروايات تذكر: أن الرأس الشريف كان في خزائن الوليد بن يزيد، فأخذه أبو أمية الكلاعي، فدفنه، استتاداً إلى رقعة وجدها مع الرأس تقول: إنه رأس الحسين بن علي^(١). والكلام في صدق أبي أمية، وصدق كاتب الرقعة المدّعاة. ولماذا بقي في خزائن الوليد بن يزيد؟!!

إلى غير ذلك من الأسئلة التي لن تجد لها جواباً مقنعاً ومقبولاً..

إلى عسقلان.. ثم إلى مصر:

وقال سبط ابن الجوزي، وهو يذكر الأقوال حول دفن الرأس الشريف:

«الخامس: أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفرداديس إلى عسقلان، ثم نقلوه إلى القاهرة سنة ٥٤٨ هـ»^(٢).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٥٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ٢٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٧.

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠٩ والإتحاف ص ٧٥ و ٧٨ و ٨٢ ونور الأبصار ص ١٣٣ و ١٣٥ عن الخطط للمقريزي، ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٤٢ ولواعج الأشجان ص ٢٤٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٧ وراجع: المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٦ و ٢٠٤ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٢٢.

ولا يستطيع أحد أن يثبت أن الرأس الذي نقل من باب الفريديس إلى عسقلان، ثم منها إلى القاهرة هو رأس الحسين بن علي «عليهما السلام»، ومن هو الذي رأى الحسين «عليه السلام» ليتمكن أن يدعي لنا أن هذا رأسه، أو ليس برأسه، بل إن إثبات كون الرأس قد دفن في الشام متعذر، أو متعسر من الأساس، فما بالك بادّعاء نقله بعد مئات السنين من الشام إلى عسقلان، ثم إلى مصر!!

في النجف، أو بين الحيرة والنجف؟!:

إن النصوص التي بحوزة الشيعة الإمامية على نحوين:

أحدهما: أنه في كربلاء، وسيأتي.

الثاني: أنه ليس في كربلاء..

وهي على نحوين:

أحدهما: أن الرأس عند أمير المؤمنين «عليه السلام».

والثاني: أنه في موضع قريب من الكوفة، «بين الحيرة والنجف».

وإذا تأملنا في هذه الروايات عن دفنه في النجف، أو بينها وبين

الحيرة نجد:

١ - بعضها لا يدل على أن الرأس مدفون في الموضع الذي نتحدث

عنه، بل يدل على أنه قد وضع في ذلك المكان، مثل رواية أبان بن

تغلب التي تقول: إن الإمام الصادق «عليه السلام» مرَّ بظهر الكوفة،

فصلى في ثلاثة مواضع، ركعتين، ركعتين:

أحدها: موضع قبر أمير المؤمنين.

الثاني: موضع رأس الحسين «عليه السلام» حيث لم يقل: موضع دفن رأس الحسين «عليه السلام» ونحو ذلك. بل قال: موضع الرأس، كما قال: موضع المنبر، أو موضع المنزل، فإنه لا يدل على أن المنبر أو المنزل قد دفنا هناك. بل المراد الموضع الذي وضع فيه المنبر، أو بني فيه المنزل، وإن كان قد نقل المنبر من ذلك المكان، أو هدم المنزل..

والثالث: موضع منزل (أو منبر) القائم^(١).

٢ - وبعضها يدل على أن الحسين «عليه السلام» يزار عند رأس أمير المؤمنين «عليه السلام»، مثل: رواية الحسين بن سيف بن عميرة، وصفوان الجمال^(٢).

ولم تشر الرواية لا إلى دفن الرأس، ولا إلى وضعه في ذلك

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٧٢ وكامل الزيارات ص ٨٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٤ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ و (الإسلامية) ج ١٠ ص ٣١٠ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٤ و ٣٥ وفرحة الغري ص ٥٧ و ٥٨ و (ط سنة ١٤١٩ - ١٩٩٨ م) ص ٨٦ وبحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٤١ و ٢٤٧ والغارات ج ٢ ص ٨٥١ و مرآة العقول ج ١٨ ص ٢٩٠ والوافي ج ١٤ ص ١٤١٣.

(٢) فرحة الغري ص ٩٦ و (ط سنة ١٤١٩ - ١٩٩٨ م) ص ٧٠ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ والغارات للكوفي ج ٢ ص ٨٤٧.

المكان.

٣ - وبعضها يدل على أن الرأس عاد إلى الجسد في كربلاء بعد أن صيَّره الله عند أمير المؤمنين «عليه السلام»..

فيقول النص عن يونس بن ظبيان: إن الإمام الصادق «عليه السلام» بعد أن صلى عند أكمة وصل إليها، صلى عند أكمة دونها، ثم قال ليونس: الموضع الذي صليت عنده أولاً هو قبر أمير المؤمنين «عليه السلام»، والأكمة الأخرى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهم السلام».

إن الملعون عبيد الله بن زياد «لعنه الله» لما بعث برأس الحسين «عليه السلام» إلى الشام رُد إلى الكوفة، فقال: أخرجوه عنها لا يفتن به أهلها، فصيَّره الله عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، فالرأس مع الجسد، والجسد مع الرأس^(١). فبعد أن رد يزيد الرأس إلى الكوفة، صيَّره الله عند أمير المؤمنين «عليه السلام».

وليس في هذه الرواية تصريح: بأن الرأس دفن عنده.

(١) راجع الحديث الذي نتحدث عنه في كامل الزيارات ص ٣٦ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٨٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٤ ص ٤٠٢ و (الإسلامية) ج ١٠ ص ٣١٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧٨ وراجع ج ٩٧ ص ٢٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥١ ومستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٩.

فإن ظاهر قوله: «صَيَّرَهُ اللهُ»: أن خوف عبيد الله بن زياد من افقتان أهل الكوفة بالرأس جعله يأمر بإخراج الرأس عنها.
فهذا من التدبير الإلهي الذي أوجب أن يصير الرأس عند أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولو لبرهة وجيزة..
ثم صار الرأس مع الجسد، والجسد مع الرأس..
مع العلم: بأن الجسد في كربلاء.

وليس في النص دلالة على دفن الرأس عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلعله وضع هناك إلى أن أخذه الإمام السجاد «عليه السلام» إلى كربلاء وألحقه بالبدن الشريف، ويكون هو المتولي لأمره دون سائر الناس.

ويلاحظ: أن قوله: «فالرأس مع الجسد الخ..» كأنه قد قطع عن الفقرة السابقة، فلم يذكر «عليه السلام» أن أحداً قد رده إلى الجسد الشريف، ربما لكي لا تنشأ محاذير من تصريحه هذا. ولكن المتأمل يستطيع أن يفهم: أن ثمة من جمع بين الرأس والجسد.

٤ - ومن الروايات: ما يظهر منه: أنه يتحدث عن قبر صغير للرأس.. ولكنه لا يأبى عن أن يكون المقصود به لا يتنافى مع ما ذكرناه في الروايات المتقدمة، ومع ما سيأتي، من أنه أعيد إلى كربلاء.

والرواية التي نتحدث عنها هنا هي ما روي عن علي بن أسباط - رفعه - قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: «إنك إذا أتيت الغري

رأيت قبرين: قبراً كبيراً، وقبراً صغيراً. فأما الكبير، فقبر أمير المؤمنين «عليه السلام». وأما الصغير، فرأس الحسين «عليه السلام»..»^(١).

فإنه وإن كان يدل على أن القبر الصغير مرتبط برأس الحسين «عليه السلام»، ولكنه لم يصرح: بأن الرأس قد قبر فيه، فإنه حين تحدث عن القبر الكبير صرح بكلمة «قبر» أولاً وثانياً، فقال في المرة الثانية: فأما الكبير، فقبر أمير المؤمنين. ولكنه حين ذكر الرأس الشريف لم يصرح في المرة الثانية بكلمة قبر، بل قال: وأما الصغير، فرأس الحسين بن علي.

فقد يقال: إن سبب ذلك: أن القبر الثاني كما يحتمل أن يكون موضع دفن الرأس، كذلك يحتمل أن يكون قد جعل للدلالة على وضع رأس الحسين في ذلك المكان، وصار رأس الحسين «عليه السلام» ينسب إليه، وإن لم يكن حالاً فيه، لأنه بعد أن وضع، أو قبر هناك، ولو لبرهة وجيزة، استخرجه الإمام السجاد «عليه السلام» ليجري عليه المراسم الشرعية من الصلاة وغيرها، ثم يلحقه بالجسد الطاهر في كربلاء، لاسيما وأن الإمام لا يتولى أمره إلا الإمام.

ومن المعلوم: أن هذا لا يزيل صفة القداسة والبركة، واستحباب الزيارة للإمام الحسين «عليه السلام» من هذا الموضع الذي حل الرأس

(١) كامل الزيارات ص ٨٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٤ ص ٤٠٢ و (الإسلامية) ج ١٠ ص ٣١١ وفرحة الغري ص ٣٢ و (ط مركز الغدير) ص ٨٨ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٤٢.

الشريف فيه، ولو لبرهة وجيزة. تماماً كما هو الحال بالنسبة لزيارة النبي «صلى الله عليه وآله» في الموضع الذي دفن فيه، وإن كان الله قد رفعه بعد ذلك إلى السماء.

٥ - بقي أن نشير إلى رواية يزيد بن عمر بن طلحة، وفيها: أنه كان مع الإمام الصادق «عليه السلام» حين كان بالحيرة، فقصّد زيارة قبر أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان معهما أيضاً: إسماعيل ابن الإمام «عليه السلام»، فلما جاز الثوية (موضع بالكوفة، أو في جانب الحيرة على ساعة منها) نزل ونزل إسماعيل، ونزلت معهما، فصلى، وصلى إسماعيل وصليت، فقال لإسماعيل: «قم فسلم على جدك الحسين «عليه السلام».

فقلت: جعلت فداك، أليس الحسين «عليه السلام» بكر بلاء؟! فقال: نعم. ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا، فدفنه بجنب أمير المؤمنين «عليه السلام»..»^(١).

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٧١ وكامل الزيارات ص ٨٣ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٤ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ و (الإسلامية) ج ١٠ ص ٣١٠ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٥٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧٨ وج ٩٧ ص ٢٤١ و ٢٤٩ وج ٢ ص ٨٥٢ وفرحة الغري ص ٦٤ و ٦٥ و (ط سنة ١٤١٩ - ١٩٩٨م) ص ٩٢ و ٩٣ وروضة الواعظين ص ٤٥٠ ومراة العقول ج ١٨ ص ٢٩٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥١.

ونقول:

قد يقال: إن مضمون الرواية يخالف ما ثبت، من أن الرأس قد بلغ إلى الشام على نحو اليقين، وكان يقرأ القرآن في الطريق، وفي الشام أيضاً، وقد نكته يزيد بالقضيب الذي كان في يده وغير ذلك..

فلو كان قد سرق ودفن في مسيرهم إليها، لقامت الدنيا ولم تقعد..

إلا أن يقال: ليس المراد بقوله: «..لما حمل رأسه إلى الشام..» هو المسير بالرأس إليها ذهاباً، بل المراد: «هو السفر إلى الشام ككل، فيشمل الذهاب والإياب على حد سواء»..

ونقول في هذه الرواية نفس ما ذكرناه في رواية علي بن أسباط، من أنه يمكن أن يكون الرأس الشريف قد دفن في ذلك المكان لفترة وجيزة، ثم استخرجه الإمام السجاد «عليه السلام»، ليتولى هو الصلاة عليه ودفنه، لأن الإمام لا يتولى أمره إلا إمام.. ولعل ذلك قد حصل في سفر الرجوع من الشام، كما بيناه آنفاً.

القول الأمثل: الرأس في كربلاء:

وما ذهب إليه شيعة أهل البيت (الإمامية)، بل ادّعى البعض الإجماع عليه: أن رأس الحسين «عليه السلام» أعيد إلى كربلاء، وضم إلى البدن الشريف على يد الإمام السجاد «عليه السلام» في العشرين من صفر.

وبعض الروايات والنصوص من العلماء والمؤرخين تدل على ذلك..

١ - فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده عن فاطمة بنت علي «عليه السلام» قالت:

«ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج علي بن الحسين «عليهما السلام» بالنسوة، ورد رأس الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء»^(١).

ونكر القتال النيسابوري مضمون هذا الكلام، ولم يعترض عليه، فراجع^(٢).

٢ - قال السيد ابن طاووس:

«..وأما رأس الحسين، فروي أنه أعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف «صلوات الله عليه».. وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه». وكذا قال السيد محمد بن أبي طالب^(٣).

٣ - وقال السيد المرتضى «رحمه الله» جواباً على السؤال عن

(١) الأُمالي للصدوق ص ٢٣١ المجلس رقم ٣١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٤.

(٢) روضة الواعظين ص ٢١٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٢.

(٣) الملهوف ص ٢٢٥ و (نشر أنوار الهدى) ص ١١٤ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥٢ وراجع: ما قاله ابن طاووس في الإقبال ص ٥٨٨ وتسلية المجالس ج ٢ ص ٢٥٩ ولواعج الأشجان ص ٢٤٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٦.

حمل الرأس الشريف إلى الشام:

«هذا أمر قد رواه جميع الرواة والمصنفين في يوم الطف، وأطبقوا عليه».

وقد رووا أيضاً: أن الرأس أعيد بعد حمله إلى هناك، ودفن مع الجسد بالطف^(١).

وذكر الطبرسي وغيره هذا الكلام عن السيد المرتضى أيضاً، فراجع^(٢).

٤ - وقال ابن نما: «والذي عليه المعول من الأقوال: أنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد، ودفن معه»^(٣).

٥ - وصرح بإلحاق الرأس بالجسد الشريف: أبو ریحان البيروني^(٤).

والشيخ البهائي^(٥).

(١) رسائل الشريف المرتضى ج ٣ ص ١٣٠.

(٢) إعلام الوری ج ١ ص ٤٧٧ وتاج المواليد (المجموعة) ص ٣٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٣١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٦.

(٣) مثير الأحزان ص ١٠٦ و ١٠٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥٢ ولواعج الأشجان ص ٢٤٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٦.

(٤) الآثار الباقية ص ٣٢١.

(٥) توضيح المقاصد ص ٦.

٦ - وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «المشهور بين علمائنا الإمامية: أنه دفن رأسه مع جسده، رده علي بن الحسين «عليه السلام»..»^(١).

٧ - وقال الشبراوي الشافعي: «..وقيل: أعيد إلى الجثة بكرلاء بعد أربعين يوماً من مقتله»^(٢).

٨ - وقال الشبلنجي الشافعي: «وذهبت الإمامية: أنه أعيد إلى الجثة، ودفن بكرلاء، بعد أربعين يوماً من المقتل..»^(٣).

٩ - ويقول سبط ابن الجوزي: «..اختلفوا في الرأس على أقوال، أشهرها: أنه ردّ إلى المدينة مع السبايا، ثم رد إلى الجسد بكرلاء، فدفن معه. قاله هشام وغيره»^(٤).

١٠ - وقالوا أيضاً: «اليوم الأول منه (أي من شهر صفر) عيد بني أمية، أدخلت فيه رأس الحسين «عليه السلام» بدمشق. والعشرون منه ردت رأس الحسين «عليه السلام» إلى جثته»^(٥).

١١ - وقال البدخشاني عن يزيد: «ثم وجه ذرية الحسين «عليه

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٥.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف ص ٧٠ وشرح الهمزية للعسقلاني ص ٢٧١.

(٣) نور الأبصار ص ١٣٣ وفيض القدير للمناوي ج ١ ص ٢٠٥.

(٤) تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠٦.

(٥) عجائب المخلوقات (مطبوع بهامش حياة الحيوان للدميري) ج ١ ص ١١٥.

السلام» ورأسه مع علي بن الحسين إلى المدينة»^(١).

والمفروض: أنهم قد مروا على كربلاء، وألقوا الرأس الشريف بالجسد الطاهر. ولا نريد أن نتوسع في إيراد الأقوال، ومن أراد، فليراجع الكتب والمصنفات^(٢).

الرواية في كلام ابن طاووس:

وقد فهم بعضهم من كلام ابن طاووس حين قال عن رأس الحسين «عليه السلام»: «فروي أنه أعيد دفن بكربلاء»: أنه يدل على وجود رواية عن المعصوم في هذا الشأن.

ولكننا نقول:

لا دلالة فيه على ذلك، لإمكان أن يكون مراده أن المؤرخين والناقلين للأحداث قد رَوَوْا ذلك..

كيف نوفق بين النصوص؟!:

ويبقى هنا سؤال يقول: إذا كان الرأس قد طيف به في بلاد الشام

(١) نزل الأبرار ص ١٦٠.

(٢) راجع على سبيل المثال: تاج المواليد للطبرسي ص ٣٣ والمطبوع ضمن مجموعة نفيسة ص ١٠٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٨٥ ونفس المهموم ص ٤٦٦ ومقتل الحسين للمقرم ص ٣٦٢ وتعليقة كتاب: رأس الحسين لابن تيمية (تحقيق السيد الجميلي) ص ١٨٧ و ١٩٧.

وغيرها، وكان أيضاً قد أرسل إلى المدينة، ثم أعيد إلى الشام. فذلك يحتاج إلى وقت طويل، لا يتلاءم مع القول: بأن السجاد «عليه السلام» قد طلب الرأس من يزيد، فأعطاه إياه، فاصطحبه إلى كربلاء، ودفنه مع الجسد الشريف.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: هناك من ينفي أن يكون الرأس قد حمل إلى المدينة، إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وإنما كتب إليه عبيد الله بن زياد «لعه الله» ببشره بقتل الحسين «عليه السلام»، فقرأ كتابه على المنبر، وأنشد الرجز المذكور. وأوماً إلى القبر قائلاً: يوم بيوم بدر، فأنكر عليه قوله قوم من الأنصار^(١).

ثانياً: إذا كان يزيد قد صلب الرأس على باب دار الإمارة، وفي جيرون ثلاثة أيام، فلا مانع من أن يكون قد أرسله بعدها مباشرة بالبريد إلى المدينة، فإن البريد قادر على قطع المسافة بينها وبين الشام في أقل من يومين.

بل قد يقال: إنها لا تحتاج إلى أكثر من يوم واحد إذا تواصل سير البريد بالسرعة القصوى، فلو ذهب الرأس الشريف إليها، وعاد منها إلى الشام في غضون ثلاثة أو أربعة أيام، فإنه يبقى أمام يزيد حوالي

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧١ عن شيخه أبي جعفر. والنصائح الكافية ص ٧٥ وفلك النجاة في الإمامة والصلاة ص ٥٩.

أسبوع، يمكنه فيه أن يطيف الرأس في بعض بلاد الشام بالإضافة إلى المدينة المنورة، من خلال بريده السريع أيضاً، ثم سلم الرأس الشريف إلى الإمام زين العابدين «عليه السلام».. فيكون قد جمع بين الأمرين.

البريد وسيلة سريعة:

قلنا فيما سبق: إن البريد عبارة عن إقامة منازل للخيالة على طول الطريق بين بلدين، فإذا سلمت الرسالة للمنزل الأول أطلق لفرسه العنان ليصل إلى المنزل الثاني بالسرعة الممكنة، فيأخذ خيال المنزل الثاني الرسالة، أو الحاجة من يد الأول، وينطلق ليوصلها إلى الثالث، وهكذا تتواصل هذه العملية إلى أن تصل الرسالة إلى أهلها بسرعة..

وقد قلنا: إن الخيل يمكن أن تسير في الساعة ستين كيلومتراً أو أكثر..

في أي مكان في الشام؟!

إن مما يضحك أو يبكي: أن نجد بعض الناس يدّعي: أن رأس الحسين «عليه السلام» كان في مسجد دمشق، على رأس أسطوانة، قال ابن حبان: «وقد رأيت ذلك العمود»^(١).

(١) ربيع الأبرار ج ٣ ص ٣٤٩ والثقات لابن حبان ج ٣ ص ٦٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٥.

إلا أن يقال: لعل المراد: أنه وضع على رأس ذلك العمود ليراه الناس، وبعد ذلك أخذ إلى الموضع الذي دفن فيه..

وقد تقدمت الأقوال الكثيرة في موضع دفنه: في النجف، أو كربلاء، أو الرقة، أو عسقلان، أو مصر، أو الشام.. إلى آخر ما تقدم. **وقال ابن حبان أيضاً:** «ومنهم من زعم: أن رأسه بقبر معاوية. وذلك أن يزيد دفن رأسه في قبر أبيه، وقال: أحسنه بعد الممات»^(١).

وقال السيد هاشم معروف الحسني:

ممن رجح دفنه في دمشق: ابن أبي الدينار البلاذري في تاريخه، والواقدي أيضاً، وهؤلاء بين من ذهب إلى أنه مدفون بباب الفرديس، وبين من ذهب إلى أن يزيد بن معاوية دفنه في قبر أبيه، وبين من ذهب إلى أنه دفن في المسجد.

وقيل: في سور البلد، وبعد ذلك نقل من دمشق إلى عسقلان بواسطة الفاطميين، وبقي بها إلى القرن الخامس الهجري.

وممن ذهب إلى ذلك: عثمان مدوخ في كتابه «العدل الشاهد في تحقيق المشاهد»، فقد قال في كتابه - بعد أن عرض هذه المراحل :-

والدليل على ذلك: أن بعض العلماء عمد إلى مكان قديم قريب من باب الفرديس، وشرع في هدمه، ليجعله خزانة لحفظ الكتب، فعثر على

(١) الثقات لابن حبان ج ٣ ص ٦٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٥.

طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير، مكتوب عليه بالنقش في الحجر، ما فهموا منه: أن ذلك مشهد رأس الإمام الحسين السبط «عليه السلام»، فرفعوا ذلك إلى والي الشام، فذهب ورأى ذلك بنفسه، وأمرهم أن لا يحدثوا في هذا شيئاً.

ثم رفع الأمر إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان، ابن السلطان محمود خان، فأمر بكشف ذلك المكان، بحضور جمهور من العلماء والأمرء، ووجوه الناس، وكشفوا الحجر الذي عليه الكتابة، فوجدوا فجوة خالية ليس فيها شيء، وبعد أن رآها الحاضرون أمر بسدها كما كانت، ورفع ذلك إلى السلطان عبد المجيد، فأمر بصنع طوق من الفضة حوالي الحجر.

ومضى المؤلف يقول: وكنت أعلم مقدار وزنه، وأظنه سبعة آلاف درهم.

واستطرد يقول: إن هذه الأمانة تدل على أن هذا الرأس دفن بدمشق، وبعدها بنحو مئة عام ظهر مشهد عسقلان، وانتقل من عسقلان إلى القاهرة بواسطة الملك الصالح طلائع في نصف القرن السادس^(١).

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ج ٢ ص ٨١.

الباب الرابع:

إلى الشام..

الفصل الأول:

أحداث في طريق الشام..

السبايا إلى الشام:

تقدم: أن ابن زياد «لعنه الله» أرسل الرؤوس، والسبايا إلى الشام.. وقد ذكرنا بعض ما يرتبط بالرؤوس ودفنها.. ودفن رأس الإمام الحسين «عليه السلام».. وأشرنا إلى بعض الأقوال في ذلك، وإن لم نستقصها كلها، لأن بعضها ظاهر السخف والسقوط..

سبايا أهل البيت فقط:

وذكرنا أيضاً: أن ابن زياد «لعنه الله» أمر بالمسير بالسبايا إلى الشام. ولكن هل أرسلت جميع السبايا إلى الشام؟! أو خصوص سبايا أهل البيت «عليهم السلام»؟!

يقول بعض أهل العلم: «بقيت عيالات غير الطالبين من أنصار الحسين «عليه السلام» بالكوفة، وذلك لأنهن حين الوصول إلى الكوفة شفع فيهن ذوو قرباهن من القبائل عند ابن زياد، فأخذوهن من السبي، وسبيت الهاشميات الطالبيات إلى الشام»^(١).

(١) إِبصار العين للسماعي ص ١٣٣ ووسيلة الدارين للزنجاني ص ٤١٤.

ونقول:

لا نعرف المصدر الذي أخذ منه ناقل هذا الخبر، ولكننا نقول:

١ - إن شفاعة بعض القبائل بالنساء اللواتي حضرن كربلاء مع أزواجهن، وسباهن ابن زياد وبنو أمية، لم يكن من منطلق إيماني، أو من شعور إنساني.. بل كان تحاشياً من أن يعيروا بسبي نسائهم، فتنحط مكانتهم، ويذهب بهاؤهم في مجتمعهم، حيث تزدريهم القبائل.

فشفاعتهم على هذا ما هي إلا استجابة لأنانيتهم، ودرءٌ لضرر يروونه متوجهاً إليهم، ولم يكن سببها الغيرة على النساء، والشفقة عليهن من استمرار البلاء، ولا امتثالاً لأمر جبار السماء..

ولو كان ثمة شيء من ذلك لثارت حميتهم الدينية، ومشاعرهم الإنسانية، وغيرتهم، وشهامتهم لسبي أظهر الناس، وأتقاهم، وأنقاهم، وأحبهم إلى الله، ومن هم مصدر عزهم، ومنار سبيلهم، وعنوان كرامتهم، وهم أهل بيت نبيهم.

٢ - ما معنى أن يشارك هؤلاء القوم في قتل الرجال، والتمكين من سبي النساء، ثم تدركهم نفحة من حمية، هي عصارة من أنانيتهم وعنجهيتهم، فيشفعون بخصوص من لهم بهن قرابة، بهدف حفظ الواجهة الموهومة، وتوهم صون الكرامة المدعاة زوراً، حيث لا كرامة؟!!

٣ - أما ابن زياد، فكان يريد أن يتخلص من هذا العبء، عبء سبي نساء بعض القبائل، ليس لأجل أن يتخلص من تبعاته، بل ليتاجر به، ويقبض ثمنه طاعة، وخضوعاً، وذلة وخنوعاً من القبائل المعنية.

وليظهر بمظهر المتفضل عليهم، بغض الطرف عن مشاركة نسوة منهم في الولاء والحب لأهل البيت «عليهم السلام» أو عدمه..

الطريق إلى الشام:

ومن الأمور التي نحتاج إلى التذكير بها قبل أن نبدأ بعرض النصوص، هي أننا لا نريد أن نفيض في تحديد الطرق التي سلكوها بالأسرى، حتى وصلوا إلى الشام، بل سوف نقتصر على ما ألمحت إليه النصوص التي حفلت بها المصادر المعتمدة، لنحدد الطريق التي سلكوها، ولا نعبأ بما ورد في الكتب المتأخرة، فإنها موضع غمز وريب، إلا إذا وجدنا في المصادر المتقدمة ما يؤيده ويسدده.

نقول هذا مع تأكيدنا على أننا لا ننتهم هؤلاء المؤلفين بشيء يسيء إلى مكانتهم.

غاية الأمر: أنهم قد يسجلون ما يسمعون من أفواه الرجال، أو يسجلون ما يتوقعونه ويفترضونه.

أما نحن، فالمعيار عندنا هو ما يروى في النصوص المعتمدة، والمعتمدة.. فإن وجدنا فيها حديثاً عن مقام في حلب مثلاً، فإننا نعرف: أن السبايا قد مروا في حلب في مسيرهم. وإن وجدنا ما يشير إلى أنهم مروا على بعلبك، فالأمر أيضاً كذلك.

ولا نتجاوز ذلك إلى تحديد المنازل، والمسارات وما إلى ذلك، فلعل المسالك قد تبدلت وتحولت، فإن ذلك يحصل لأسباب مختلفة، كالسبب الأمني، أو للعثور على مسالك أيسر، وأكثر ملاءمة وسهولة، أو

لأجل توفر عناصر حيوية للمسافرين، أو لأجل أهداف سياسية، أو إعلامية، أو غير ذلك..

لماذا هذا الطريق؟!:

١ - إننا نشعر أن يزيد بن معاوية هو الذي رسم لقافلة السبايا مسالكها إلى دمشق، وحدد لها المنازل، والبلاد التي يجب أن يمروا فيها.

وقد ظهر أن مسارهم هذا كان قد حدد من قبل الذين اختاروه وفرضوه، انسجاماً مع خطة خبيثة وحاقدة، تؤكد حقيقة أن يزيد كان يعني ما يقول في الشعر الذي تمثل به، وزاد عليه إقراره على نفسه بالكفر بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء، ولا وحي نزل
وقوله:

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
وغير ذلك..

٢ - إن من يلاحظ مسار السبايا، والبلاد التي مروا بها يجد أن أكثر سكانها ليسوا من المسلمين، بل من النصارى غالباً، وهذا هو حال مدن شمال العراق، بدءاً من تكريت ومدن الجزيرة، وشمال بلاد الشام، وغير ذلك.

فلماذا يراد لهم أن يكون مرورهم في بلاد غير المسلمين؟! أليس

لأجل أن يظهروا شماتتهم، وبهجتهم، وفرحهم العام بما جرى على أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

٣ - إن هذا يفسر لنا ما كان يجري حين يمرون بالسبايا والرؤوس على بعض الأديرة، وكيف كان الرأس الشريف يتكلم، أو تشرق أنواره، أو تظهر يد تكتب، وغير ذلك مما يدعو بعض مسؤولي تلك الأديرة إلى دفع مبالغ طائلة، ليحظوا بمبيت الرأس عندهم. كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٤ - إننا نعلم: أن أم يزيد بن معاوية كانت نصرانية من بني كلب، وقد أمضى معظم أوقاته في نشأته مع أمه، التي كانت قد هجرت أباه^(١).

وكانت تلبس الصليب في قصر معاوية بالذات.

٥ - لقد كان خروج السبايا من الكوفة في اليوم الثالث عشر حسبما أوضحناه. بعد أن وصل كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد «لعنهما الله»، الذي يأمره فيه بإرسالهم إليه. (ولعله حدد لهم مسير الركب في هذا الكتاب أيضاً).

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٦ وحياة الحيوان ج ٢ ص ٣٤٢ والأعلام للزركلي ج ٧ ص ٣٣٩ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٥ ص ٤٠٠ و ج ٧٠ ص ١٣٠ و ١٣٤ وتنزيل الآيات ص ٤٥٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٤٣٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٤٣

وقد قلنا: إن الكتاب المرسل في البريد المعتمد على سير الخيل يحتاج لقطع المسافة بين الكوفة ودمشق إلى أقل من يوم وليلة. وإذا كانت المراسلة بين يزيد وابن زياد بواسطة الحمام الزاجل، فلا يحتاج إلى هذا المقدار من الوقت أيضاً.

وإذا كان يزيد قد أمر ابن زياد بأن يرسل إليه بما يجري معه كل يوم، كما دلت عليه النصوص^(١). فهذا يقتضي أن يكون يزيد قد أرسل بأوامره إلى ابن زياد بعد يوم عاشوراء بيوم واحد: أن يرسل إليه بالرووس والسبايا.

وعلى أن نتذكر أن يزيد قد كتب إلى عامله على المدينة بأخذ البيعة من أهل المدينة في رسالة صغيرة. وأنه إذا امتنع الإمام الحسين «عليه السلام» عن البيعة أن يقتله ويرسل برأسه إليه.

ومن المعلوم: أن يزيد قد أمر ابن زياد أيضاً بقتل الحسين في

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٨٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٣٠٧ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٦٥ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٥٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٠٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٢٩ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٣٤٢ و (ط الأعلمي) ج ٢ ص ٨٥ والأخبار الطوال ص ٢٤٢ والفتوح لابن أعمم ج ٥ ص ٦٣ والأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٩٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٧٨.

رسالة له ذكرها اليعقوبي وغيره^(١). فهل لم يطلب منه فيها أن يرسل برأسه إليه، كما طلب من واليه على المدينة؟!

وإذا لم يذكر ذلك في رسالته هذه، أو لم يذكر المؤرخون هذه الفقرة، تخفيفاً عنه، فمن الذي قال: إنه لم يرسل إليه رسالة أخرى أرفقها بها، كأذن الفأرة، كما فعل مع واليه على المدينة.

وعلى هذا نقول:

إذا كان وصول السبايا إلى دمشق قد حصل في أول يوم من شهر صفر.. فلماذا طال مكثهم في هذا الطريق إلى أسبوعين، أو أسبوعين ونيفاً؟!

ألا يدلنا ذلك: على أن ثمة تعمداً للتشهير بهم في البلاد، وإذلالهم بين العباد؟! خصوصاً في بلاد النصارى؟!

٦ - يؤكد ذلك: أن المسار الطبيعي للأمر - لو لم يكن هناك أهداف أخرى - هو التسريع في إيصال الركب إلى دمشق، لا التأخير، وربما كان من أسباب هذا التأخير ما يلي:

أولاً: ضمان عدم تعرض هذا الركب لمهاجمة بعض الفئات التي قد يدفعها حماسها لطرد حراس الركب، وتحرير السبايا من أيدي ظالمهم، وفي هذا كسر لهيبة السلطان، ويوجب تعقيد الأمور أكثر مما هي عليه..

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي (ط النجف الأشرف) ص ٢٢٩.

ثانياً: إن المتوقع ممن يرى نفسه منتصراً أن يستعجل رؤية نتائج ما أقدم عليه، وأن يستثمر الجهد الذي بذله، والتعجيل بإحضار من يريد أن يواصل التنكيل بهم، والتنفيس عن حقه، وإظهار الشماتة الكامنة في أعماق نفسه تجاههم..

٧ - ومعنى هذا: أن هذا الإبطاء، إن كان من دون أمر يزيد ورضاه، فهو يعرض فاعليه لغضبه وعقوبته، وإن كان بأمره ورضاه، فلا بد أن يكون له هدف أهم عنده من الإسراع. وهو ما ذكرناه من إرادة التشهير بهم، ولاسيما في بلاد النصارى، وإظهار شوكرته وقوته، والتودد لغير المسلمين، بقتل أبناء النبيين.

طريق عودة السبايا:

ويبقى سؤال يقول: إذا كان ذهاب السبايا إلى الشام قد استغرق أكثر من أسبوعين.. فكم من الوقت استغرقت عودتهم من الشام إلى كربلاء؟!

ونجيب:

بأن المسافة بين الشام وكربلاء أقل بكثير من المسافة من الشام إلى الكوفة، وقد يصل الفرق إلى ثمانين كيلومتراً، وقد قالوا: إن الطريق بين الشام والكوفة، الذي هو الطريق السلطاني^(١). ربما يصل إلى تسع مئة كيلومتر أو يزيد قليلاً.

(١) راجع في بيان منازلهم: المسالك والممالك لابن خردادبه ص ٩٩.

وقد تختصر هذه المسافة إلى أقل من ذلك، إذا كان هناك خبير بالطرق والمسالك.. وقد تقطع هذه المسافة في وقت قصير جداً، فقد قالوا: إن رافع بن عميرة الطائي (وهو رافع بن أبي رافع) الذي كان لصاً في الجاهلية قد قطع بخالد بن الوليد المسافة من الكوفة إلى الشام في خمس ليال^(١).

وأما قطع هذه المسافة في أسبوع، أو ثمانية أيام، فعليه شواهد عديدة.

وقد سار عامر بن (أبي) ربيعة، ومعه مئة (مئتا) ألف مقاتل من الشام إلى الكوفة في عشرة أيام^(٢).

بل هناك من قطع المسافة بين الكوفة والشام ذهاباً وإياباً في سبعة أيام فقط، فإن أبا بكره استأجل بسر بن أبي أرطاة أسبوعاً ليأتيه بكتاب من معاوية في الشام في شأن بعض من كان يريد قتله، فأجله أسبوعاً، فذهب من الكوفة إلى الشام^(٣)، ورجع إلى الكوفة ومعه كتاب معاوية

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ١٥ و ج ٢ ص ٨٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٩ والفتوح لابن أعثم ج ١ ص ١٠٩ وفتوح الشام ج ١ ص ٢٥ وإكمال الكمال ج ٦ ص ٢٧٩ وتوضيح المشتبه ج ٣ ص ٣٦٥ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٨٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٠٨.

(٢) قرعة العين (ط النجف) ص ١٢٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ١٦٧ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨

في غضون أسبوع واحد فقط، فيكون قد قطع المسافة من الكوفة إلى الشام بثلاثة أيام ونصف. وكذلك العكس.

وهذا يعني: أن يتمكن من قطع المسافة بين الشام و كربلاء ذهاباً وإياباً بستة أيام أو أقل.

وسيأتي: أن هناك من قطع المسافة من البصرة إلى الكوفة في يوم وليلة.

وهناك من قطع المسافة بين مكة والمدينة في يوم وليلة أيضاً.. وقد وصل خبر استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام» من المدينة إلى البصرة في يومين.

وبهذا لا يبقى إشكال في حضور السبايا إلى كربلاء يوم الأربعاء إذا كان الإمام السجاد «عليه السلام» قد عاد من هذا الطريق، حتى لو بدأ مسيره من الشام إلى كربلاء في الخامس عشر، أو في السادس عشر من شهر صفر.

شواهد ومؤيدات:

نعود لنذكر القارئ الكريم: بأن لدينا شواهد ومؤيدات لما ذكرناه، من أن الذهاب بالأسارى من الكوفة إلى الشام كان من طريق طويل غير هذا الطريق الأقصر، و قد اختاروه لهم للتشهير بهم بين

وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٥ ص ١٨٩ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤١٥ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٢٩٢.

النصارى، الذين سوف يسهل عليهم إظهار الشماتة بهم، والاستخفاف بدينهم، والتندر المبذل برموزهم، ومحاولة إذلالهم.

وسيكون ذلك أكثر سهولة عليهم إذا علموا أن ذلك يرضي يزيد، ويزيدهم عنده حظوة، ونفوذاً وشوكة، وتصير كلمتهم مسموعة، وتكون لهم الأثرة والتقدم لديه.

كما أن المرور بهذا الطريق لا يبقى مجالاً للمتحمسين من المسلمين وأهل الدين لبذل المحاولة لتحرير الأسرى، ومهاجمة أسريهم، لأن الغلبة والكثرة في معظم الطريق هي لغير المسلمين.

ونذكر هذه الشواهد على سبيل الاختصار أولاً.. على أن يأتي تفصيلها عن قريب إن شاء الله، وهي التالية:

١ - قصة راهب الدير في قنسرين، الواقعة في شمال الشام، مع رأس الإمام الحسين «عليه السلام»^(١).

٢ - يقول ابن شهر آشوب: «ومن مناقبه «عليه السلام» ما ظهر من المشاهد التي يقال لها: مشهد الرأس من كربلاء إلى عسقلان، وما بينهما في الموصل، ونصيبين، وحماة، وحمص، ودمشق وغير

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦٠ و ٦٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٧ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٠٣ و ٣٠٤ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١١٢ و ١١٣ والعوالم، الإمام الحسين ص ٦١٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١١٥.

ذلك»(١).

أي أن مشاهد الرأس كثيرة منتشرة من كربلاء إلى عسقلان. وقد أظهر الله تعالى لها كرامات ومعجزات كثيرة.

إلا أن يقال: إن هذا لا يصلح شاهداً على مرور السبايا من غير الطريق القصير المعروف، ولأجل ذلك لم يصرح بوجود السبايا، فلعل هذه المشاهد أقيمت بسبب وضع الرأس فيها حين طافوا به في البلاد.

٣ - سيأتي: أن ياقوت الحموي وغيره قد ذكروا: أن في غربي مدينة حلب الشهباء مقاماً يقال: إنه لسقط لإحدى نساء الحسين «عليه السلام»، اسمه المحسن، يقال: إنه سقط لما جيء بالسبي من العراق إلى دمشق، ومروا بهن من هناك. أو أنه طفل كان مع السبي، مات بحلب، فدفن هناك(٢).

٤ - قال أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي: «في مدينة نصيبين مشهد النقطة، يقال: إنه من دم رأس الحسين «عليه السلام».

٥ - وفي سوق النشابين مشهد الرأس، فإنه علق هناك لما عبروا

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٨٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٣٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٩.

(٢) راجع: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٤ و ١٨٦ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ١ ص ٤١١ - ٤١٤ ونهر الذهب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٩.

بالسبي إلى الشام»^(١).

٦ - قال كامل البالي الحلبي، الشهير بالغزي عن الإمام الحسين «عليه السلام»: «واحتز رأسه الشريف شمر بن ذي الجوشن، وسار به وبمن معه من آل الحسين إلى يزيد في دمشق، فمر بطريقه على حلب، ونزل به عند الجبل، ووضع على صخرة من صخراته، فقطرت منه قطرة دم، بني على أثرها مشهد عرف بمشهد النقطة»^(٢).

وهذا يشير إلى أن هؤلاء قد جاؤا بالسبي من الطريق المحاذي للفرات، ولم يأخذوا بالطريق السلطاني المعروف الذي يسير بمحاذاة نهر دجلة.

٧ - ويقول عماد الدين الطبري أيضاً: «فوصلوا إلى قبيلة، وطلبوا منهم علفاً لدوابهم، وقالوا: معنا رؤوس الخوارج نحملها إلى الأمير.

وهكذا ساروا بهذه الحجة حتى بلغوا بعلبك، فأمر القاسم بن الربيع عامل البلد بتزيينه، وحملوا الرأس إلى البلد مع آلاف الدفوف، والطبول، والمزامير والشبابات.

ولما علموا بأن الرأس رأس الحسين، خرج ما يقرب من نصف

(١) الإشارات في معرفة الزيارات (لعلي بن أبي بكر الهروي، المتوفى سنة ٦١١ هـ) ص ٦٦.

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٢٤.

البلد، وأحرقوا الأعلام، ومعالم الزينة والفرح، وقامت الفتنة أيلماً على ساق في البلد.

وهرب الذين معهم الرأس من البلد سرّاً»^(١).

ونقول:

١ - هذا شاهد على مرور السبايا في بعلبك، ويدل على أن أهالي هذا البلد قد وقفوا موقفاً كريماً ومشرفاً، يستحقون عليه الثناء والإكبار.

٢ - وهذا النص يدلنا على معلم من معالم الطريق الذي سلكه بالرووس والسبايا إلى دمشق.. فإذا أضيف إلى الشواهد السابقة، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً، ونقاءً، وصفاءً.

أهل الكوفة يودّعون السبايا:

قالوا: «لما حمل عبيد الله بن زياد ولد الحسين بن علي، وحُرّمه إلى يزيد بن معاوية شيعهم جمع من أهل الكوفة، فلما بلغوا النجف وقفوا لتوديعهم، فأنشأت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأنصاري	منهم أسارى وقتلى ضرجوا
ما كان هذا جزائي إذ نصحت	أن تخلفوني بسوء في ذوي

(١) كامل البهائي (ترجمة العلامة السيد محمد شعاع فاخر) ج ٢ ص ٢٦٠.

وَالشَّعْرُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ.

قال: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١) «(٢)».

ونقول:

إن تمثل أم كلثوم بأبيات أبي الأسود «رحمه الله»، لا بد أن يكون قد أخرج أهل الكوفة أيما إحراج، لاسيما وأن السؤال الذي وجهته إليهم، لا ينتهي مفعوله وأثره عند انفراط ذلك الجمع، ورجوع كل منهم إلى مقره، ومحيط عمله، بل سيبقى صدى هذه الأبيات يتردد في أعماق أعماقهم، وفي حنايا ضمائرهم، وسيجدون أنفسهم في جميع لحظات حياتهم مطالبين بالإجابة.

وما يزيد هذا الأمر مرارة: أن السائل بعد هذا الوداع لن يكون هو أم كلثوم، سواء ماتت أو عاشت.

بل السائل هو الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

(١) الآية ٢٣ من سورة الأعراف.

(٢) نور القبس المختصر من المقتبس ص ٩. ونسب الشعر لزينب بنت عقيل بن أبي طالب في المصادر التالية: شرح الأخبار ج ٣ ص ١٩٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ و ٢٠٠ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١١٨ و ١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٧٨ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢١.

وسيكون سؤاله هذا في يوم يفقد المجرمون فيه كل حيلة ووسيلة إذا فقدوا محبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومحبة أهل بيته..

والأهم من ذلك: أن هذا السؤال سيوجه إليهم على مرأى ومسمع من جميع الخلائق، وعلى رؤوس الأشهاد..

وهو جمع لا ينفرد إلا باتجاهين: إما إلى الجنة، وإما إلى النار. **وبديهي:** أن من يغضب عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه لا يشم ريح الجنة أبداً، وستكون النار مأواه ومثواه، وبئس المصير.

السجاد x في وداع أهل الكوفة:

وقد تحدث الإمام السجاد «عليه السلام» عن هذا الوداع أيضاً، فقد روي عن حُباب بن موسى، عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين [زين العابدين] «عليهم السلام»:

حُمِلْنَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَعَصَّتْ طُرُقُ الْكُوفَةِ بِالنَّاسِ يَكُونُ، فَذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ مَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجُوزُوا بِنَا لِكثَرَةِ النَّاسِ. فَقُلْتُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَتَلُونَا وَهُمْ الْآنَ يَبْكُونَ! (١).

ونقول:

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٥٠١ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٩.

١ - اللافت هنا: أن وداع أهل الكوفة للسبايا يشبه في أجوائه وحالاته يوم المجيء بهم أسارى إلى الكوفة.. إلا أن الحشود في هذا الوداع كانت فيما يبدو أعظم، وأضخم، وكان الناس في الوداع أكثر حماساً، وأشد انفعالاً.

٢ - إن هذا الحماس قد بقي في حدود الحزن العاجز والخائب، فإنهم مع كثرة حشودهم، ومع هذا الانفعال العاطفي لم تصدر منهم أية بادرة، بل لم تصدر منهم ولو كلمة واحدة تعبر عن استيائهم من سوء معاملة أسرى أهل بيت نبيهم، وحرمة، فقد أركبهم على الأقتاب من دون غطاء، ولا وطاء، وربطوهم بالحبال وهن مكشفات الوجوه، والشعور، كما يذكرون، وجعلوا الأغلال في عنق الإمام السجاد «عليه السلام»، وفي يديه، إلى غير ذلك من إجراءات خبيثة، ومؤلمة، وقاسية.

٣ - لو أن أهل الكوفة الذين قتلوا هذه الثلة المؤمنة من أهل البيت وأصحابهم كانوا نادمين فعلاً على ارتكابهم هذه الجريمة العظيمة وكانت حالتهم العاطفية بهذا المستوى من التوهج، فلماذا لا يفكرون، بالتكفير عن ذنبهم، ولو بحركة أو بكلمة حق أمام سلطان جائر؟!

ولأجل ذلك رأينا الإمام السجاد «عليه السلام»، يعلق على هذا الواقع المرير بكلمة واحدة تختصر كل التأويلات، والتبريرات الباردة والموهونة، حيث قال: «هؤلاء الذين قتلونا، وهم الآن يكون»!!.

أي أن المعايير لدى هؤلاء الناس كانت مفقودة، فإن من يقتل

بريئاً، بل يقتل أفضل الخلق، وأعلمهم، وأتقاهم، وأتقاهم جيباً، وأطهرهم نفساً وقلباً، ووجداناً وضميراً، من دون أي سبب أو مبرر لهذا القتل، سوى أنه استجاب لاستغاثة قاتليه به.

٤ - إن من يرتكب جريمة كبيرة كهذه، لا بد أن يكون في غاية السوء، وفي منتهى القسوة، وفي أشد حالات الطغيان والخيبة، والخذلان.. فكيف نصدق أنه صار الآن رقيق القلب، سخي الدمعة، فياض المشاعر، مشبوب العاطفة؟!!

إن هذا الأمر لا يمكن أن يخدع ذوي البصيرة والدراية.. وإذا كان هؤلاء قد صاروا كذلك بالفعل، بعد أن ذهبت السكره، وجاءت الفكرة، فلماذا رضوا بعد أن استيقظوا من غفلتهم، وصحوا من رقدتهم بهذا الظلم والاذلال لأهل بيت نبيهم، وهم مجرد نساء وصبيان. لا حول لهم ولا قوة، ولم يأخذوهم بذنب، ولا رأوا منهم أي خطأ؟!!

ابن زياد يقترض تكاليف السفر:

قالوا:

«وقدم رسول من قبل يزيد بن معاوية يأمر عبيد الله أن يرسل إليه بثقل الحسين، ومن بقي من ولده وأهل بيته ونسائه، فأسلفهم أبو خالد (ذكوان) عشرة آلاف درهم، فتجهزوا بها..»^(١).

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٥ وترجمة

الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨١ وراجع: تهذيب الكمال ج ٦

ونقول باختصار شديد وأكد:

إن بني أمية كما قال عنهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً^(١). وحسبهم أنهم بمجرد أن علقت مخالبتهم بالخلافة من خلال عثمان، ظهرت منهم الأعاجيب، حتى وصفهم علي «عليه السلام» بقوله:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضْنِيهِ، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»^(٢).

توضيحات:

نافجاً: رافعاً.

النثيل: روث الدواب.

المعتلف: موضع العلف.

الخضم: أكل الشيء الرطب.

ص ٤٢٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٠٤ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٩ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٥.

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ١٢٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ٢٨٤ وج ٤ ص ٩٢ و ١٨١ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ٥ ص ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الشقشقية رقم ٣.

انتكث: انتقض.

الفتل: هو الحبل التي تلوى خيوطه، لكي تلتف على بعضها، فإنك كلما لويت واحداً منه التف على الآخر، وصار أكثر إحكاماً.
أجهز عليه: أتم قتله.
كبا الجواد: سقط لوجهه.
البطنة: التخمة.

وقد ازدادت الأمور سوءاً في الأدوار اللاحقة لعهد عثمان، ولاسيما حين تولى أمر الأمة راع مثل يزيد وابن زياد «لعنهما الله».

وبعدما تقدم نقول:

هل يمكن أن نصدق: بأن من بيدهم خزائن أموال الأمة أن تكون هذه الأموال قد نفدت من أيديهم، حتى احتاجوا إلى اقتراض عشرة آلاف درهم من إنسان عادي، لينفقوها على أسراهم في مسيرهم من الكوفة إلى الشام؟! الكوفة إلى الشام؟! وهل كانوا بحاجة إلى هذا المقدار الكثير، لسفر قصير، وجماعة قليلة؟! قليلة؟!!

وكيف وأين تبخرت أموال الأمة من أيديهم؟! وكيف لم يبقوا منها شيئاً. فلعل طارئاً طرأ عليهم، يحتاجون معه إلى نفقات كثيرة، وتجهيز جيوش جرارة؟!!

ولماذا بذل لهم ذكوان هذا المبلغ، وساعدهم على التشفي والشماتة، والإذلال لأهل بيت نبيه، وإضعاف أمرهم..

الفصل الثاني:

من الكوفة إلى الشام..

الإطلاق من الكوفة:

ونذكر فيما يلي نصوصاً كثيرة حول الإطلاق من الكوفة أولاً،
وحول شذائد الطريق على السبایا ثانياً، نأخذها مع مصادرها من
كتاب موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام»، وهي التالية:

١ - عن الغاز بن ربيعة الجرشي: إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ أَمَرَ بِنِسَاءِ الْحُسَيْنِ
وَصِيبِيَانِهِ فَجَهَّزَنَ، وَأَمَرَ بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فَعُلَّ بِغُلٍّ إِلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ سَرَّحَ
بِهِمْ مَعَ مُحَقَّرٍ^(١) بَنِ ثَعْلَبَةَ الْعَائِذِيِّ - عَائِذَةُ قُرَيْشٍ -، وَمَعَ شِمْرِ بْنِ ذِي
الْجَوْشَنِ.

فَانْطَلَقَا بِهِمْ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ [عن أبي مخنف: وكان مع زحر
أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان]، [وعند الدينوري:
مع زحر بن قيس، ومحقن بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن].

(١) ورد ضبط هذا الشخص بأشكال عديدة في نقول مختلفة، منها: محقّر،
محقن، مخفر، محقر، محقز، مجفز. والأكثر رواية «محقز». والظاهر أنه
الصواب.

قَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمَا فِي الطَّرِيقِ كَلِمَةً حَتَّى بَلَّغُوا^(١).

٢ - إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ بَعْدَ إِنْفَاذِهِ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» أَمَرَ بِنِسَائِهِ وَصِيبِيَانِهِ فَجَهَّزُوا، وَأَمَرَ بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فَعَلَّ بَعْلًا إِلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ سَرَّحَ بِهِمْ فِي أَثَرِ الرَّأْسِ مَعَ مُجَفَّرٍ^(٢) بِنِ ثَعْلَبَةَ الْعَائِذِيِّ وَشِمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ، فَأَنْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى لَحِقُوا بِالْقَوْمِ الَّذِينَ مَعَهُمُ الرَّأْسُ. وَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنَ الْقَوْمِ فِي الطَّرِيقِ كَلِمَةً حَتَّى بَلَّغُوا^(٣).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٠ وراجع ص ٤٦٣ و ٤٥٩ و (ط) (الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٤٤٥ و ج ٥٧ ص ٩٨ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤١ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٥ و (ط) دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٤ والأخبار الطوال ص ٢٦٠ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٣١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٤ و ١٩١ و (ط) دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١١ وفيه «محقر بن ثعلبة العائذي» وكلاهما نحوه.

(٢) كذا في المصدر، وإعلام الوری، وفي مثير الأحزان، وبحار الأنوار: «مخفر».

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ١١٩ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٣ ومثير الأحزان ص ٩٦ و (ط) المكتبة الحيدرية) ص ٧٦ نحوه، وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٠ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٣

٣ - أخرج عيالُ الحسين «عليه السلام» وولدهُ إلى الشام، ونُصِبَ رأسُهُ على رُمح^(١).

٤ - حُمِلَ أهْلُهُ [أي أهلُ الحسين «عليه السلام»] أسرى، وفيهم: عمرُ، وزيدُ، والحسنُ، بنو الحسن بن عليّ بن أبي طالب «عليه السلام».

وكان الحسن بن الحسن بن عليّ قد ارتث^(٢) جريحاً، فحُمِلَ معهم، وعليّ بن الحسين «عليه السلام» الذي أمُّه أمّ ولد^(٣)، وزينبُ العَقِيلَةُ، وأمّ كلثوم بنتُ عليّ بن أبي طالب، وسكينة بنتُ الحسين^(٤).

٥ - عن حاجب بن زياد: أمرَ [عبيدُ الله بن زياد] بالسَّبايا ورأس الحسين «عليه السلام»، فحُمِلوا إلى الشام، فلقد حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ كانوا خَرَجُوا فِي تِلْكَ الصُّحْبَةِ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ بِاللَّيَالِي نَوْحَ الْجَنِّ عَلَى

نحوه.

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) ارتث: أي حُمِل من المعركة رثيئاً، أي جريحاً وبه رمق. راجع: الصحاح ج ١ ص ٢٨٣ «رثث».

(٣) راجع: موسوعة الإمام الحسين ج ١ ص ١٩٧ (القسم الأول - الفصل الخامس - شهر بانو) وص ٢٣٥ (الفصل السادس - عليّ الأوسط زين العابدين «عليه السلام»).

(٤) مقاتل الطالبين ص ١١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٩.

الحُسَيْن «عليه السلام» إلى الصَّبَّاح^(١).

شدائد الطريق:

وتؤكد النصوص الكثيرة على أن ما عاناه أهل البيت «عليهم السلام» في أسرهم من شدائد وأذايا كان قاسياً ومريراً، سواء في ذلك ما عانوه في الطريق. أو ما مر عليهم في الشام نفسها.

والنصوص التالية توضح لنا جانباً من معاناتهم في مسيرهم من الكوفة إلى الشام.

١ - قال سبط ابن الجوزي: كَتَبَ إِلَيْهِ [أي إلى يَزِيدَ] ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا يَزِيدُ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الشَّمَاتَةِ حَمْلَكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَطْفَالَهُ وَحُرْمَهُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ أَسَارَى مَجْلُوبِينَ مَسْلُوبِينَ، تُرِي النَّاسُ قُدْرَتَكَ عَلَيْنَا. وَأَنْتَ قَدْ قَهَرْتَنَا وَاسْتَوْلَيْتَ عَلَى آلِ رَسُولِ اللَّهِ.

وفي ظَنِّكَ أَنْتَ أَخَذْتَ بِثَأْرِ أَهْلِكَ الْكَفَرَةَ الْفَجْرَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَظْهَرْتَ الْإِنْتِقَامَ الَّذِي كُنْتَ تُخَفِّيه، وَالْأَضْغَانَ الَّتِي تَكْمُنُ فِي قَلْبِكَ كُمُونَ النَّارِ فِي الزَّنَادِ الْخ.^(٢)

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ٢٣٠ الرقم ٢٤٢ وروضة الواعظين ص ٢١٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٥ وراجع هذه الموسوعة: ج ٥ ص ٥٢ (الفصل الثاني: ما ظهر من الآيات - نياحة الجن).

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٣٩ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٨ -

٢ - قال ابن الصباغ المالكي:

أَرْسَلَ [عُبَيْدُ اللَّهِ] بِالنِّسَاءِ وَالصَّبَّيَّانِ عَلَى أَقْتَابِ الْمَطَايَا وَمَعَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ زِيَادٍ الْغُلَّ فِي يَدَيْهِ وَفِي عُنُقِهِ، وَلَمْ يَزَالُوا سَائِرِينَ بِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا الشَّامَ^(١).

٣ - جاء في زيارة النَّاحِيَّة: رُفِعَ عَلَى الْقَنَا رَأْسُكَ، وَسُبِّي أَهْلُكَ كَالْعَبِيدِ، وَصُقِّدُوا فِي الْحَدِيدِ فَوْقَ أَقْتَابِ الْمَطِيَّاتِ، تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ حَرُّ الْهَاجِرَاتِ^(٢)، يُسَاقُونَ فِي الْبَرَارِي وَالْقَلَوَاتِ، أَيْدِيهِمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى الْأَعْنَاقِ، يُطَافُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ^(٣).

٤ - قال ابن أعثم:

فَسَارَ الْقَوْمُ بِحُرْمِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» مِنَ الْكُوفَةِ

٢٥٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٦٤٣ والمعجم الكبير ج ١٠ ص ٢٤٣ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٥٢ والدرجات الرفيعة ص ١٣٨.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩١ و (نشر دار الحديث) ج ٢ ص ٨٣١ ونور الأبصار ص ١٤٤ وراجع: جواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٣ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٧ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣.
(٢) الهجير والهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار. راجع: النهاية ج ٥ ص ٢٤٦ «هجر».

(٣) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٥٠٥ ومصباح الزائر ص ٢٣٣ وبحار الأنوار ج ١٠١ ص ٢٤١ و ٣٢٢.

إلى بلاد الشام، على محاملٍ بغير وطاءٍ، من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن منزلٍ إلى منزلٍ، كما تُساقُ أسارى التُّرك والدَّيلم.

وسَبَقَ زَحْرُ بْنُ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إلى دِمَشْقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ^(١).

- ٥ - عن عبد الملك بن هشام النحويِّ البصريِّ: أَنفَذَ ابْنُ زِيَادٍ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْأَسَارَى مُوْتَقِينَ فِي الْحِجَالِ، مِنْهُمْ نِسَاءٌ وَصِيبَانٌ وَصَيَّاتٌ مِنْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» عَلَى أَقْتَابِ الْجِمَالِ مُوْتَقِينَ، مُكْتَشَفَاتِ الْوُجُوهِ وَالرُّؤُوسِ^(٢).
- ٦ - أَنفَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ رَأْسَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عليه السلام» إِلَى الشَّامِ مَعَ أَسَارَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» عَلَى أَقْتَابٍ^(٣)، مُكْتَشَفَاتِ الْوُجُوهِ وَالشُّعُورِ^(٤).
- ٧ - عن كتاب المصابيح بإسناده عن جعفر بن مُحَمَّدٍ، عن أبيه

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥.

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٤٩٨ وج ٢٧ ص ٣٧٤.

(٣) القَتَب: رحل صغير على قدر سنام. راجع: الصحاح ج ١ ص ١٩٨ مادة «قَتَب».

(٤) الثَّقَات لابن حَبَّان ج ٢ ص ٣١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٢ عن السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٠.

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ [الباقِر] «عليهما السلام»: سَأَلْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» عَنْ حَمَلٍ يَزِيدُ لَهُ، فَقَالَ: حَمَلَنِي عَلَى بَعِيرٍ يَطْلُعُ^(١) بِغَيْرِ وَطَاءٍ، وَرَأْسُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» عَلَى عِلْمٍ، وَنِسْوَتُنَا خَلْفِي عَلَى بَغَالٍ أَكْفٍ^(٢)، وَالْفَارِطَةُ^(٣) خَلَفْنَا وَحَوْلْنَا بِالرَّمَّاحِ، إِنْ دَمَعَتْ مِنْ أَحَدِنَا عَيْنٌ قَرَعَ رَأْسُهُ بِالرُّمَحِ، حَتَّى إِذَا دَخَلْنَا دَمَشَقَ صَاحَ صَائِحٌ: يَا أَهْلَ الشَّامِ هَؤُلَاءِ سَبَايَا أَهْلِ الْبَيْتِ الْمَلْعُونِ^(٤).

٨ - كَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَخَبَرَ أَهْلَ بَيْتِهِ...

وَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ كِتَابُ ابْنِ زِيَادٍ وَوَقَفَ عَلَيْهِ، أَعَادَ الْجَوَابَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِحَمَلِ رَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»

(١) هكذا في المصدر، والظاهر: أَنَّ الصواب: «يُظْلَع»، قال ابن الأثير :

الظَّلْع: العَرَج. راجع: النهاية ج ٣ ص ١٥٨ مادة «ظلع».

(٢) إكاف الحمار: بَرَدَعْتُهُ، وهو في المراكب شبه الرحال والأقتاب. راجع: تاج

العروس ج ١٢ ص ٨٧ مادة «أكف». قال المجلسي «رحمه الله»: أي

كانت البغال بإكاف - أي برزعة - من غير سرج. راجع: بحار الأنوار

ج ٤٥ ص ١٥٤.

(٣) قَرَطَ: شَتَّم، وَقَرَطَ عَلَيْهِ: آذَاهُ، وَأَفَرَطُهُ: أَعْجَلُهُ. راجع: تاج العروس ج ١٠

ص ٣٦٥ مادة «فرط».

(٤) إقبال الأعمال ج ٣ ص ٨٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٤ ح ٣ والعوالم،

الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٣.

ورؤوس من قُتِلَ مَعَهُ، وَبَحَمَلِ أَثْقَالِهِ وَنِسَائِهِ وَعِيَالِهِ.

فَاسْتَدْعَى ابْنُ زِيَادٍ بِمُحَقَّرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْعَائِذِيَّ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الرُّؤُوسَ وَالْأَسَارَى وَالنِّسَاءَ، فَسَارَ بِهِمْ مُحَقَّرٌ إِلَى الشَّامِ كَمَا يُسَارُ بِسَبَايَا الْكُفَّارِ، يَتَصَفَّحُ وَجُوهَهُنَّ أَهْلُ الْأَقْطَارِ^(١).

٩ - أَرْسَلَ ابْنُ زِيَادٍ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَرُؤُوسَ أَصْحَابِهِ مَعَ زَحْرَ بْنِ قَيْسٍ إِلَى الشَّامِ، إِلَى يَزِيدَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، وَقِيلَ: مَعَ شِمْرِ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ، وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قَدْ جَعَلَ ابْنُ زِيَادٍ الْغُلَّ فِي يَدَيْهِ وَرَقَبَتَيْهِ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى الْأَقْتَابِ، فَلَمْ يُكَلِّمَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فِي الطَّرِيقِ حَتَّى بَلَغُوا الشَّامَ^(٢).

١٠ - أَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فَعُلَّ بِغُلٍّ إِلَى عُنُقِهِ، وَجَهَّزَ نِسَاءَهُ وَصِيبْيَانَهُ، ثُمَّ سَرَّحَ بِهِمْ مَعَ مُحَقَّرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ عَائِدَةِ فَرَيْشٍ، وَشِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ. وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: بُعِثَ مَعَ مُحَقَّرِ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ أَيْضًا^(٣).

(١) الملهوف ص ٢٠٧ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٩ وبحار الأنوار ج ٤٥

ص ١٢١ - ١٢٤ وفيه «مخفر بن ثعلبة العائذي». والعوالم، الإمام الحسين

ج ١٧ ص ٤٢٥ وعن تسليمة المجالس ج ٢ ص ٣٧٢.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٧.

(٣) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٦ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٤ وتاريخ

١١ - إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ جَهَّزَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ حُرْمِهِ، (بعد أن اعتمدوا ما اعتمدوه، من سبي الحريم وقتل الذراري) بَحِيثٌ تَقْشَعُرُ مِنْ ذِكْرِهِ الْأَبْدَانُ، وَتَرْتَعِدُ مِنْهُ مَفَاصِلُ الْإِنْسَانِ، إِلَى الْبَغِيضِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ (١).

ونقول:

الأغلال للإذلال:

من الواضح: أنه لم يكن ثمة مبرر لوضع الأغلال في عنق ويدي الإمام السجاد «عليه السلام»، فإنه إن كان الهدف من ذلك منعه من الهرب، فمن الواضح:

أولاً: أنه لم يكن ليقدم على ذلك، ويترك العيال والأطفال، والنساء في أيدي الأشرار، ولا يدري ما يصيبهم من أذايا، وبلايا في تلك الصحاري والقفار المنقطعة. فربما تاه بعض الأطفال. ولم يبال أولئك القساة الحاقنون بالأمر، فيتركونه طعمة للوحوش الكاسرة، أو فريسة للجوع الذي لا يرحم، أو لغير ذلك من مصائب وبلايا.

الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٩٨ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢١١ وفيه «محقر بن ثعلبة العائذي».

(١) أخبار الدول وآثار الأول ج ١ ص ٣٢٣ وحياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٩٢ وفلك النجاة ص ٩٣.

ثانياً: لماذا يريد الإمام السجاد «عليه السلام» أن ينفلت من أيديهم، وهو لا يرى لهم عليه أية مؤاخذه، ولا توجد أية تهمة من أعدائه، تشير إلى إمكانية التعرض له بسوء. بل إن فراره من بين أيديهم يثير لديهم المخاوف منه، التي قد يستندون إليها لملاحقته، وإلحاق الأذى به.

ثالثاً: لو أراد «عليه السلام» أن يتقلت من هذا الأسر، فإن ذلك سيكون إلقاءً بنفسه إلى التهلكة، فإن معظم المناطق التي سلكوها بالسببا لم يكن سكانها من المسلمين، كما قلنا.. والمسلمون - إن وجدوا في تلك المناطق - فهم أقل القليل. وكان ولاء أهل تلك البلاد، وأكثرهم من النصارى ليزيد وبني أمية، فهل ترى أنهم سيرحبون بالإمام السجاد، وسيساعدونه على الإفلات من أيدي أعدائه؟! أم أنه سوف يجد لديهم الحرص على التزلف ليزيد وبني أمية بالسعي للقبض عليه، وتسليمه «عليه السلام» لأعدائه الذين سيكونون أكثر شراسة وقسوة عليه من كل أحد؟!!

ويبدو: أن جميع الذكور - وكانوا اثني عشر غلاماً. وحسب نص ابن نما: اثني عشر رجلاً - كانوا كلهم مغلولين، وقد روي ذلك عن الإمام السجاد أيضاً، وعن الإمام الباقر «عليهما السلام»^(١)..

(١) راجع: مثير الأحزان ص ٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٢ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٨ والإمامة

وورد في زيارة الناحية التي قلنا: إنها فيما يظهر صادرة عن الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» ما يدل على أن جميع السبايا قد غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم. فهي تقول: «وسُبِّي أَهْلُكَ كَالْعَبِيدِ، وَصُفِّدُوا فِي الْحَدِيدِ فَوْقَ أَقْتَابِ الْمَطِيَّاتِ، تَلْفَحُ وَجُوهَهُمْ حَرُّ الْهَاجِرَاتِ، يُسَاقُونَ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْفَلَوَاتِ، أَيْدِيهِمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى الْأَعْنَاقِ، يُطَافُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ».

غير أننا نقول:

أولاً: في رسالة ابن عباس ليزيد أن أكثر الذكور المأسورين كانوا من الأطفال، فلعل مراد ابن نما من قوله: «رجلاً»: أنهم من الذكور مقابل الإناث، فيكون من باب التوسع في الإطلاق.

إن هذه العبائر لم تذكر: أن ذلك قد حصل في طريق الشام، فلعله حصل في الطريق من كربلاء إلى الكوفة، ثم حصل في الكوفة، أو في الشام نفسها.

وفي النص المتقدم عن النحوي البصري: أنهم كانوا موثقين بالحبال، لا بأغلال الحديد.

إن حقيقة الأمر هي: أن الهدف من وضع هذه الأغلال هو الإذلال، ليس للإمام السجاد «عليه السلام» وحسب، بل للبيت

والسياسة (تحقيق الزيني) ج ٢ ص ٦ و (تحقيق الشيري) ج ٢ ص ١٢
والمحن ص ١٤٨. وراجع: جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٧٢.

الهاشمي، وشيعته، ومحبيه، بالإضافة إلى إظهار القوة والشوكة ليزيد، وبني أمية. ولكن الله تعالى يقول: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)^(١).

ولا يمكن إذلال من أعزهم الله تعالى.

وقد أثبتت الوقائع: أن هذا كان وسيبقى وصمة عار وشنار على بني أمية عبر الأحقاب والدهور، وستبقى اللعنة تلاحقهم إلى يوم القيامة.

إنفاذ رأس الحسين أولاً:

ظهر مما تقدم: أن عبيد الله بن زياد «لعنه الله» قد أرسل الرأس الشريف إلى الشام. ثم أرسل النساء، والصبيان، ومن معهم، فلققوا الرأس في الطريق.

وفي نص آخر: أنهم لما قربوا من دمشق سبقهم زحر بن قيس بالرأس الشريف إلى يزيد.. فإن صح هذا، فلا بد من القول: بأن يزيد عاد وأرسل الرأس إلى خارج دمشق لكي يدخلوا به والسبايا معاً، لكي يرى الناس السبايا والرؤوس، في عمل استعراضي مخز ولئيم.

صمت الإمام زين العابدين ×:

وقد جاء في عدة نصوص: أن الإمام زين العابدين «عليه السلام»

(١) الآية ٨ من سورة المنافقون.

لم يكن يكلم أحداً من القوم في الطريق كلمة، حتى بلغوا الشام..
ولسائل أن يسأل عن سبب ذلك..

ونقول في الجواب:

لعل من أسباب ذلك:

أولاً: أن هؤلاء الذين يرون الآيات الظاهرة، والكرامات الباهرة للرأس الشريف.. حيث كانت تظهر الأنوار الساطعة في الليالي المظلمة مرات كثيرة في ذلك السفر الطويل، وتظهر يد تكتب على الجدار بقلم من حديد بعض الأبيات الزاجرة، ويرون ويسمعون الرأس يتكلم، ويقرأ الآيات في الطريق، كرات ومرات..

ويرون الرهبان والقساوسة يسلمون بسبب هذا وذاك. ويسمعون بالليالي نوح الجن على الحسين إلى الصباح.. ويرون.. ويرون.. ولا يعتبرون، بل ييقون، في غيهم سادرين، وعلى شرب المسكر عاكفين.. وبآيات الله غير مؤمنين.

فهؤلاء لا أمل بهم، ولا سبيل لهدايتهم، ولا توجد لغة مشتركة بين هؤلاء وبين سادة الأولياء، والحجج على الخلق بعد الأنبياء، فالحجة عليهم قد أقيمت بهذه المشاهدات، وبظهور المعجزات والكرامات، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (١).

(١) الآيتان ٩٦ و ٩٧ من سورة يونس.

ثانياً: إن المسير الذي سلكوه بالسبايا لم يكن فيه إلا قلة من المسلمين وكان معظم أهل تلك البلاد من النصارى، فإن كان «عليه السلام» يريد أن يكلم أولئك الظلمة بشيء، فهو لا يتعدى أمرهم بالمعروف، ونهيه عن المنكر.. وسوف يزعجهم ذلك، وربما أسمعوه كلاماً قاسياً، أو نابياً. وقد يذكر ذلك حقدهم وكراهيتهم.. إلى الجراءة على مقامه، بما هو أطم وأعظم.

فإن اعتدوا عليه وقتلوه، فلن تكون لهم نجاة من عقاب يزيد، الذي كان يريد أن يتلذذ هو بالتنكيل بأهل البيت، بعد أن تظهر للناس قوته وشوكته وعظمته في استعراضاته الرعناء، المختلفة بالرووس والسبايا..

فليس أمامهم سبيل إلا أن يتآمروا مع بعض الأشرار في الطريق، ليهاجموهم في إحدى الليالي، ويقتل الإمام علي بن الحسين «عليه السلام» في زحمة الأحداث بطريقة غامضة.. وبذلك لا يجد يزيد سبيلاً عليهم. باعتبار أن الذي جرى خارج عن دائرة علمهم وقدراتهم.

رواة الكرامات وكثرة المزارات:

وقد رأينا في النصوص المتقدمة: كيف أن ظهور المعجزات والكرامات للرأس الشريف كان يتوالى طيلة مسيرهم بالرأس والسبايا إلى الشام.. فكان الرأس الشريف كثيراً ما يقرأ الآيات القرآنية في الطريق، وفي منازلهم.. وكانوا يسمعون نوح الجن على الحسين «عليه

السلام» في الليالي إلى الصباح. ويرون الأنوار الباهرة تتصاعد من الرأس الشريف إلى السماء في الليالي الظلماء. ويرون كفاً تظهر وتكتب على الحائط بقلم من حديد بعض الوعيد، والتهديد. ويرون.. ويرون..

ونحن نعلم: أنه لم يكن يرافق ذلك الركب أي ولي محب للحسين وأهل بيته، بل كان الجميع أعداء فجرة، وبالحق كفره، كما أن أكثر البلاد التي مروا بها، وعرضوا الرؤوس والسبايا فيها ما كانوا من أهل الإسلام، وكان يروق لكثير منهم ما جرى على الذرية الطاهرة.. إذن.. فقد انحصر نقل الحوادث اللافتة، والعجائب والكرامات الظاهرة، والدلائل الباهرة بأعداء أهل البيت «عليهم السلام».. بل بقتلتهم، وحاملي رؤوسهم وسباياهم من بلد إلى بلد..

والأمور التي كانت تظهر لم تكن مما يمكن احتمال كتمانها، بل هو مما يتلذذ الناس بذكره، ويتداوله في مجالسهم، ويتباهون بكونهم قد عاينوه وشاهدوه.

فلا يستطيع أحد أن يتهمهم بالوضع والتزوير لهذه الأمور، من منطلق الحب والولاء، بدعوى أن الحب يعمي ويصم..

ومن جهة أخرى، فقد كثرت المزارات والمشاهد المنسوبة لأهل البيت بسبب سقط هنا، أو قطرة دم من الرأس الشريف هناك، أو غير ذلك من أمور تنسب للسبايا والرؤوس في ذلك المسير في العديد من البلدان، مثل: نصيبين، وحلب، وحماة، وغير ذلك..

ولهذه المزارات أثر كبير في انتشار محبة أهل البيت، واعتبارهم

موضع رجاء كل راج، وبالتوسل بهم يقضي الله تعالى حاجة كل محتاج.

مكشفات الوجوه والرؤوس (الشعور):

ورد في النصوص المتقدمة: أنهم ساروا ببناات رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكشفات الوجوه والرؤوس، كما في تذكرة الخواص، أو مكشفات الوجوه والشعور كما عند ابن حبان، وفي أخبار الدول يتصفح وجوههن أهل الأقطار..

ويستوقفنا هنا: ندرة تصريح المؤرخين بكشف وجوه وشعور (رؤوس) نساء أهل البيت، مع أنه أمر لافت، ومثير لحماية أهل الدين، ويهتم له القريب والبعيد، لاسيما مع ما لهذا الأمر من أثر في إظهار سوء يزيد وبني أمية، ومظلومية أهل البيت وبني هاشم.

غير أننا نود لفت النظر إلى الأمور التالية:

١ - إن كشف الرؤوس لا يلزم انكشاف الشعور، فتبديل ابن حبان الرؤوس بكلمة الشعور لعله كان سبق قلم، أو اجتهداً منه..

٢ - كلمة «نساء»، الواردة في كلام سبط ابن الجوزي، وابن حبان كما تصدق على الكثير تصدق على القليل أيضاً.. فلعل بعض بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تعرضن لمحاولة سلب مقانعهن، فظهر بعض شعرهن بالرغم عنهن، فصح للقائل أن يوبخ من فعل ذلك بالقول: إنك أبديت شعور بنات النبي..

٣ - إن طغاة بني أمية - كما ألمح إليه ابن عباس في رسالته ليزيد

- كان يهتمهم إظهار جبروتهم، وقاهريتهم لأهل البيت، وسائر بني هاشم.

والطواف بالسبايا ورؤوس الرجال المقطوعة في البلاد، كما كانوا يطوفون بسبايا المشركين من أهم مظاهر قاهريتهم.

وكان إظهار ملامح السبي على نساء أهل البيت أمراً مقصوداً لأولئك الخبثاء، وكان هذا الأمر يطبع أساليب تعاملهم معهم، فكانوا يقرعون رأس من تدمع عينه منهم بالرمح، ويربطونهم بالحبال، ويضعون الأغلال في أيدي وأعناق الرجال، ويحملونهم على أكتاف الجمال، وعلى الأكاف من دون سرج.

ويحاولون أيضاً إظهار وجوه النساء وشعورهن، كما يظهرهن شعور الإمام، ونساء أهل الذمة، وكان يكفيهم لهذه الغاية كشف رؤوس ووجوه بضعة نساء، ثم يربطون سائر النساء بالحبال، ويقوم الجلاوزة الأشرار بقرع رأس من تدمع عينها منهن بالرمح، كما تقدم عن الإمام السجاد «عليه السلام».

اغفر لي، وما أراك فاعلاً:

عن ابن لهيعة: كُنْتُ أَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَمَا أَرَاكَ فَاعِلاً.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقُلْ مِثْلَ هَذَا، فَإِنَّ دُنُوبَكَ لَوْ كَانَتْ مِثْلَ قَطْرِ الْأَمْصَارِ، وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ، فَاسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ، غَفَرَهَا لَكَ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

قال: فقال لي: أدن مني حتى أخبرك بقصتي.

فأتيته، فقال: أعلم أننا كنا خمسين نفراً ممن سار مع رأس الحسين «عليه السلام» إلى الشام، فكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمر حول التابوت، فشرب أصحابي ليلة حتى سكرُوا، ولم أشرب معهم.

فلما جنَّ الليل سمعتُ رعداً، ورأيتُ برقاً، فإذا أبواب السماء قد فتحت، ونزل آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ونبيُّنا محمد «صلى الله عليه وآله» وعليهم أجمعين، ومعهم جبرئيل، وخلق من الملائكة.

فدنا جبرئيل من التابوت، فأخرج الرأس، وضمَّه إلى نفسه وقبله، ثم كذلك فعل الأنبياء كلُّهم.

وبكى النبي «صلى الله عليه وآله» على رأس الحسين «عليه السلام»، وعزَّاه الأنبياء.

وقال له جبرئيل «عليه السلام»: يا محمد، إنَّ الله تعالى أمرني أن أطيعك في أمرك، فإن أمرتني زلزلت الأرض بهم، وجعلت عاليها سافلها، كما فعلت بقوم لوط.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا يا جبرئيل، فإنَّ لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة.

ثم جاء الملائكة نحونا ليقتلونا، فقلت: الأمان يا رسول الله.

فَقَالَ: إِذْهَبْ، فَلَا عَقَرَ اللَّهُ لَكَ^(١).

ونقول:

في هذا النص أمور كثيرة تحتاج إلى بيان، وهي التالية:

اليأس من رحمة الله:

من المعلوم: أن اليأس من رحمة الله من مظاهر الكفر، فقد قال تعالى: (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)^(٢).

وأعمال الإنسان هي التي تؤدي به إلى الكفر، ثم إلى اليأس.

ويشهد لذلك: أن الله سبحانه وتعالى يقول: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)^(٣).

ولعل السبب في أن الكفر ينتج اليأس: أن الكفر إما أن يكون بإنكار الخالق، أو بإنكار صفاته. وإنكار الذات لا ينفك عن إنكار الصفات، لأن القضية تكون من قبيل السالبة بانتفاء الموضوع، ومن

(١) الملهوف ص ٢٠٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٠ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٣٤ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٢٥ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٥٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٣٢٥ وج ٢٧ ص ٣٤١.

(٢) الآية ٨٧ من سورة يوسف.

(٣) الآية ٩٧ من سورة آل عمران.

هذه الصفات: الغفار والتواب، والقادر، والغني، والقريب، والمجيب، والحنان، والكريم، والغفور، والحكيم، والعليم، والخالق، والرازق، والمدبر، وغير ذلك.

فإذا احتاج الإنسان الكافر الذي لا يؤمن به إلى معين، قادر، غني، غفور، تواب، فإنه لا يجده في عمق ضميره ونفسه، وقلبه، فتقطع به السبل، ويكون اليأس..

وسيكشف هذا الرجل: أن ربه الذي يعبد - إن كان يعبد رباً - ربُّ خاوٍ من كل الصفات التي ذكرناها وسواها، فلا فرق بين هذا الرجل الذي ينكر الصفات، وبين من يعبد حجراً، أو خيلاً أو ما إلى ذلك.

وهذا الرجل حين جاء إلى الطواف حول البيت دل مجيؤه هذا على أنه معترف بالله، ولكنه لا يسبغ عليه الصفات اللائقة بمقام الألوهية والربوبية، ولأجل ذلك قال: «وما أراك فاعلاً».

والذي أوصله إلى هذا الحال هو سوء عمله، حتى لقد رضي أن يكون من حملة رأس سيد شباب أهل الجنة، ليطوف به في البلاد، رافعاً له على الرمح على رؤوس الأشهاد، ويوصله إلى أشرف الخلق وأبغضهم إلى الله..

كنا خمسين نفرًا:

ذكرت الرواية المذكورة آنفاً: إن الذين ساروا مع الرأس الشريف من الكوفة إلى الشام كانوا خمسين رجلاً، مع أن الرواية الآتية

ذكرها عن الأعمش تقول: إن الذين حملوا الرأس الشريف إلى يزيد كانوا أربعين رجلاً.

ونقول:

لا منافاة بين الروایتين من هذه الجهة، لأن الرواية المتقدمة عن ابن لهيعة تقول: إن الخمسين رجلاً كانوا ممن سار مع رأس الحسين «عليه السلام»..

مما يعني: أنه يتحدث عن جماعة بعينها كانت لها مهمة خاصة في ذلك المسير، ولم تذكر الرواية طبيعة هذه المهمة، فلعلها الحراسة، ولعلها حمل الرأس، ولعلها المعونة على حمل الأثقال، من طعام وشراب وغير ذلك.. ولعلها.. ولعلها..

[أما رواية الأعمش، فهي تذكر أربعين رجلاً كانت مهمتهم حمل الرأس الشريف في ذلك السفر] وقد كان الرأس على رمح كما تقدم، فحمله والسير فيه مسافة طويلة، لا يقوم به شخص واحد، لأنه يحتاج إلى جهد من جماعة كبيرة تتناوب على هذه المهمة في سفر يمتد أياماً كثيرة..

لم تذكر الرواية موسى وعيسى :

١ - تقول الرواية: إن هذا الشقي قد رأى جبرئيل، وخلقاً من الملائكة، وآدم، ونوحاً، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل «عليهم السلام»، ونبينا محمداً «صلى الله عليه وآله» قد نزلوا إلى موضع رأس

الحسين «عليه السلام» وجرى لهم مع الرأس ما جرى حسبما تقدم.. ولكنه لم يذكر نزول أحد من الأنبياء الذين هم بين إسماعيل ومحمد «صلى الله عليه وآله»، مثل: يعقوب ويوسف، حتى ولا موسى وعيسى «عليهم السلام»، مع أنهما من أولي العزم.

ولعل سبب ذلك: أن الأنبياء من لدن إسماعيل وإسحاق - وحتى نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» - قد أرسلوا لأقوام بخصوصهم، فإن: موسى وعيسى، ويعقوب، ويوسف.. و.. إنما أرسلوا لبني إسرائيل، لا للبشر كلهم، ولكن آدم ونوحاً، وإبراهيم، وإسماعيل، ونبينا محمداً منهم مبعوثون لجميع البشر. قال تعالى: (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ)^(١).

٢ - إنه قدّم ذكر إسحاق على إسماعيل، مع أن المفروض هو العكس، فإن إسماعيل قد ولد قبل إسحاق.

ويجاب:

أولاً: إن هذا الترتيب في الرواية المتقدمة ليس من قول المعصوم لتكون له حجية في مداليل تقديم وتأخير الأسماء.

ثانياً: إن الأولى هنا تقديم إسحاق، ليكون الانتقال من إسماعيل إلى نبينا الأعظم طبيعياً، لأنه «صلى الله عليه وآله» من ذريته.

ولو أحرّ ذكر إسحاق لتوهم متوهم: أن من هم من ذريته من أنبياء

(١) الآية ٣٦ من سورة المدثر.

بني إسرائيل، وغيرهم قد طوي ذكرهم اختصاراً، مع أنهم مقصودون أيضاً، لأنهم من ذريته.

وهذا خلاف المراد، لأن الأنبياء الذين حضروا عند الرأس الشريف لهم خصوصية يختلفون فيها عن غيرهم. وهي أنهم مبعوثون لجميع البشر، ولأجل ذلك لم يجرى معهم أحد من الأنبياء الآخرين الذين كانوا مبعوثين لأقوام بخصوصهم كبني إسرائيل، حتى من الذين عاصروا هؤلاء الذين ذكرهم، مثل لوط مثلاً.

إن لهم معي موقفاً:

تقدم: أن جبرئيل عرض على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يزلزل الأرض بأولئك المجرمين القتلة للحسين «عليه السلام»، ويجعل عاليها سافلها.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا يا جبرئيل، إن لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة.

والسؤال هو: لماذا لم يسمح النبي «صلى الله عليه وآله» لجبرئيل «عليه السلام» بأن يجعل عالي الأرض سافلها بأولئك المجرمين، مع العلم بأن في الأنبياء السابقين من دعا الله سبحانه: أن يهلك أقوامهم، حين لم يعد سبيل لتحمل بغيهم، والسكوت عن إجرامهم؟!

ونجيب:

أولاً: لقد خاطب الله تعالى نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله»

بقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(١)، وهذا لا يعني أن سائر الأنبياء كانوا نقمة على أممهم، بل جميع الأمم التي نزل عليها العذاب كانت تستحق نزوله عليها.. وكان في تأخير مفسد وشدائد على سائر الأمم لا تطاق. وقد تكون من أسباب هلاك وضلال أمم أخرى. بل قد يقال: إن الأمم التي أنزل الله عليها العذاب لم تكن هي جميع البشر، بل كانوا أقواماً من البشر، استحقوا العذاب، وبقي سائر الناس على ما هم عليه، لم يصبهم شيء.

وقد يقال: إن قوم نوح لم يكونوا جميع البشر، بل كانوا قوماً بخصوصهم.

أما بالنسبة لنبينا فقد قال بعض الإخوة الأكارم: «فمضافاً إلى خصوصية كونه رحمة للعالمين باعتباره خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، والمعني بها كل الناس إلى يوم القيامة. وأما غيره من الأنبياء، فمع كونهم رحمة، إلا أنهم لا يكونون بطبيعة الحال إلا رحمة للأمم التي بين أحدهم وبين الآخر، ليكون الآخر رحمة لمن بعده، وهكذا».

أما بالنسبة لأمة محمد «صلى الله عليه وآله»، فإن إهلاكها لقتلها الإمام الحسين «عليه السلام»، من شأنه أن يضيّع كل فوائد وعوائد هذا الاستشهاد، ويحرم أمماً وأجيالاً من نعمة الهداية والرعاية الإلهية.

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

وهذا ينافي كونه «صلى الله عليه وآله» رحمة للعالمين، كما أشرنا إليه آنفاً.

ثانياً: إن سلسلة الإمامة لم تنقطع باستشهاد الحسين «عليه السلام»، بل هي باقية نامية إلى يوم القيامة، والإمام السجاد وبعده الإمام الباقر «عليهما السلام» حاضران وناظران.

وأئمة أهل البيت «عليهم السلام» أمان لهذه الأمة من نزول العذاب. فإن الله تعالى يقول لنبيه: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)^(١). ومضمون هذه الآية ينطبق على الإمام أيضاً. كما هو معلوم.

ثالثاً: إن نزول العذاب في الدنيا يحسم أمر تلك الأمة الشقية، ولا يبقى في الآخرة إلا سوق أولئك المجرمين إلى النار.

ولكن الأمر في قتل الإمام الحسين «عليه السلام» أعظم من أن يحسم في الدنيا وينتهي الأمر، بل هو يحتاج إلى أن يفضح المجرمين يوم القيامة أمام جميع الأمم التي خلقها الله تعالى من أول الدنيا إلى فنائها. فإن هذا الخزي للمجرمين من أعظم العذاب لهم، وبه يشفي الله تعالى صدور جميع المؤمنين، ويظهر مظلومية النبي وأهل بيته الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، ويعطي صورة عن جهادهم، وصبرهم، وتضحياتهم.

(١) الآية ٣٣ من سورة الأنفال.

كما أن في انتظار المؤمنين لما سيكون عليه الحال في الآخرة بعض السلوة، ويمنحهم المزيد من الصلابة والقوة في عملهم وجهادهم، ويمنحهم الصبر والثبات والرضا.

كما أن هذا الأمر سيخيف من تسول له نفسه اتباع النهج اليزيدي والأموي، ويجعلهم (فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)^(١). والحمد لله رب العالمين.

ويقول بعض الإخوة الأكارم:

مضافاً إلى ما بين القتل وعذاب القيامة، من وعد بإيراث الأرض المؤمنين، وظهور خاتم الأوصياء، وإقامة دولة الحق. وما تضافرت، بل تواترت به الأخبار، من رجعة الأئمة «عليهم السلام»، لينتصف لهم ربهم ممن ظلمهم، ويجعلهم حكام الأرض، وفي ذلك عذاب في الدنيا شديد، وانتقام كبير من الظلمة وأتباعهم.

(١) الآية ٤٥ من سورة التوبة.

الفصل الثالث :

كرامات ومزارات..

كرامات في الأديرة والكنائس:

١ - قال جعفر بن نما في مثير الأحزان: روى النطنزي، عن جماعة، عن سليمان الأعمش قال: بَيْنَمَا أَنَا فِي الطَّوَافِ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ، إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَغْفِرُ. فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ..

فَقَالَ: كُنْتُ أَحَدَ الْأَرْبَعِينَ الَّذِينَ حَمَلُوا رَأْسَ الْحُسَيْنِ إِلَى يَزِيدَ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ، فَنَزَلْنَا أَوَّلَ مَرَحَلَةٍ رَحَلْنَا مِنْ كَرْبَلَاءَ عَلَى دَيْرٍ لِلنَّصَارَى، وَالرَّأْسُ مَرْكُوزٌ عَلَى رُمْحٍ، فَوَضَعْنَا الطَّعَامَ، وَنَحْنُ نَأْكُلُ [في بعض المصادر: وقعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ، يتحيون بالرأس] إِذَا بَكَفٌ عَلَى حَائِطِ الدَّيْرِ يَكْتُبُ عَلَيْهِ بِقَلَمٍ حَدِيدٍ سَطْرًا بِدَمٍ:

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
فَجَزَعْنَا جَزَعًا شَدِيدًا، وَأَهْوَى بَعْضُنَا إِلَى الْكَفِّ لِيَأْخُذَهُ، فَغَابَ، فَعَادَ أَصْحَابِي.

٢ - وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلَمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: غَزَوْنَا بِلَادَ الرُّومِ، فَأَتَيْنَا كَنِيسَةً مِنْ كَنَائِسِهِمْ قَرِيبَةً مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَعَلَيْهَا شَيْءٌ

مكتوب، فسألنا أناساً من أهل الشام يقرؤون بالرومية، فإذا هو مكتوب هذا البيت. يعني قوله:

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ

[زاد في مثير الأحزان قوله: فقالوا لهم: منذ متى مكتوب؟!]

قالوا: قبل أن يبعث نبيكم بثلاث مئة عام^(١).

(١) راجع رواية الأعمش، وعبد الرحمان بن مسلم، عن أبيه في موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٣١ عن: مثير الأحزان ص ٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٦ والصراط المستقيم ج ٢ ص ١٧٩ الرقم ٨ نحوه، وليس في ذيله من «وعن مشايخ» وبحار الأنوار ج ٤ ص ٢٢٤ الرقم ٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١١١ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٣٨ والدر النظيم ص ٥٦٢ و ٥٧٠ وراجع: الأمالي للشجري ج ١ ص ١٨٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٩٣ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٠ وراجع هذه الموسوعة ج ٥ ص ٢٧ (الفصل الثاني: ما ظهر من الآيات).

وراجع ما روي عن أبي قبيل - وهو يشبه رواية الأعمش المتقدمة في: المعجم الكبير ج ٣ ص ١٢٣ الرقم ٢٨٧٣ وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٠٧ مقتل الحسين ج ٢ ص ٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٨ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٣٠٥ و ١٢٥ و ١٨٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٨ و ٤٢٥ و ٦٠٣ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٣١١ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧٨ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١١٦ وذيل تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٥٩ وبغية

٣ - وذكر أبو عمرو الزاهد في كتاب الياقوت قال: قال عبد الله بن الصفار صاحب أبي حمزة الصوفي: غزونا غزاة وسينا سيباً، وكان فيهم شيخ من عقلاء النصارى، فأكرمناه، وأحسننا إليه، فقال لنا: أخبرني أبي، عن آبائه: أنهم حفروا في بلاد الروم حفراً قبل أن يبعث [محمد] العربي بثلاث مائة سنة، فأصابوا حجراً عليه مكتوب بالمسند هذا البيت:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب
والمسند كلام أولاد شيث «عليه السلام»^(١).

ونقول:

١ - إن بعض ما سجلناه حول رواية ابن لهيعة أت في الرواية المتقدمة آنفاً برقم [١]، فلا حاجة إلى إعادته، لكن ما نرتاب فيه منها هو قوله: «فوضعنا الطعام ونحن نأكل» مع أن نفس هذه الرواية قد وردت في مصادر أخرى، وفيها: إنهم قعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ، ويتحيون بالرأس.

ولعل بعض الرواة أراد التلطيف والتخفيف من حدة النقد واللوم

الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٥٢ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٤٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٧٦.

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٢٥ ومثير الأحرار (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١١١.

الموجه للأمويين وأذنبهم وأعوانهم، فاستبدل شرب النبيذ بالأكل.. سعيًا منه في تزوير الحقيقة، وخدمة لأعداء الله ورسوله..

٢ - قوله: «ويتحيون بالرأس» يراد به أنهم كلما أرادوا الشرب أشاروا بالكأس المملوء بالمسكر إلى رأس الإمام الحسين «عليه السلام»، وكأنهم يحيونه بكأسهم هذا. وهو بمعنى «شرب نخبه» بتعبير أهل زماننا.

٣ - إننا نرتاب في قول الرواية المتقدمة برقم [١] أيضاً: «وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذه، فغابت»، لأن ظهور هذه اليد الكاتبة على الحائط بقلم من حديد أمر صادم للمشاعر، مثير للرهبة والخوف من هذا الأمر الغيبي، فلا نظن أن أحداً يجرؤ على لمس تلك اليد، فضلاً عن أن يرى نفسه قادراً على أخذها.

٤ - بالنسبة للرواية المتقدمة برقم [٢] نقول:

إن من يراجع كتب الحديث والتاريخ يجد نصوصاً كثيرة تدل على أن قتل الحسين «عليه السلام» كان معروفاً ومتداولاً بين الأنبياء، ولهم من الاهتمام بهذا الأمر، والتفاعل الوجداني والعاطفي به، ما يجعل تصديق هذه الروايات التي تذكر: أن هذا البيت (أترجو أمة..) كان مكتوباً في بعض كنائس النصارى، أو أنهم وجدوه محفوراً على حجر بالمسند (الذي هو كلام أولاد شيث) وكان الحجر مدفوناً في بلاد الروم - تجعله - أمراً طبيعياً ومقبولاً.

رهبان ويهود يسلمون:

قالوا:

١ - إِنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» لَمَّا حُمِلَ إِلَى الشَّامِ جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ، فَنَزَلُوا عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَلَمَّا شَرَبُوا وَسَكَرُوا، قَالُوا لَهُ: عِنْدَنَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ.

فَقَالَ لَهُمْ: أَرُونِي إِيَّاهُ، فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ بِصُنْدُوقٍ يَسْطَعُ مِنْهُ النُّورُ إِلَى السَّمَاءِ.

فَعَجِبَ الْيَهُودِيُّ، وَاسْتَوْدَعَهُ مِنْهُمْ، فَأَوْدَعُوهُ عِنْدَهُ.

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ لِلرَّأْسِ، وَقَدْ رَأَى بِذَلِكَ الْحَالِ: إِشْفَعْ لِي عِنْدَ جَدِّكَ. فَأَنْطَقَ اللَّهُ الرَّأْسَ، وَقَالَ: إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِلْمُحَمَّدِيِّينَ، وَلَسْتُ بِمُحَمَّدِيٍّ، فَجَمَعَ الْيَهُودِيُّ أَقْرَبَاءَهُ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْسَ وَوَضَعَهُ فِي طَسْتٍ، وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءَ الْوَرْدِ، وَطَرَحَ فِيهِ الْكَافُورَ، وَالْمِسْكَ، وَالْعَنْبَرَ.

ثُمَّ قَالَ لِأَوْلَادِهِ وَأَقْرَبَائِهِ: هَذَا رَأْسُ ابْنِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ.

ثُمَّ قَالَ: وَاهِفَاهُ! لَمْ أَجِدْ جَدَّكَ مُحَمَّدًا فَأَسْلِمَ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ وَاهِفَاهُ لَمْ أَجِدْكَ حَيًّا فَأَسْلِمَ عَلَى يَدَيْكَ، وَأَقَاتِلْ دُونَكَ، فَلَوْ أَسْلَمْتُ الْآنَ أَنْشَفَعُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَأَنْطَقَ اللَّهُ الرَّأْسَ، فَقَالَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ: إِنْ أَسْلَمْتَ فَأَنَا لَكَ شَفِيعٌ. قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَسَكَتَ.

فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ وَأَقْرَبَاؤُهُ^(١).

٢ - لَمَّا جَاؤُوا بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، وَنَزَلُوا مَنْزِلًا يُقَالُ لَهُ: قَنْسَرِينَ^(٢)، أَطْلَعَ رَاهِبٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ إِلَى الرَّأْسِ، فَرَأَى نُورًا ساطِعًا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ، وَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَتَاهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَخَذَ الرَّأْسَ، وَأَدْخَلَهُ صَوْمَعَتَهُ^(٣)، فَسَمِعَ صَوْتًا وَلَمْ يَرَ شَخْصًا. قَالَ: طُوبَى لَكَ، وَطُوبَى لِمَنْ عَرَفَ حُرْمَتَهُ.

فَرَفَعَ الرَّاهِبُ رَأْسَهُ، وَقَالَ: يَا رَبِّ، بِحَقِّ عَيْسَى تَأْمُرُ هَذَا الرَّأْسَ بِالتَّكَلُّمِ مَعِي.

فَتَكَلَّمَ الرَّأْسُ، وَقَالَ: يَا رَاهِبُ، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٠٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧٢ ح ٢٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٧ و ٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٤٩٩.

(٢) قال في موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٢٨: كانت قَنْسَرِينَ مدينة [في الشام] بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، وما زالت عامرة أهلة إلى أن كانت سنة ٣٥١ هـ. ق. وغلبت الروم على مدينة حلب، وقتلت جميع ما كان ببربضها، فخاف أهل قَنْسَرِينَ، وتفرّقوا في البلاد. راجع: معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٤.

(٣) الصَّوْمَعَةُ: بيت للنصارى ومَنَار للراهب. تاج العروس ج ١١ ص ٢٨١ «صمع».

قال: أنا ابنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، وأنا ابنُ عَلِيٍّ الْمُرتَضَى، وأنا ابنُ فاطمة الزَّهراء، وأنا المَقْتُولُ بِكَرْبلاءَ، أنا المَظْلُومُ، أنا العَطْشانُ، فَسَكَّتْ.

فَوَضَعَ الرَّاهِبُ وَجْهَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: لَا أَرْفَعُ وَجْهِي عَنْ وَجْهِكَ حَتَّى تَقُولَ: أَنَا شَفِيعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَتَكَلَّمَ الرَّأْسُ، فَقَالَ: إِرْجِعْ إِلَى دِينِ جَدِّي مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقِيلَ لَهُ الشَّفَاعَةُ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَخَذُوا مِنْهُ الرَّأْسَ وَالدَّرَاهِمَ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْوَادِيَّ نَظَرُوا الدَّرَاهِمَ قَدْ صَارَتْ حِجَارَةً^(١).

٣ - عن عبد الملك بن هشام النحوي البصري قال: لَمَّا أَنْقَذَ ابْنُ زِيَادٍ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْأَسَارَى مُوْتَقِينَ فِي الْحِبَالِ، مِنْهُمْ نِسَاءٌ، وَصِيبِيَانُ، وَصَبِيَّاتٌ مِنْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، عَلَى أَقْتَابِ الْجَمَالِ مُوْتَقِينَ، مُكَشَّفَاتِ الْوُجُوهِ وَالرُّؤُوسِ.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٧ عن النطنزي في الخصائص، و بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٠٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٦١٧.

وَكَاثُوا كُلَّمَا نَزَلُوا مَنَزَلاً أُخْرِجُوا الرَّأْسَ مِنْ صُنْدُوقٍ أَعَدَّوْهُ لَهُ،
فَوَضَعُوهُ عَلَى رُمَحٍ، وَحَرَسُوهُ طَوْلَ اللَّيْلِ إِلَى وَقْتِ الرَّحِيلِ، ثُمَّ يُعِيدُوهُ
[كَذَا] إِلَى الصُّنْدُوقِ وَيَرْحَلُوا [كَذَا].

فَنَزَلُوا بَعْضَ الْمَنَازِلِ، وَفِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ دَيْرٌ فِيهِ رَاهِبٌ، فَأَخْرَجُوا
الرَّأْسَ عَلَى عَادَتِهِمْ، وَوَضَعُوهُ عَلَى الرُّمَحِ، وَحَرَسَهُ الْحَرَسُ عَلَى عَادَتِهِ،
وَأَسْنَدُوا الرُّمَحَ إِلَى الدَّيْرِ.

فَلَمَّا كَانَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ رَأَى الرَّاهِبُ نُورًا مِنْ مَكَانِ الرَّأْسِ إِلَى
عَنَانِ السَّمَاءِ، فَأَشْرَفَ عَلَى الْقَوْمِ، وَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟!

قَالُوا: نَحْنُ أَصْحَابُ ابْنِ زِيَادٍ.

قَالَ: وَهَذَا رَأْسُ مَنْ؟

قَالُوا: رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ
رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

قَالَ: نَبِيُّكُمْ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: بِئْسَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْ كَانَ لِلْمَسِيحِ وَلَدٌ لَأَسْكَنَاهُ أَحْدَاقَنَا، ثُمَّ قَالَ:
هَلْ لَكُمْ فِي شَيْءٍ؟!

قَالُوا: وَمَا هُوَ؟!

قَالَ: عِنْدِي عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ تَأْخُذُونَهَا، وَتُعْطُونِي الرَّأْسَ يَكُونُ
عِنْدِي تَمَامَ اللَّيْلَةِ، وَإِذَا رَحَلْتُمْ تَأْخُذُونَهُ.

قالوا: وما يضرُّنا، فنأولوه الرأس، ونأولهم الدنانير.

فأخذَه الرَّاهِبُ، فَعَسَلَهُ وَطَيَّبَهُ، وَتَرَكَهُ عَلَى فَخْذِهِ، وَقَعَدَ بَيْكِي اللَّيْلِ كُلَّهُ، فَلَمَّا أَصْفَرَ الصُّبْحُ قَالَ: يَا رَأْسُ، لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ جَدَّكَ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُكَ. ثُمَّ خَرَجَ عَنِ الدَّيْرِ وَمَا فِيهِ، وَصَارَ يَخْدُمُ أَهْلَ الْبَيْتِ.

قال ابن هشام في السيرة: ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا، فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نقسم الدنانير، لا يراها يزيد فيأخذها منا.

فأخذوا الأكياس وفتحوها، وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً، وعلى أحد جانب الدينار مكتوب: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (١).

وعلى الجانب الآخر: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (٢)، فرموها في بردى (٣).

وقال الخوارزمي: لعل هذا الرجل اليهودي كان راهب قنسرين، لأنه أسلم بسبب رأس الحسين «عليه السلام»، وجاء ذكره في

(١) الآية ٤٢ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٣) راجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٤٩٩ وج ٢٧ ص ٣٧٥.

الأشعار، وأورده الجوهرى والجرجاني فى مرثى الحسين «عليه السلام»، كما سيرد عليك فى موضعه إن شاء الله^(١).

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي:

نظرة فى حديث اليهودي:

١ - يلاحظ: أن اليهودي يرى النور يتصاعد من الرأس الشريف إلى عنان السماء، كما يراه أولئك الأشرار، ولا يردع هذا الأمر هؤلاء الأشرار عن غيهم، بل يمعنون فى الانغماس فى معصية الله تعالى، بشربهم الخمر إلى حد السكر، والرأس معهم، وآياته ظاهرة لهم.

أما ذلك اليهودي، فهو يرى الرأس الشريف لأول مرة، فيخشع قلبه، ويبادر إلى طلب الشفاعة من الرأس عند جده «صلى الله عليه وآله»..

٢ - إن الرأس لم يستجب لطلب اليهودي. فلم يعده بالشفاعة إلا أن يسلم، ويتشهد الشهادتين.

ولعل اليهودي قد خاطب الرأس على سجيته، بعد أن أدرك أن له شأنًا عظيمًا عند الله.. ولم يكن يتوقع من الرأس أن يكلمه..

ولعله كان يريد أن يدخل الجنة من خلال الحسين «عليه السلام»

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١١٥ و ١١٦.

وشفاعته. ولكن الرأس كلمه وأجابه بأنه إنما يشفع لمن كان مؤمناً بنبوّة جده محمد «صلى الله عليه وآله» ولا تقبل الشفاعة في من لم يكن يؤمن بمحمد «صلى الله عليه وآله». فكان كلام الرأس مع اليهودي آية أخرى له لم يكن يتوقع حدوثها، فبزع لها، ولم يتردد في قبولها. بل جمع أولاده وأقرباءه، وأعلمهم بما جرى.. كما تقدم.

٣ - ظهر: أن اليهودي كان رجلاً عاقلاً لبيباً، وحكيماً أريباً، حيث أراد أن ينيل أقرباءه وأولاده هذه السعادة التي نالها بفضل الله تعالى عليه.. وإذ بالرأس يعينه على تعميق الإيمان في قلوبهم، وترسيخه في وجدانهم، فكلّمه مرة أخرى بمحضر أولاده وأقربائه.. فكان منهم الرضا والقبول، وفازوا بإسلامهم فوزاً عظيماً.

راهب قنسرين:

وعن حديث راهب الصومعة في قنسرين نلاحظ ما يلي:

النور يصعد من فيه!!:

تقدم: أن الراهب في قنسرين حين أشرف على الركب من صومعته رأى الرأس والنور يخرج من فيه، ويصعد إلى السماء..

والسؤال هو: لماذا من فيه؟!

ويمكن أن يجاب: بأن هذا الموضع هو مصدر الخيرات، والبركات، والهدايات، ومنه تصعد التسابيح إلى السماوات، وهو الذي كان يتلو القرآن على رأس الرمح في المدن وفي القلوات، وسيقرؤه

في الشام في العديد من المناسبات، في الطرق والساحات..

الدراهم تصير حجارة:

١ - إن الدراهم التي أعطاها راهب قنسرين ليسمحوا له بأن يكون الرأس عنده في ليلتهم تلك. قد صارت حجارة بعد مغادرتهم مكان الراهب، وكذلك الحال بالنسبة للدنانير التي أخذوها من الراهب الذي أسلم بسبب الرأس، وصار يخدم أهل البيت، ثم تحولت الدنانير إلى خزف.. وهي آية أخرى أظهرها الله تعالى لأولئك المخذولين الذين تعاملوا عما رأوه من أنوار تتصاعد من فم الإمام إلى السماء.. لأن الله تعالى لا يريد لهم بعد حصولهم على الأموال: أن يشعروا بالسلام والسلامة.. وأن الأمور طبيعية، وأن ما رأوه من أنوار تتصاعد من الرأس الشريف قد تكون خيالات عرضت لهم، بسبب حالة غير طبيعية ألمت بهم..

فجاء تحول الدراهم إلى حجارة، والدنانير إلى خزف، ليكون شاهداً ملموساً ومحسوساً لهم، لا يمكن أن يكون وهماً ولا خيالاً.. ولا مجال لأن يعزى لاضطرابات نفسية، وتوهمات لا أساس لها، ولا تلبث أن تزول وتتلاشى.

٢ - إن هذه الكرامة للرأس الشريف هي من مفردات إقامة الحجة عليهم، وهي أيضاً من مظاهر الفرق بهم، لأنها تدفع عنهم الأوهام الشيطانية الهادفة إلى إبطال أثر النور الذي يروونه يتصاعد من الرأس الشريف إلى السماء. فإن اهتمدوا بسببها، فبها ونعمت، وإن أصروا

على ضلالهم، فإلى جهنم وساءت مصيراً..

لعلها أكثر من قضية:

وما كان يجري في الأديرة، ومع بعض أهل الكتاب من رهبان النصارى تارة، ومن بعض اليهود أخرى، وإن كان متقارباً في مضامينه، وفي محوره ومداره، وهو المعجزة والكرامة من خلال النور المتصاعد من الرأس، أو الفم إلى السماء، أو من خلال تكلم الرأس الشريف مع الراهب أو مع اليهودي، أو غير ذلك..

لكن ذلك لا يمنع من تكرار الحدث من خلال النور، والتكلم الإعجازي في أكثر من مكان، وأكثر من مناسبة. فإن هذه الطريقة أيسر طرق الهداية في مثل هذه الحال، وأقربها إلى بلورة تفاعل عاطفي عقلائي رصين، بعيد عن العشوائية والانفعال والارتجال..

ويشهد لاختلاف وتعدد الحوادث المشار إليها: وجود اختلافات بين النصوص، فهذا يبذل لحراس الرأس الشريف عشرة آلاف درهم، وذاك يبذل لهم عشرة آلاف دينار. ويمكن مراجعة الروايات والمقارنة بينها لمن أحب وأراد..

عمر بن سعد لم يكن مع الركب:

والرواية التي تحدثت عن بذل الراهب عشرة آلاف درهم، قد رواها الراوندي عن سليمان الأعمش، وفيها: أن عمر بن سعد هو

الذي أوصل الرؤوس إلى الشام^(١)..

مع أن المعروف: أن عمر بن سعد لم يذهب إلى الشام مع الرؤوس.

العهد على الراوي:

ونحن نورد هنا رواية عن المنتخب للطريحي، لمجرد إطلاع القارئ، لا لأجل البحث والمناقشة، والرواية هي التالية:

نقل السيد هاشم البحراني «رحمه الله» عن الطريحي، قال:
«روى الثقة عن أبي سعيد الشامي، قال: كنت ذات يوم مع القوم اللثام، الذين حملوا الرؤوس والسبي إلى دمشق، لما وصلوا إلى دير النصاري، فوقع بينهم أن نصر الخزاعي قد جمع عسكرياً، ويريد أن يهجم عليهم نصف الليل، ويقتل الأبطال، ويجدل الشجعان، ويأخذ الرؤوس والسبي.

فقال رؤساء العسكر من عظم اضطرابهم: نلجأ الليلة إلى الدير، ونجعله كهفاً لنا، لأن الدير كان لا يقدر أن يتسلط عليه العدو.

فوقف الشمر وأصحابه «لعنهم الله» على باب الدير، وصاح بأعلى صوته: يا أهل الدير، فجاء هم القسيس الكبير، فلما رأى العسكر، قال لهم: من أنتم وما تريدون؟

(١) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧٩ و ٥٨٠.

فقال الشمر «لعنه الله»: نحن من عسكر عبيد الله بن زياد، ونحن سائرون من العراق إلى الشام.

فقال القسيس: لأي غرض؟

قال: كان شخص بالعراق قد تباغى، وخرج على يزيد، وجمع العساكر، فعقد يزيد عسكراً عظيماً، فقتلوه، وهذه رؤوسهم، وهؤلاء النساء سباياهم.

قال الراوي: قال: فنظر القسيس إلى رأس الحسين «عليه السلام»، وإذا بالنور ساطع منه، والضياء لامع، قد لحق بالسماء، فوقع في قلبه هيبه منه.

فقال القسيس: ديرنا ما يسعكم، بل أدخلوا الرؤوس والسبي إلى الدير، وحيطوا أنتم من خارج إن دهمكم عدو فقاتلوه، ولا تكونوا مضطربين على السبي والرؤوس.

قال: فاستحسنوا كلام القسيس صاحب الدير، وقالوا: هذا هو الرأي!

فحطوا رأس الحسين في صندوق وقفل عليه، وأدخلوه إلى داخل الدير، والنساء وزين العابدين «عليه السلام»، وصاحب الدير حطهم في مكان يليق بهم.

قال الراوي: ثم إن صاحب الدير، أراد أن يرى الرأس الشريف، فجعل ينظر حول البيت الذي فيه الصندوق، وكان له رازونة، فحط رأسه في تلك الرازونة، فرأى البيت يشرق نوراً، ورأى أن سقف

البيت قد انشق، ونزل من السماء تخت عظيم، والنور يسطع من جوانبه، وإذا بامرأة أحسن من الحور، جالسة على التخت، وإذا بشخص يصيح: اطرقوا ولا تنظروا.

وإذا قد خرج من ذلك البيت نساء، فإذا حواء، وصفية، وزوجة إبراهيم أم إسماعيل، وراحيل أم يوسف، وأم موسى، وآسية، ومريم، ونساء النبي.

قال الراوي: فأخرجوا الرأس من الصندوق، وكل من تلك النساء واحدة بعد واحدة، يقبلن الرأس الشريف، فلما وقعت النوبة لمولاتي فاطمة الزهراء «عليها السلام»، غشي على بصر صاحب الدير، وعاد لا ينظر بالعين، بل يسمع الكلام، وإذا قائلة تقول:

«السلام عليك يا قتيل الأم، السلام عليك يا مظلوم الأم، السلام عليك يا شهيد الأم، السلام عليك يا روح الأم، لا يداخلك هم وغم، فإن الله سيفرج عني وعنك، ويأخذ لي بثأرك».

قال: فلما سمع الديراني البكاء من النساء اللاتي نزلن من السماء، اندهش ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق من ذلك البكاء، وإذا بالشخص نزل إلى البيت، وكسر القفل والصندوق، واستخرج الرأس، وغسله بالكافور، والمسك، والزعفران، ووضع في قبلته، وجعل ينظر إليه ويكي ويقول:

يا رأس رؤوس بني آدم، ويا عظيم، ويا كريم جميع العوالم، أظنك أنت من الذين مدحهم الله في التوراة والإنجيل، وأنت الذي

أعطاك فضل التأويل، لأن خواتين سادات الدنيا والآخرة، يبكين عليك ويندبنك.

أما أنا أريد أن أعرفك باسمك ونعتك!

فنطق الرأس بإذن الله وقال: أنا المظلوم! أنا المقتول! أنا المهموم! وأنا المغموم! وأنا الذي بسيف العدوان والظلم قتلت! أنا الذي بحرب أهل الغي ظلمت!

فقال صاحب الدير: بالله أيها الرأس زدني!

فقال الرأس: إن كنت تسأل عن حالتي ونسبي: أنا ابن محمد المصطفى! أنا ابن علي المرتضى! أنا ابن فاطمة الزهراء! أنا ابن خديجة الكبرى! وأنا ابن العروة الوثقى! أنا شهيد كربلاء! أنا مظلوم كربلاء! أنا قتيل كربلاء! أنا عطشان كربلاء! أنا ظمآن كربلاء! أنا مهتوك كربلاء!

قال الراوي: فلما سمع صاحب الدير من رأس الحسين «عليه السلام» هذا الكلام، جمع تلامذته ومريديه، وحكى لهم هذه الحكاية، وكانوا سبعين رجلاً، فضجوا بالبكاء والنحيب، ونادوا بالويل والثبور، ورموا العمائم من رؤوسهم، وشقوا أزياقهم، وجأؤا إلى سيدنا ومولانا علي بن الحسين زين العابدين «عليه السلام»، ثم قطعوا الزنار، وكسروا الناقوس، واجتنبوا أفعال اليهود والنصارى، وأسلموا على يديه، وقالوا: يا ابن رسول الله، مرنا أن نخرج إلى هؤلاء القوم الكفرة، ونقاتلهم ونجلي صداً قلوبنا، ونأخذ بثأر سيدنا.

فقال لهم الإمام السجاد «عليه السلام»: لا تفعلوا ذلك، فإنهم عن قريب ينتقم الله منهم، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فردوا أصحاب الدير عن القتال^(١).

ونقول:

لا نريد أن نثير الأسئلة الكثيرة حول مضامين هذه الرواية، والتي منها:

أولاً: ما الذي أباح لقسيس ليس على دين الإسلام أن يرى جمال فاطمة الزهراء «عليها السلام» في وجهها، حتى لقد وصفها بأنها أحسن من الحور.

ثانياً: إن بعض نساء النبي، مثل خديجة، وأم سلمة، وربما بعض آخر هي من أهل الكرامة عند الله، بحيث يمكن أن تكون في جملة هذا الوفد، لكن من قادت حرباً - سميت حرب الجمل - إنما فعلت ذلك لتقتل الحسين وأبيه وأخيه «عليهم السلام» وشيعتهم، وكانت لا تستطيع أن تذكر علياً «عليه السلام» بخير أبداً.

وكذلك الحال بالنسبة لمن كانت تؤيدها، وتشد من عضدها في هذا المسير، أو هذا النهج.

ومن الواضح: أن هاتين لا يعقل أن تكونا في ضمن هذا الوفد.

(١) مدينة المعاجز ج ٤ ص ١٢٦ - ١٢٩ وعن الدمعة الساكبة ج ٥ ص ٧٠ وعن معالي السبطيين ج ٢ ص ١٣٧.

ثالثاً: إذا كان الديراني قد رأى السيدة الزهراء «عليها السلام» حين نزولها من السماء، وهي أحسن من الحور، فلماذا حين أرادت تقبيل الرأس الشريف غشي على بصر ذلك الديراني؟!

رابعاً: كيف ولماذا تتقدم النسوة جميعاً على الزهراء «عليها السلام» في تقبيل الرأس الشريف؟!

إلا إن أجيب بما قاله بعض الإخوة الأكارم: قد يكون وجه التقدم طول موقف سيدة النساء «عليها السلام» مع الرأس، وكلامها حينها الذي ينبغي السكوت عليه، ولا يحسن بعده كلام أو فعل.

خامساً: هل كان جميع النسوة المذكورات من محارم الإمام الحسين «عليه السلام»، حتى جاز لهن جميعاً تقبيل الرأس الشريف؟!

قرائن ودلالات أخرى:

وبعدما تقدم، فإننا نذكر فيما يلي نصوصاً مروية في مصادر يمكن الاعتماد عليها، والإرشاد إليها، وهي نصوص ترشدنا إلى ما قدمناه، من أن الطريق الذي سلكوه في إيصال السبايا من الكوفة إلى دمشق كان طويلاً، وكان أكثر سكان البلاد التي مروا بها من غير المسلمين.

وهذه النصوص، وإن لم تصرح بأسماء جميع تلك البلاد، ولا حددت أكثر تلك المنازل. ولكن ما صرحت به قد حسم الأمر، ووفى بالمطلوب، وهو: أن يترجح لدى الباحث الطريق الذي اختاروه، والبلاد التي مروا عليها. فقد تقدم الحديث عن:

ألف: مرورهم على قنسرين، وحديث راهبها.

وسياتي الحديث عن مرورهم في المواضع التالية:

ب: مسجد النقطة في حلب.

ج: مشهد السقط في حلب.

د: مشهد مسقط الرأس بنصيبين.

هـ: مشهد النقطة بنصيبين.

و: مشهد الرأس بنصيبين.

ونحن لا نجد حرجاً من الاعتراف بأن سائر ما يذكر من أحداث جرت في الطريق، وما يُدعى من منازل نزلوا فيها، أو بلاد مروا عليها، لم نجده في مصدر قابل للاعتماد.

والظاهر: أن الأصل في كثير منه هو المقتل المنسوب إلى أبي مخنف، أو روضة الصفا، أو معالي السبطين، أو إكسير العبادات، أو ما أشبه ذلك..

وقد قلنا: إن كتاب أبي مخنف ساقط عن الاعتبار، وأن هذه الكتب لم يعتمد عليها أكثر العلماء، فلا حاجة إلى الإعادة.

وقد يعتب علينا إخوة أعزاء، لأننا لم نكثر من الأخذ مما ورد في هذه الكتب، مع أننا لا نتهم أشخاص مؤلفيها..

غير أننا نقول:

صحيح أننا لا نتهم أيّاً من مؤلفي تلك الكتب بسوء، ولكننا نقول:

لعل الآفة كانت في المروي عنه، لا في الراوي، أو لعله أراد أن يصور الوقائع وفق ما يتوقعه، أو لعله ذكر ما ذكره على قاعدة: ولسان حاله يقول.. أو على قاعدة: كأني به قد فعل كذا، أو قال كذا.. أو لعله سمع بعض ذلك من خطيب، أو رجل لم يسنده إلى من يوثق به، وما إلى ذلك.

حدث.. ومزار:

ونذكر من المشاهد والمزارات المرتبطة بأحداث تُظهر أنهم قد مروا بالرأس، أو به وبالسبايا من تلك البلاد، ما يلي:

١ - مشهد النقطة في حلب:

يقول صاحب كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب:

«وفي سنة إحدى وستين قتل الحسين بن علي «عليه السلام» بكر بلاء، واحتز رأسه الشريف شمر بن ذي الجوشن، وسار به وبمن معه من آل الحسين إلى يزيد في دمشق، فمر بطريقه على حلب، ونزل عند الجبل غربي حلب، ووضع على صخرة من صخراته، فقطرت منه قطرة دم، عمّر على أثرها مشهد عُرف بمشهد النقطة^(١). وقال أيضاً: «قلت: دُكر أن سبب بناء مشهد النقطة هو: أن رأس الحسين لما وصلوا به إلى هذا الجبل، وضعوه على الأرض، فقطرت منه قطرة فوق صخرة، فبنى الحلبيون عليها هذا المشهد، وسمّوا

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٢٤.

مشهد النقطة، ولعل هذه الصخرة نقلت من هذا المشهد بعد خرابه إلى محراب مشهد الحسين، فبني عليها...»^(١).

٢ - مشهد السقط في حلب!:

قال الحموي:

«وفي غربي البلد في سفح جبل جوشن^(٢) قبر المحسن بن الحسين، يزعمون أنه سقط لما جيء بالسبي من العراق ليحمل إلى دمشق، أو طفل كان معهم بحلب، فدفن هنالك»^(٣).

وقال أيضاً: «جوشن جبل في غربي حلب، ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال: إنه لم يعد فيه معدن، وبطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً، فأسقطت هناك، فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزاً وماءً، فشتموها ومنعوها! فدعت عليهم، فمن الآن من عمل فيه لا يربح»^(٤).

٣ - مشهد محسن، ومشهد الحسين:

وقال الغزي: «ومما يلحق بهذه المحلة (أي محلة الكلامنة) مشهد

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٢٤.

(٢) جوشن: جبل مطلقاً على حلب في غربها، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة.

راجع: معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٦.

(٣) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٤.

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٦.

محسن، ومشهد الحسين.

فأما مشهد محسن فيعرف بمشهد الدكة، ومشهد الطرح، وهو غربي حلب، سمي بهذا الاسم، لأن سيف الدولة بن حمدان كان له دكة على الجبل المطل على موضع المشهد، يجلس عليها لينظر إلى حلبة السباق، فإنها كانت تقام بين يديه هناك.

وعن تاريخ ابن أبي طي: أن مشهد الدكة ظهر في سنة ٣٥١ هـ، وأن سبب ظهوره هو: أن سيف الدولة، كان في إحدى مناظره التي بداره خارج المدينة، فرأى نوراً ينزل على مكان المشهد، وتكرر ذلك، فركب بنفسه إلى ذلك المكان، وحفره، فوجد حجراً عليه كتابة: «هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب».

فجمع سيف الدولة العلويين، وسألهم: هل كان للحسين ولد اسمه المحسن؟!!

فقال بعضهم: ما بلغنا ذلك، وإنما بلغنا: أن فاطمة كانت حاملاً، فقال لها النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: في بطنك محسن. فلما كان يوم البيعة هجموا على بيتها لإخراج علي إلى البيعة، فأخذت (١)، وفي صحة هذا نظر (٢).

وقال بعضهم: إن سبي نساء الحسين لما مروا بهن على هذا المكان

(١) أخذت: أي ولدت لغير تمام.

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب للبالى الحلبي ج ٣ ص ٢٠٩.

طرححت بعض نسائه هذا الولد..

فإنّا نروي عن آبائنا: أن هذا المكان سمي بجوشن، لأن شمر بن ذي الجوشن نزل عليه بالسبي والروؤوس، وكان معدناً يُستخرج منه الصفر، وإن أهل المعدن فرحوا بالسبي، فدعت عليهم زينب بنت الحسين (هكذا)، ففسد ذلك المعدن.

فقال سيف الدولة: «هذا الموضع قد أذن الله بإعمارهِ، فأنا أعمره على اسم أهل البيت»..^(١).

٤ - مشهد النقطة بنصيبين:

وفي كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات: «في مدينة نصيبين مشهد النقطة، يقال: إنه من دم رأس الحسين «عليه السلام»»^(٢).

٥ - مشهد الرأس بنصيبين:

وفي سوق النشابين مشهد الرأس، فإنه عُلّق هناك لمّا عبروا بالسبي إلى الشام»!^(٣).

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب للبالى الحلبي ج ٣ ص ٢١٠.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ٣٤٦ (الحاشية) نقلاً عن كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات (لأبي الحسن علي بن أبي بكر، المتوفى سنة ٦١١ هـ) ص ٦٦.

(٣) نفس المصدر.

٦ - مشهد مسقط الرأس بنصيبين:

ويقول الشيخ عباس القمي:

«وأما السانحة التي وقعت بنصيبين، ففي الكامل للبهائي ما حاصله: أنهم لما وصلوا إلى قرب نصيبين أمر المنصور بن إلياس بتزيين البلدة، فزينوها بأكثر من ألف مرآة، فأراد الملعون الذي كان معه رأس الحسين «عليه السلام» أن يدخل البلد، فلم يطعه فرسه، فبدّله بفرس آخر، فلم يطعه، وهكذا..

فإذا بالرأس الشريف قد سقط إلى الأرض، فأخذه إبراهيم الموصلّي فتأمله، فوجده رأس الحسين «عليه السلام»، فلامهم، ووبخهم، فقتله أهل الشام لذلك، ثم جعلوا الرأس خارج البلد، ولم يدخلوه به.

قلت: ولعل مسقط الرأس الشريف صار مشهداً^(١).

ونقول:

١ - قوله: «ففي الكامل» يريد به كتاب «كامل بهائي»، لعماد الدين الطبري، وقد قالوا عن عماد الدين الطبري هذا ما يلي:

«متكلم، فقيه، معاصر للمحقق الطوسي والمحقق الحلي، وأقواله منقولة في كتب الفقه، ويعبرون عنه فيها بالعماد الطبري، وبعمد الدين الطبري.

(١) نفس المهموم ص ٤٢٦ عن كامل البهائي، لعماد الدين الطبري.

وقد نقل قوله الشهيد الثاني في رسالة الجمعة، والشهيد الأول في بعض كتبه، وغيرهما.

وفي رياض العلماء: هو فاضل عالم، متبحر، جامع، ديني، كان من أفاضل علماء طبرستان، ومن المعاصرين للخواجه نصير الدين الطوسي.

وهذا الشيخ الجليل الشأن موثق به عند العلماء الأعيان»^(١). وأما كتابه «كامل بهائي»، فهو بالفارسية، وقد فرغ من تأليفه سنة ٦٧٥ هجرية.

٢ - قلنا: إننا لم نجد في الروايات عن المعصومين ما يدل على كراهة إقامة المشاهد، والمزارات، ونصب الدلالات والعلامات على أي أمر ينسب إلى الأنبياء والأوصياء، والأئمة، والأولياء، والعلماء: أو له صلة بأي منهم، بقول، أو فعل، ككونه قد صلى في ذلك المكان، أو بات، أو توضأ فيه، أو لمس، أو لبس ذلك الثوب، أو ما شابه ذلك. وقد كثرت المشاهد المنسوبة إليهم في حال حياتهم وبعد وفاتهم بصورة لافتة، بل كانوا يدعون الناس إلى الصلاة والزيارة فيها، واحترامها.

ولعل هذا الرضا منهم يهدف إلى الرغبة في تكثير مواضع عبادة الله سبحانه، من خلال ربط الناس بالأنبياء والأئمة، من حيث إنهم أسوة وقدوة، وسلوة، وهداة، وحماة، ورعاة، ومبعث سكينة، وسبب

(١) أعيان الشيعة ج ٥ ص ٢١٢ و ٢١٣.

طمأنينة..

وبذلك يظهر: أن ما يدَّعيه البعض، من أن هذه المزارات
مبغوضة، ومرفوضة لا أساس له من الصحة.

الفصل الرابع

السبايا في الشام..

على أبواب دمشق:

١ - قال المرحوم الشيخ عباس القمي: «قال الشيخ الكفعمي^(١)، وشيخنا البهائي^(٢)، والمحدث الكاشاني^(٣): في أول صفر أدخل رأس الحسين «عليه السلام» إلى دمشق، وهو عيد عند بني أمية، وهو يوم تتجدد فيه الأحرار:

كَانَتْ مَاتِمٌ بِالْعِرَاقِ تَعْدُّهَا أَمْوِيَةٌ بِالشَّامِ مِنْ أَعْيَادِهَا^(٤)

وحكي أيضاً عن أبي ریحان في الآثار الباقية^(٥): أنه قال: في اليوم الأول من صفر أدخل رأس الحسين «عليه السلام» مدينة

(١) مصباح الكفعمي ص ٥١٠ و (ط أخرى) ص ٦٧٦.

(٢) توضيح المقاصد للبهائي ص ٤.

(٣) تقويم المحسنين للفيض الكاشاني ص ١٥.

(٤) ديوان الشريف الرضي «رحمه الله». وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦٨ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٢٥٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٥٥٤ وشجرة طوبى ج ١ ص ٢١ ودرر السمط في خبر السبط ص ٩٢.

(٥) الآثار الباقية للبيروني (ط مكتبة المثنى - بغداد) ص ٣٣١.

دمشق...»^(١).

٢ - عن جعفر بن محمد، عن أبيه «عليهما السلام» قال: «لما قُدمَ على يزيد بذراري الحسين، أُدخل بهن نهاراً، مكشوفات وجوههن. فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبياً أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟! فقالت سكينه بنت الحسين: نحن سبايا آل محمد»^(٢).
ونقول:

إشارات ولفقات:

أولاً: بالنسبة لقوله «عليه السلام» في الرواية الأخيرة: إن أعداء الله قد دخلوا بالسبايا مكشوفات الوجوه، نقول:
سيأتي التعقيب على الفقرة الآتية تحت عنوان: «ماذا عن كشف الوجوه»؟! ما له ارتباط بهذا الأمر.. وسنذكر السبب في غضب الأئمة «عليهم السلام» من كشف وجوه النساء.
ثانياً: بالنسبة لقوله «عليه السلام»: إنهم قد وردوا بالسبايا إلى مدينة دمشق نهاراً، نقول:

(١) نفس المهموم ص ٤٢٩ وانظر مقتل الحسين للمقرم ص ٣٤٨.
(٢) قرب الإسناد ص ٢٦ والأمالى للصدوق ص ٢٣٠ وروضة الواعظين ص ٢١٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٥ و ١٦٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٣ وغاية المرام ج ٣ ص ٢٤٣.

إنه دال على أنه «عليه السلام» يعتبر هذا الأمر من مثالب يزيد وحزبه.. لأن هذا كان من جملة مساعيهم لهتك حرمة الحسين وجده وأبيه، بإبراز مخدراته، مكشفات الوجوه على هيئة الأسرى، وفي حالة من الإهانة والإذلال، والتشفي والشماتة، وإظهار قوة سلطانهم، وشوكتهم، وعنفوانهم.

بل سيأتي: أن أهل الذمة وقفوا للسبايا في سوق دمشق، يبصقون في وجوههن^(١).

كما أن أشرار الناس كانوا يظهرون الفرح بما جرى عليهن، ويسمعونهن الكلام المؤذي والجارح.

ثالثاً: للإنسان أن يتصور كم كان يؤدي السبايا سماعهن جفاة الشام، وهم يتندرون بحسنهن، ويصفونهن بالسبايا، ويقولون: ما رأينا سبياً!!! أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟!!

رابعاً: لقد أجابتهم سكينه «رضوان الله تعالى عليها» بجواب يشير إلى عظمة وكرامة وعزة هؤلاء السبايا حسب زعمهم.. فإنهم من آل خاتم الأنبياء، وأفضل وأشرف وأقدس المخلوقات.

وفيه أيضاً: إدانة وإهانة لهؤلاء الذين يعتدون على ثقل النبوة، وأهل بيت الكرامة، والعصمة، وصفوة العترة.

وهو جواب صاعق لا بد أن يكبت المعني به، ويحمله مسؤولية

(١) بستان الواعظين ص ٢٦٣.

الشماتة بأهل بيت نبيه «صلى الله عليه وآله».

وبذلك يصبح الناس مطالبين بتمحيص الأمور، والبحث عن مدى صحة وسلامة موقفهم، وعن حقيقة مآلهم ومصيرهم.

السبايا، أو السبايا والرؤوس؟!:

وينبغي لفت النظر هنا إلى سؤال يطرح، عن أن الرؤوس هل دخلت دمشق مع السبايا، أو دخلت قبلهن؟!:

ونجيب:

إن النص الآتي يتحدث عن طلب أم كلثوم من الشمر أن يخرج الرؤوس من بين المحامل، حتى يقل تعرضهن لأنظار الناس.

وهذا معناه: أن السبايا والرؤوس قد دخلوا إلى دمشق معاً في أول شهر صفر..

ويظهر أيضاً من كلام ابن حبان^(١).

ومن رواية عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: أن رأس الحسين «عليه السلام» كان معهم في مسيرهم إلى الشام^(٢).

وهذا هو ما صرح به ابن الأثير أيضاً^(٣).

لكن ظاهر رواية ابن أعثم والخوارزمي: أن زحر بن قيس سبق

(١) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) إقبال الأعمال ص ٨٥٣.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣.

برأس الحسين إلى دمشق^(١).

ونص ثالث يصرح: بأن السبايا لحقن بالذين معهم الرأس الشريف بالطريق، فأدخلوا مع الرأس الشريف الشام^(٢).

فهل المراد: أن الرأس الشريف أدخل دمشق مع زحر بن قيس برهة وجيزة ليراه يزيد، ثم أعيد إلى خارج البلد، لكي يدخلوه نهراً إلى دمشق على رأس الرمح بعد تزيين البلد، واجتماع الناس لرؤية الرؤوس والأسرى؟!

أو المراد: أن الرأس صلب على باب الدار، أو المسجد، وأوقف أهل البيت حوله تسع ساعات أيضاً، ثم أدخل الرأس الشريف أولاً إلى يزيد، وبقي العيال على درج المسجد، حيث يقف السبي؟! وبعد ذلك أدخل العيال إلى مجلس يزيد.

ونحن نستقرب الاحتمال الأول دون هذا الاحتمال الأخير..

يزيد يتلقى السبي والرؤوس:

قد لا يجرؤ الباحث على القول بضرر قاطع: إن حاكماً يريد أن

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥.

(٢) راجع: الإرشاد ج ٢ ص ١١٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٣ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥ ومثير الأحزان ص ٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٦ نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٠ والعوامل، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٠ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٣ نحوه.

يتباهى بانتصاراته، ويؤكد عزته، وقوته، وشوكته، وعظمته، لن يخرج لاستقبال رؤوس ضحاياه وثلة قليلة جداً من النساء والأطفال.. فإنه يرى أن في هذا التصرف خفة وتسرعاً لا مبرر له، ولا يناسب أبهة الخلافة وما تفرضه الزعامة..

غاية ما هناك: أن يكون يزيد قد خرج من محل إقامته إلى سطح بيته، أو إلى مكان متصل به، ومشرف على الطريق..

وهذا ما حدث بالفعل، فإن يزيد قد خرج من محل إقامته إلى مكان مشرف على الطريق، ليعاين وصول الركب الحسيني.. فإنه كان قلقاً، وربما مضطرباً. ويريد أن يسكن اضطرابه، وتعود إليه نفسه بهذه الرؤية الخاطفة.

ويقول النص أيضاً ما يلي:

قال ابن القفطي في تاريخه: إن السبي لما ورد على يزيد بن معاوية خرج لتلقيه، فلقى الأطفال والنساء من ذرية علي والحسن والحسين «عليهما السلام»، والرؤوس على أسنة الرماح، وقد أشرفوا على ثنية العقاب، فلما رأهم أنشد:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ تِلْكَ الرُّؤُوسُ عَلَى شَفَا

(١) جيرون: باب من أبواب الجامع بدمشق، وهو الباب الشرقي.

نَعَبَ الْغُرَابُ فَعُلَّتْ قُلٌّ أَوْ لَا تَقُلُّ فَقَدْ اقْتَضَيْتُ مِنَ الرَّسُولِ

وقد اعتبر قول يزيد هذا من دلائل كفره، وخروجه من دين الإسلام..

وربما قيل: إنه لا دليل على أن يزيد قد دخل في الإسلام، ليقال: إنه قد خرج منه.

ويدل هذا الشعر أيضاً: على أن الأمر لم يقتصر على رأس الإمام الحسين «عليه السلام»، في حمله إلى الشام، بل حملت سائر الرؤوس أيضاً إليها، كما صرحت النصوص أيضاً..

سهل بن سعد في الطريق:

عن زيد، عن أبيه زين العابدين «عليه السلام»: أن سهل بن سعد قال:

خَرَجْتُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى تَوَسَّطْتُ الشَّامَ، فَإِذَا أَنَا بِمَدِينَةِ
مُطَرِدَةِ الْأَنْهَارِ، كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ، قَدْ عُلِّقُوا السُّتُورَ، وَالْحُجُبَ، وَالذِّيَابَ،
وَهُمْ فَرَحُونَ مُسْتَبْشِرُونَ، وَعِنْدَهُمْ نِسَاءٌ يَلْعَبْنَ بِالذُّفُوفِ وَالطُّبُولِ.

(١) تفسير الألوسي ج ٢٦ ص ٧٢ عن تاريخ ابن الوردي، والوافي بالوفيات،
وراجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٤٨ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٥
ص ١٩٩ عن خط الشهيد، والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٧ وجواهر
المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٣٠٠ و ٣٠١ وعن صورة الأرض، لابن
حوقل ص ١٦.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ لِأَهْلِ الشَّامِ عِيدًا لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ، فَرَأَيْتُ قَوْمًا يَتَحَدَّثُونَ، فَقُلْتُ: يَا هَؤُلَاءِ! أَلَكُمُ بِالشَّامِ عِيدٌ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ؟!

قَالُوا: يَا شَيْخُ! نَرَاكَ غَرِيبًا.

فَقُلْتُ: أَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَحَمَلْتُ حَدِيثَهُ.

فَقَالُوا: يَا سَهْلُ! مَا أَعْجَبَكَ السَّمَاءُ لَا تَمُطِرُ تَمًا! وَالْأَرْضُ لَا تَخْسِفُ بِأَهْلِهَا!

فُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟!

فَقَالُوا: هَذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عِترَةَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، يُهْدَى مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَسَيَأْتِي الْآنَ.

فُلْتُ: وَآ عَجَبَاهُ! يُهْدَى رَأْسُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَالنَّاسُ يَفْرَحُونَ؟ فَمِنْ أَيِّ بَابٍ يُدْخَلُ؟!

فَأَشَارُوا إِلَى بَابٍ يُقَالُ لَهُ: بَابُ السَّاعَاتِ.

فَسِرْتُ نَحْوَ الْبَابِ، فَبَيْنَمَا أَنَا هُنَالِكَ، إِذْ جَاءَتِ الرَّاياتُ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا، وَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ بِيَدِهِ رُمْحٌ مَنزُوعُ السَّنَانِ، وَعَلَيْهِ رَأْسُ مَنْ أَشْبَهَ النَّاسَ وَجْهًا بِرَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، وَإِذَا بِنِسْوَةٍ مِنْ وَرَائِهِ عَلَى جِمَالٍ بَغِيرٍ وَطَاءٍ.

فَدَنَوْتُ مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا جَارِيَّةُ مَنْ أَنْتِ؟!

فَقَالَتْ: سَكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ.

فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْكَ حَاجَةٌ إِلَيَّ؟! فَأَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ مِمَّنْ رَأَى جَدَّكَ
وَسَمِعَ حَدِيثَهُ.

قَالَتْ: يَا سَهْلُ! فُلْ لِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالرَّأْسِ أَمَامَنَا، حَتَّى
يَشْتَغِلَ النَّاسُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا، فَتَحْنُ حُرْمُ رَسُولِ اللَّهِ.
قَالَ: قَدْ نَوْتُ مِنْ صَاحِبِ الرَّأْسِ وَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ
حَاجَتِي، وَتَأْخُذَ مِنِّي أَرْبَعِمِئَةَ دِينَارٍ؟!
قَالَ: وَمَا هِيَ؟
فُلْتُ: تَقَدَّمَ بِالرَّأْسِ أَمَامَ الْحَرَمِ.
فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَدَفَعْتُ لَهُ مَا وَعَدْتُهُ^(١).

خزينا من كثرة النظر إلينا:

قال السيد ابن طاووس:

«وسار القوم برأس الحسين «عليه السلام» والأسراء من رجاله،
فلما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر، وكان من جملتهم.
فقالت له: لي إليك حاجة!
فقال: وما حاجتك؟!

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦٠ وتسليية المجالس وزينة المجالس ج ٢
ص ٣٧٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧
ص ٤٢٧ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦٠ و (ط) المكتبة
الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٧.

قالت: إذا دخلت بنا البلد، فاحملنا في درب قليل النظارة، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل، ينحّونا عنها، فقد خزيانا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحال.

فأمر في جواب سؤالها: أن تجعل الرؤوس على الرّماح، في أوساط المحامل، بغياً منه وكفراً!! وسلك بهم بين النظارة على تلك الصّفة حتّى أتى بهم إلى باب دمشق»!

فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي^(١).

وعند ابن أعثم:

أنهم أدخلوا مدينة دمشق من باب توما، ثم أتى بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي^(٢).

ونقول:

ماذا عن كشف الوجوه؟!:

١ - قد يقال: هناك من الفقهاء من يفتي بجواز أن تكشف المرأة وجهها، وعلى الرجال أن يغمضوا أبصارهم. فلماذا يعتبر كشف وجوه السبايا من آل محمد من مخازي يزيد وبني أمية، فإنهم لم يفعلوا حراماً؟!:

(١) الملهوف ص ٢١٠ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠١ مثير الأحران ص ٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٧ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٢٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٩ ومقتل الحسين للخوارمي ج ٢ ص ٦١.

ولماذا هذا الاستعظام وتصوير الأمر على أنه جريمة عظيمة، يستحق فاعلها النار، وبئس القرار؟!

وما معنى: أن تؤنب زينب «عليها السلام» يزيد بهذا الأمر، وتعتبره من مثالبه ومخازيه؟!

وما الحاجة لأن تطلب أم كلثوم من الشمر إبعاد الرؤوس عن النساء، لكي يجنبهن ذلك نظر الناس إليهن؟!

ونجيب ضمن النقاط التالية:

أولاً: إن من كمال المرأة، وحميد صفاتها: أن تكون مبالغة في الصون والعفة، وأن تعتبر أي تفريط أو تهاون في هذا الأمر يسيء إليها، ومن يحاول ذلك منها، فهو يعتدي على مقامها، وعلى كرامتها. وهي لا تستفيد من الرخصة التي تعطى للمضطر لعلمها بأنها قد تجعل مدخلاً أو سبباً لتحطيم الحواجز التي تمنع خائنة الأعين من أن تحوم حولها، وأن تتحين الفرص لاقتحام حريمها، والعبث ولو في دائرة التخليل بقدسيته، وتحطيم الحجب التي تحجز الضمائر الموبوءة، وتكبح جماحها عنها.

وهذا التحصن والتعفف بأقصى درجاته حق لكل امرأة، فلا يجوز حرمانها منه، أو العبث به، ومن يفعل ذلك يكون معتدياً وظالماً.

ثانياً: إن سعي الأعداء لكشف وجوه النساء أمام النظار في الباحات والساحات، إنما يأتي من سياق الإذلال لنساء الحسين «عليه السلام» وعياله، وتكريس الإهانة لهن، وتوفير أدوات الشماتة بهن،

ولاسيما حين يراد بكشف الوجوه إضفاء سمة السبي على عترة خير البشر. من قبل الجاحدين والمجرمين والظالمين.

ثالثاً: إن الناس ليسوا سواء في هذا الأمر. أعني أمر الستر. بل هم متفاوتون فيه حتى بنظر الشارع الحكيم. إذ ليس كل ما يجوز فعله لشخص يجوز فعله لغيره. فكيف إذا كان الكلام عما له مساس بمقام خاتم الأنبياء، من خلال العدوان على عياله ونسائه، ونساء سيد الأوصياء؟! الأوصياء؟!

إن بعض ما يليق ببعض الناس فعله، فلا تثريب عليهم إذا فعلوه. ولكن ذلك لا يعني أن لغيرهم أيضاً أن يجاريهم في ذلك، إذ لعل هذا الأمر لا يليق بهؤلاء فعله، فيحرم عليهم، ويعابون به لو فعلوه، بل قد يستحقون العقوبة عليه بصورة مضاعفة أيضاً.

شاهدنا على ذلك: أن الله تعالى قد خاطب نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَنْفِئْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)(١).

فالزوجة للنبي «صلى الله عليه وآله» إذا اقترنت بالتقوى، فإن الله

(١) الآيات ٣٠ - ٣٣ من سورة الأحزاب.

تعالى يؤتي تلك الزوجة المحسنة أجرها مرتين.

وإن اقترنت الزوجية للنبي بعمل قبيح، ظاهر القبح، كإيذاء النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الافتراء عليه، أو ما شاكل، أو مخالفة الأوامر والنواهي الواردة في الآيات في سورة الأحزاب وغيرها، فإن العذاب يضاعف لزوجته النبي هذه بالقياس لعذاب أي امرأة أخرى ترتكب نفس ذلك الفعل القبيح.

وزوجيتها للنبي لا تمنع من هذه المضاعفة، بل توجبها، لأن المعيار هو الطاعة لله والتقوى، وليس المعيار هو كونها زوجة للنبي «صلى الله عليه وآله». كما أن نفس قربها من النبي «صلى الله عليه وآله» يجعل منها أمثلة وقدوة لغيرها. وإساءتها توجب الوهن في دعوته وفي تأثير كلامه.

فتقوى نساء النبي هي التي تميزهن عن سائر النساء، فيجب عليهن الحرص على التزام ما أمرهن الله به، والانتهاز عما نهاهن عنه. ولا بد أن يزيد حرصهن على حرص غيرهن، وأن تبالغن في الاحتياط والتحفظ على امتثال هذه التكاليف.

ونتيجة لذلك، فإن من يسعى إلى إسقاط هذا الصون، وأن يخرج نساء النبي «صلى الله عليه وآله» عن خدرهن، أو نساء عترته، ويكشف وجوههن، ويجعلهن في معرض الأنظار، ليتصفح وجوههن القريب والبعيد، والوضيع والشريف. فهو ينقض بفعله هذا صريح القرآن، وهو متلبس بالإجرام، متعمد لهتك الحرمات العظام،

وارتكاب الآثام..

من أي باب دخلوا دمشق؟!:

تقدم: أنهم أدخلوا السبایا إلى دمشق من باب توما. وهو إلى جهة الشرق من مدينة دمشق.

لكن بعض النصوص يقول: إنهم أدخلوهم من باب الساعات. كما تقدم في حديث سهل بن سعد..

وعلى كل حال، فإن أبواب دمشق كثيرة، وكانوا يريدون أن يطوفوا بهم في البلد، لأنهم يريدون لأهل الشام أن يظهروا الفرح والشماتة لقتل عترة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولعلمهم في طوافهم بالرؤوس والسبایا قد مروا بكثير من أبواب المناطق، وأبواب الأزقة وأبواب الأسواق في المدينة، وأبواب المساجد.. ولعل باب الساعات كان أحد هذه الأبواب.

المستقبلون في الخارج والداخل:

ويفهم من كلام ابن طاووس المتقدم وغيره:

أن أهل دمشق قد اصطفوا لاستقبال الرؤوس والسبایا على طول الطريق التي كان يفترض مرور مركب السبایا والرؤوس فيها. وامتد اصطفافهم إلى مسافات خارج باب البلد..

ثم تواصل انتشارهم على جانبي الطريق في داخل البلد وأسواقه، إلى حيث المسجد الأموي.

ويشهد لذلك: قول أم كلثوم في الرواية المتقدمة للشمر: «فقد خزيننا بكثرة النظر إلينا». وطلبت منه تنحية الرؤوس عن النساء إذا دخل الموكب البلد.

ثم تقول الرواية: «وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة، حتى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على باب المسجد الخ..»^(١).
رأس الحسين × يتكلم:

١ - روى ابن رستم الطبري بسنده عن سعد بن أبي خيران (طيران)، عن الحارث بن وكيدة قال: كُنْتُ فِيمَنْ حَمَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، فَجَعَلْتُ أَشْكُ فِي نَفْسِي وَأَنَا أَسْمَعُ نَغْمَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «عليه السلام».

فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ وَكِيدَةَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا مَعَشَرَ الْأَيِّمَةِ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّنَا نُرْزَقُ؟!

قال: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَسْرَقُ رَأْسَهُ!

فَنَادَى: يَا ابْنَ وَكِيدَةَ، لَيْسَ لَكَ إِلَى ذَاكَ سَبِيلٌ، سَفَكُهُمْ دَمِي أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ تَسْيِيرِهِمْ رَأْسِي، فَذَرُهُمْ (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْآغْثَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ)^(٢)»^(١).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٧

والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٢٧.

(٢) الآيتان ٧٠ و ٧١ من سورة غافر.

٢ - عن المنهال بن عمرو: أنا - والله - رأيتُ رأسَ الحسين بن عليٍّ «عليه السلام» حينَ حُمِلَ، وأنا بِدِمَشْقَ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّأْسِ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) (٢).

قال: فَأَنطَقَ اللهُ الرَّأْسَ بِلسانِ دَرْبٍ (٣)، فَقَالَ: أَعْجَبُ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ قَتْلِي وَحَمْلِي (٤).

٣ - عن ابن شهر آشوب، عن الشعبي: لَمَّا صَلَبُوا رَأْسَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ سَمِعَ مِنْهُ: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (٥).

(١) دلائل الإمامة ص ١٨٨ ونوادر المعجزات ص ١١٠ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٦٢.

(٢) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٣) دَرْبَ الرَّجُلِ: إِذَا فَصَحَ لِسَانَهُ. راجع: لسان العرب ج ١ ص ٣٨٥ مادة «درب».

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ٦٠ ص ٣٧٠ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧٧ والثاقب في المناقب ص ٣٣٣ ح ٢٧٤ نحوه، والصراط المستقيم ج ٢ ص ١٧٩ ح ١٧ وليس فيه صدره إلى «الرأس» وفيه «عربي» بدل «درب»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٨٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٢ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ٢٤٣ والدر النظيم ص ٥٦٥ وكفاية الطالب ج ٢ ص ١٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٧٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ وج ٢٧ ص ٤١٨.

(٥) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

وَسَمِعَ أَيْضاً صَوْتَهُ بِدِمَشْقَ يَقُولُ: (لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (١).

وَسَمِعَ أَيْضاً يَقْرَأُ: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) (٢)، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: أَمْرُكَ أَعْجَبُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ (٣).

٤ - عن سلمة بن كهيل: رَأَيْتُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عَلَى الْقَنَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٤) «(٥).

ونقول:

- ١ - بالنسبة لابن وكيدة، لم نجد ما يدلنا على هذا الرجل، وميوله، وموقعه، غير أن نفس مشاركته في حمل رأس الحسين من الكوفة إلى الشام يدل على أنه كان من أعوان الظالمين، إن لم نقل: إنه من ثقاتهم.
- ٢ - إن كلام الرأس مع ابن وكيدة كرامة إلهية، ومعجزة ربانية

(١) الآية ٣٩ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٠٤.

(٤) الآية ١٣٧ من سورة البقرة.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٢ ص ١١٧ والوافي بالوفيات ج ١٥ ص ٢٠٠ و ٢٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٤.

يفترض أن تغير حال ابن وكيدة، وتدفعه للتوبة والإستغفار، والإذعان، والإقرار بالحق لأهله، وحمل راية نصرتهم، والدعوة إلى محبتهم وولايتهم..

وهل يحتاج إلى شاهد ودليل أعظم وأدل من هذا الشاهد؟!
فما لنا لم نسمع لهذا الرجل ذكراً يهدينا إليه، ولم نر له أثراً يدلنا عليه، ولم نسمع أنه تفوه بكلمة واحدة تدل على قبوله بالحق، وبخوعه له..

ولعل ابن وكيدة أراد من هذا النص:

ألف: أن يجر النار إلى قرصه.

ب: وأن يظهر براءته مما جرى على الحسين «عليه السلام»، وأنه كان معهم مكرهاً، أو أنه رجع إلى نفسه، فأراد أن يتدارك ما بدر منه. وكل ذلك يشير إلى أن براءة ابن وكيدة فيما يرويهِ غير ظاهرة.

٣ - بالنسبة لما روي عن المنهال بن عمرو نقول:

إن المنهال هذا كان صابئياً، كما صرح به ابن أعثم^(١).

ووصفه الخوارزمي بالضبابي، بدل «الصابي»^(٢).

وقد وثقه ابن معين^(٣).

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٣٣.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧١.

(٣) اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٧ ص ٤٨٣ وتهذيب

وقال ابن حجر: «صدوق، وربما وهم»^(١).

وعن ابن الجوزي تضعيفه^(٢)، وضعفه الجوزجاني^(٣).

ولعله - إن صح ما ذكره ابن أعثم - كان من الصابئة، فأسلم..

وربما كان سبب إسلامه، ما رآه من كرامة ظاهرة للرأس، حين تكلم في شوارع دمشق وغيرها، أو أنه كان قد أسلم قبل ذلك.

أعجب من أصحاب الكهف:

ويرد هنا سؤال، عن السبب في أن قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وحمل رأسه أعجب من أصحاب الكهف والرقيم.

وهنا سؤال آخر، عن السبب في وضع يزيد وأعوانه رجلاً يقرأ

الكمال ج ٢٨ ص ٥٧٠ وخلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٣٨٨ وتنزيه الشريعة ج ١ ص ٣٧٦ وشفاء السقام ص ٣٤٨ والتعديل والتجريح ج ٢ ص ٨٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٠ ص ٣٧١ وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١٨٤ وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٩٢ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٤٦ وج ٨ ص ٤٢٧ وعمدة القاري ج ١٩ ص ١٥٠.

(١) راجع: تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢١٦ ولسان الميزان ج ٧ ص ٤٠٠ وتحفة الأحوزي ج ٦ ص ٢١٦ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٥٩.

(٢) قاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٥٩ عن السيوطي في اللآلي، وعن الضعفاء، لابن الجوزي ج ٣ ص ١٤٠. وراجع: نصب الراية ج ٣ ص ٣٣٢ و ٤١١.

(٣) تذهيب الكمال ج ٢٨ ص ٥٧٢ وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٩٢ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٤ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٤٦.

القرآن بين يدي الرأس.

ونجيب على السؤال الثاني: بأن من الجائز أن يكون قد بلغهم أن الناس قد سمعوا أن الرأس مراراً وتكراراً كان يقرأ القرآن، ولا سيما آيات من سورة الكهف، في الكوفة، وفي الطريق إلى الشام.. فخافوا من أن يقرأ القرآن من جديد أمام جموع الناس في دمشق، فتقلب أفراس الحكام إلى أتراح، ونصرهم إلى هزيمة وعظمتهم إلى ذل وصغار، فوضعوا هذا الرجل ليقراً القرآن أمام الرأس، على اعتبار أنه إن قرأ الرأس شيئاً من القرآن أيضاً، فسوف تختلط الأمور على الناس، بسبب هذا التشويش الذي يثير الشبهة في مصدر الصوت، وربما تظهر الاختلافات فيما بينهم، ويختلط الحابل بالنابل، والحافي بالناعل.

مع أن من الواضح: أن الرأس الشريف لا بد أن ينصت إذا قرئ القرآن على مرأى ومسمع منه، ولا يتكلم إلا حين يسكت القارئ الآخر. ولكن هؤلاء الأشرار لا يفقهون هذا المعنى، ويتصرفون وفق ما جرت عليه عادتهم، وما توحى به إليهم تصوراتهم وأهواؤهم.

ونجيب على السؤال الأول: بأن أهل الكهف لم يموتوا قتلاً على يد طواغيت زمانهم المخالفين لهم في الدين، ولكن الله تعالى هو الذي أماتهم، ثم أحياهم بعد ثلاث مئة عام شمسية، وازدادوا إليها تسع سنين قمرية، ليجعل من هذا الإحياء آية للبشر، تحسم لهم أمر المعاد والقيامة، فلما تحقق هذا الغرض أماتهم.

وأما أن قتل الحسين «عليه السلام»، أعجب من موت أهل الكهف، فلأنه كان بيد من يدعون أنهم على دين الحسين، ومن أمة جده الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو قتل عدواني، إجرامي، لا مبرر له من قول ولا فعل من قبل المقتول على الإطلاق..

وأين هذا من موت أهل الكهف الذين ماتوا بصورة طبيعية من خلال الفعل الإلهي بهم.. لا بفعل الحكام الذين يخالفونهم في الدين؟! ولم يتحملوا الآلام الجسدية والروحية، والنفسية التي تعرض لها شهداء كربلاء.

وحمل الرأس الشريف أعجب مما جرى لأهل الكهف أيضاً، بعد أن كان هذا الرأس المقطوع يقرأ الآيات، ويكلم الناس في العديد من المناسبات.. وليس في قصة أهل الكهف شيء من ذلك، إلا أن الله تعالى أحياهم.. وقد أحيا الله تعالى عزيزاً بعد أن أماته مئة عام. أما تكلم الرأس المقطوع المرفوع على الرمح، فهو أعجب من إحياء الميت، حتى ولو تكلم بعد إحيائه.. لأن المفروض أن الرأس المقطوع ميت، والميت لا يتكلم.

وإذا تكلم الرأس، فيفترض أن لا يتجرأ حتى أحد من أعدائه على حمله، لأن المفروض أن يكون كلامه رادعاً ومانعاً من أي تصرف عدائي، أو غير إنساني ضده. بل المفروض أن يتحول عما هو عليه ليصبح من أوليائه، معادياً لأعدائه.

فحمله على رأس الرمح وهو يقرأ الآيات المختلفة، ويتكلم بأمور

عديدة، ويتلو آيات التهديد والوعيد الإلهي وغيرها، وإصرار قتلته على العدوانية، والجحود أعجب مما جرى لأصحاب الكهف، فإن ما جرى لهم قد حسم الأمر في موضوع القيامة.. ولم يلجأ أحد للجحود والتمرد..

على درج الأذايا والشماتة:

قالوا:

وَوَقَفَ أَهْلُ الدِّمَةِ لَهُنَّ فِي سَوْقٍ دِمَشْقٍ يَصِفُّونَ فِي وُجُوهِهِنَّ، حَتَّى وَقَفْنَ بِبَابٍ يَزِيدُ.

فَأَمَرَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَصِيبَ عَلَى الْبَابِ، وَجَمِيعُ حَرَمِهِ حَوْلَهُ، وَوُكِّلَ بِهِ الْحَرَسُ، وَقَالَ: إِذَا بَكَتْ مِنْهُنَّ بَاكِئَةً فَالِطْمُوهَا. فَظَلَّلْنَ وَرَأْسُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» بَيْنَهُنَّ مَصْلُوبٌ تِسْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ.

وإنَّ أُمَّ كُلثُومٍ رَفَعَتْ رَأْسَهَا، فَرَأَتْ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: يَا جَدَّاهُ - ثُرَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» - هَذَا رَأْسُ حَبِيبِكَ الْحُسَيْنِ مَصْلُوبٌ، وَبَكَتْ، فَرَفَعَ يَدَهُ بَعْضُ الْحَرَسِ وَلَطَمَهَا لَطْمَةً حَصَرَ وَجْهَهَا، وَشَلَّتْ يَدَهُ مَكَانَهُ^(١).

ونقول:

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢١٦ عن بستان الواعظين ص ٢٦٣.

أشرار أهل الذمة:

إن النص المذكور أعلاه منقول من كتاب بستان الواعظين، الذي ينقل عنه السيد هاشم البحراني، المتوفى سنة ١١٠٧ هـ ق. وفيه: أن أهل الذمة كانوا يبصقون في وجه السبايا في شوارع دمشق.

ونقول:

إن أهل الذمة لا يجروون على هذا الفعل الشنيع، لو لم يكونوا قد لمسوا الرضا، بل والتشجيع لهم من قبل الحاكم الظالم، وحصلوا على الأمان والضمان بالحماية منه، لو تعرضوا لأي سوء من قبل محبي أهل البيت «عليهم السلام»، ومن يقدسون نبيهم، ويحفظونه في أهل بيته، ويسوءهم هذا البغي الذي يمارسه الطغاة ضدهم.

ومن جهة أخرى: إذا كان أهل الذمة يبصقون في وجوه نساء أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» في عاصمة الخلافة الإسلامية، وعلى مرأى ومسمع من حكام بلاد المسلمين، وعلى درج باب مسجدهم، وفي ظلال قصر خليفتهم، فلنا أن نتخيل مدى الأذى الذي ألحقه السفهاء والأشرار من هؤلاء الأغيار بأهل البيت «عليهم السلام»، حين كانوا يمرون بهم من بلادهم البعيدة، في مسيرهم من الكوفة إلى الشام.

وما رأيناه منهم في دمشق يدل على الغرض الخبيث الذي دعا مجرمي بني أمية لاختيار ذلك المسير المرهق والطويل.

ونحن لا ننتهم جميع أهل الذمة بهذه الأفعال الشنيعة، فقد كان فيهم

عقلاء، وذوو معرفة بالأمور، وفيهم ميزات مرضية، ولكننا نقول: إن شرارهم وسفهاءهم هم العمدة في هذه الأفعال القبيحة والمؤذية.

إذا بكى فاطمونها!:

إن من الظلم الفاحش، الإعتداء ظلماً وجوراً، وخطرة على حياة جماعة من الناس، وإعمال السيف فيهم إلى حد الإبادة، ثم يعمد إلى عيالهم ونسائهم فيعاملهن - وهم أشرف الناس وأكرمهم - كما تعامل سبائا المشركين.

وأفحش الظلم: أن يكون هؤلاء الناس المظلومون، والمقهورون المقتولون هم أكرم الخلق على الله، وأعلم الناس بدين الله، وأتقاهم، وأطهرهم، وأفضلهم.

والأشر والأضر: أن تقطع رؤوس أحبائهم وقتلاهم، ويطاف بها في البلدان. ثم يصلب الرأس، وحرمه وعياله حوله، ويمنع من البكاء، فما بالك بالشكوى والدعاء؟!

ويوكل بهن حرس جفاة قساة، ليلطموا كل من تبكي منهن.

وبعد ظهور كل هذا البغي، فقد يتوهم بعض الناس: أن ذلك كله لو كان محض عدوان من قبل فئة شريرة ومجرمة، على أبرياء هم أقدس الناس، وخير أهل الأرض، لانتقم الله لأوليائه من أعدائه، أو لأظهر بعض الآيات والدلالات على ادّخاره هذا الانتقام منهم..

فمن أجل حفظ إيمان هؤلاء الناس، وإبعاد هذه الأوهام عنهم،

يظهر الله تعالى طرفاً من نعمته لهم، ويقيم حجته عليهم، ويلقي بتبعة حفظ إيمانهم عليهم..

ولهذا نجد: أن يد هذا الظالم قد شلت بمجرد لطمه وجه السيدة أم كلثوم «رضوان الله تعالى عليها».

هل قرأت هذه الآية يا شيخ؟!:

قالوا:

جاءَ شَيْخٌ، فَدَنَا مِنْ نِسَاءِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وعياله - وهُم فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ - وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَكُمْ، وَأَهْلَكَكُمْ، وَأَرَاخَ الْبِلَادَ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَأَمَكَّنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ!

[في نص آخر: وقطع قرن الفتنة، فلم يأل عن سبهم وشتمهم.

فلما انقضى كلامه قال له علي بن الحسين «عليهما السلام»: إني قد أنصت لك حتى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فأنصت لي كما أنصت لك.

فقال له: هات].

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: يَا شَيْخُ! هَلْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟

قال: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ عَرَفْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

فِي الْقُرْبَى)؟! (١).

قَالَ الشَّيْخُ: قَدْ قَرَأْتُ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: نَحْنُ الْقُرْبَى - يَا شَيْخُ - ، [فِي
الْإِحْتِجَاجِ: فَهَلْ تَجِدُ لَنَا فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَقًّا خَاصَّةً دُونَ
الْمُسْلِمِينَ؟!]

فَقَالَ: لَا.

فَقَالَ: أَمَا قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ الْخ...].

فَهَلْ قَرَأْتَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: (وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّةً)؟! (٢).

فَقَالَ الشَّيْخُ: قَدْ قَرَأْتُ ذَلِكَ.

فَقَالَ: فَتَحْنُ الْقُرْبَى - يَا شَيْخُ - ، [فِي الْإِحْتِجَاجِ: قَالَ عَلِيٌّ «عَلَيْهِ
السَّلَامُ»: فَتَحْنُ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ حَقَّهُمْ.

فَقَالَ الشَّامِي: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ هُمْ؟!]

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: نَعَمْ، نَحْنُ هُمْ]

فَهَلْ قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى)؟! (٣).

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٢٦ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٤١ من سورة الأنفال.

قال: نَعَمْ.

فَقَالَ «عليه السلام»: فَنَحْنُ الْقُرْبَى - يَا شَيْخُ - [في الإحتجاج: فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصةً دون المسلمين؟!]
فقال: لا.

قال علي بن الحسين «عليهما السلام»: أما قرأت الخ...].
وَهَلْ قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)؟! (١).

قال الشَّيْخُ: قَدْ قَرَأْتُ ذَلِكَ.

فَقَالَ «عليه السلام»: نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ خَصَّنَا اللَّهُ بِآيَةِ الطَّهَارَةِ - يَا شَيْخُ -.

قال الراوي: بَقِيَ الشَّيْخُ سَاكِتاً نَادِماً عَلَى مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَقَالَ: تَاللَّهِ
إِنَّكُمْ هُمْ؟!!

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: تَاللَّهِ إِنَّا لَنَحْنُ هُمْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، وَحَقٌّ جَدُّنَا رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»: إِنَّا لَنَحْنُ هُمْ.

قال: فَبَكَى الشَّيْخُ وَرَمَى عِمَامَتَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَدُوِّ آلِ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

[في الإحتجاج: ولقد قرأت القرآن منذ دهر، فما شعرت بها قبل

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

اليوم].

ثُمَّ قَالَ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، إِنْ ثُبَّتَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ مَعَنَا.

فَقَالَ: أَنَا تَائِبٌ.

فَبَلَغَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ حَدِيثُ الشَّيْخِ، فَأَمَرَ بِهِ فُقِّلَ (١).

ونقول:

١ - إن مبادرة ذلك الشيخ إلى إظهار العداوة والتشفي بما جرى لأهل البيت «عليهم السلام» من دون أن يعرف من هم، ولا عرف السبب بما جرى لهم، ولا من الظالم من المظلوم، ما هو إلا تسرع وقلة تدبر، وانسياق مع الأجواء العامة التي يثيرها الحكام في المحيط من حولهم، بهدف توجيه مسار الأمور بما يخدم أهدافهم، ويتوافق مع سياساتهم وأهوائهم.

(١) الملهوف ص ٢١١ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٩ و ١٥٥ و ١٦٦ و ج ٩٣ ص ٢٠٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٢٩ و ٣٩٥ و ٤٠٨ و راجع: الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦١ والأمالى للصدوق ص ٢٣٠ وروضة الواعظين ص ٢١٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٠ و ١٩١ والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٧ والإحتجاج ج ٢ ص ١٢٠ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٣٣ والعمدة لابن البطريق ص ٥١ وتفسير فرات ص ١٥٣ ومستدرک الوسائل ج ٧ ص ٢٩٠ وغاية المرام ج ٣ ص ٢٤٣.

٢ - رأينا أن الإمام زين العابدين قد بدأ كلامه معه باستخلاص وعد منه بإفساح المجال لبلوغ غايته في بيان ما يرمي إليه، وذلك من خلال إلزامه بما يقتضيه أدب الخطاب، والسؤال والجواب.

٣ - إنه «عليه السلام» قد بدأ حديثه بما أوحى لذلك الشيخ: أنه بشخصه هو الهدف من الخطاب.. الأمر الذي يدعوه لاستنفار قواه العقلية لوعي مضمون ما يلقي إليه. حيث كان أول سؤال طرحه «عليه السلام»، هو: يا شيخ هل قرأت القرآن؟!!

وكان من الطبيعي أن يهتم ذلك الرجل لحفظ شؤون شيخوخته، من حيث استجماعها لموجبات السؤدد والكرامة، ولاسيما فيما يرتبط بقراءة القرآن، وبالمعرفة الكافية والوافية بأحكام الدين وغير ذلك، مما يتوسمه الناس في من هم بهذا السن.

فأجاب ذلك الشيخ على سؤال الإمام «عليه السلام» بالإيجاب.. ثم تابع «عليه السلام» الأسئلة على ذلك الشيخ، بطريقة ظلت، مشوبة بشيء من الريب في معرفته، حيث استندت إلى تكرار السؤال، بالاستناد إلى هل عرفت؟! وهل قرأت؟! مع أنه كان قد أخبره في أول أجوبته: بأنه قد قرأ القرآن.

٤ - كانت حصيلة تلك الأسئلة والأجوبة هي: أن ذلك الشيخ قد قرأ القرآن، لكنه لم يعرف مقاصده وتطبيقاته..

٥ - إن رواية الإحتجاج لهذا الحوار بين الإمام «عليه السلام» وذلك الشيخ تظهر: أنه «عليه السلام» كان يريد أن يستل منه

الاعتراف بعد الاعتراف: بأنه غافل عن معاني القرآن ومراميه، ولذا كانت صيغة سؤاله «عليه السلام» له هي:

هل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقاً خاصة دون المسلمين؟
فقال: لا.

فاعترف بأنه لا يجد.

فلما أخبره بالآية ومعناها أظهر تعجبه. وأعاد السؤال على الإمام ليؤكد له «عليه السلام» على صحة ما قاله..

وسأله أيضاً: هل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصة دون المسلمين.

فقال: لا.

وكانت النتيجة مشابهة للنتيجة التي سبقت..

٦ - وبعد أن طلب ذلك الشيخ من الإمام أن يؤكد له ما سمعه من حقائق بالقسم، بادر الإمام إلى ذلك وفق ما طلب..

فحينئذٍ أعلن ذلك الشيخ براءته من عدو آل محمد من الجن والإنس.

٧ - وأعلن أيضاً: أنه قرأ القرآن منذ دهر، ولم يشعر بهذه المعاني قبل هذا اليوم.

٨ - وأدرك سوء تصرفه، وخطأ موقفه، فسأل الإمام إن كان لا يزال باب التوبة مفتوحاً أمامه، أو أنه قد أوصد بسبب سوء أعماله..

فبشره الإمام: بأن باب التوبة لا يزال مفتوحاً. وأنه سوف يحشر مع أهل البيت «عليهم السلام»، فأعلن توبته..

٩ - وبلغ يزيد ما جرى، فأمر بقتل ذلك الشيخ، فقتل..

ولعله أمر بقتله، لأنه أدرك خطورة شيوع هذا النوع من الأحداث، حيث يستسهل الناس، بل يروق لهم أن يقوموا بالاحتكاك بالإمام السجاد وغيره من أهل ذلك الركب، وسماع أقوالهم، وحججهم، التي كان يزيد يعلم أنها قوية، ودامغة، وستكون مؤثرة فيهم كما أثرت في ذلك الشيخ..

وهذا يراكم مستوى الوعي، ويزيد من حجم تداول مظلومية أهل البيت «عليهم السلام»، ويشيع الكثير من مبادئهم، ويعرف الناس بعلمهم، وفضلهم، ويظهر ضحالة وانحراف مناوئهم.

فقتل هذا الشيخ التائب والمظلوم بنظر يزيد سوف يختزل هذا الانتشار، بل هو يقطع الطريق عليه، فلا يهتدي أحد إليه.

الفصل الخامس

من درج المسجد.. إلى مجلس يزيد..

من الذي قدم بالرأس الشريف؟!:

قالوا:

١ - عن الغاز بن ربيعة الجُرَشِيِّ (من حمير): لَمَّا انْتَهَوْا [أي السَّبَايَا وَمَنْ مَعَهُمْ] إِلَى بَابِ يَزِيدَ، رَفَعَ مُحَقَّرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ صَوْتَهُ، فَقَالَ: هَذَا مُحَقَّرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّيْلِ بِالْفَجَرَةِ.

قَالَ: فَأَجَابَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: مَا وَلَدَتْ أُمُّ مُحَقَّرٍ شَرًّا وَالْأُمُّ^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٠ و ٤٦٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٢ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٩٨ وفيه «مخفر بن ثعلبة» وكلها نحوه؛ والإرشاد ج ٢ ص ١١٩ وفيهما «مخفر بن ثعلبة» و «أجابه عليّ بن الحسين عليه السلام» بدل «فأجابه يزيد بن معاوية»، ومثير الأحزان ص ٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٨ نحوه، وفيه «مخفر بن ثعلبة»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢١١ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٨ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٣.

٢ - قَدِمَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مُحَقَّرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْعَائِذِيُّ -
عَائِدَةُ فَرِيشٍ - عَلَى يَزِيدَ، فَقَالَ: أَتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِرَأْسِ أَحْمَقِ
النَّاسِ وَالْأَمِهِم!!

فَقَالَ يَزِيدُ: مَا وَلَدْتَ أُمَّ مُحَقَّرٍ أَحْمَقُ وَالْأُمُّ!
لَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ: (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)(١).
ثُمَّ قَالَ بِالْخِيزُرَانَةِ بَيْنَ شَفَتَيْ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَأَنْشَأَ
يَقُولُ:

يُقَلِّقُنَ هَامًا مِنْ رَجَالِ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا
وَالشَّعْرُ لِحْصَيْنِ بْنِ حُمَامٍ الْمُرِّيِّ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَضَرَ: اِرْفَعْ قُضْيَيْكَ هَذَا، فَإِنِّي رَأَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» يُقَبِّلُ الْمَوْضِعَ الَّذِي وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ(٢).
٣ - وَقَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ: اسْتَدْعَى ابْنُ زِيَادٍ بِمُحَفَّرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

(١) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٢٨ عن المصادر التالية: الطبقات
الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٦ وسير أعلام النبلاء
ج ٣ ص ٣١٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٩ وليس فيهما ذيله من
«ثُمَّ قَالَ» وراجع: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٥ والأُمالي للشجري ج ١
ص ١٦٨.

العائذي، فسلم إليه الرؤوس والأسارى والنساء، فسار بهم محفز إلى الشام الخ..(١).

فالرواية الأولى تصرح: بأن محفز بن ثعلبة هو الذي جاء بالسبايا.

والرواية الثانية تقول: إن محفز بن ثعلبة هو الذي جاء بالرأس الشريف إلى يزيد..

وقال ابن طاووس: إن محفز بن ثعلبة قد تولى أمر الرؤوس والسبايا معاً، فلا موقع لزحر بن قيس - على هذا - في كلا الأمرين.

لكن نصوصاً أخرى تقول: إن الذي جاء بالرأس الشريف إلى يزيد هو زحر بن قيس، ومنها ما يلي:

٤ - قال ابن الأثير: ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام، إلى يزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شمر وجماعة معه، وأرسل معه النساء والصبيان، وفيهم علي بن الحسين، وقد جعل ابن زياد الغلّ في يديه ورقبته، وحملهم على الأقتاب الخ..(٢).

٥ - قال ابن أعثم: «ثم دعا ابن زياد زحر بن قيس الجعفي، فسلم

(١) الملهوف ص ٢٠٧ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٩ وبحار الأنوار ج ٤٥

ص ١٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣.

إليه رأس الحسين بن علي، ورؤوس إخوته، ورأس علي بن الحسين «عليه السلام» ورؤوس أهل بيته وشيعته..».

إلى أن قال: «وسبق زحر بن قيس الجعفي برأس الحسين إلى دمشق حتى دخل على يزيد، فسلم عليه الخ..»^(١).

ونقول:

هكذا جرت الأمور:

نستطيع أن نلخص ما جرى على النحو التالي:

يبدو: أن محفز بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن، وزحر بن قيس.. وجماعة آخرين - قد يكون عددهم أربعين أو خمسين رجلاً، كما في الروايات - قد رافقوا الأسرى، والنساء إلى الشام..

وقد تقدم: أن رأس الحسين «عليه السلام» قد أرسل أولاً، ثم لحقه موكب الأسرى والسبايا في الطريق..

ومروا بهم وبالرؤوس في بلاد غير المسلمين، وطال السفر إلى حوالي أسبوعين، أو أكثر، فلما قربوا من دمشق سبقهم زحر بن قيس برأس الحسين، ودخل على يزيد، وأخبره بما جرى.

ولكن يزيد كان يريد أن يزين دمشق، وأن يدخل الرؤوس على الرماح، والسبايا والأسرى إلى دمشق على أسوأ حال، وأن يجتمع أهل دمشق على طول الطريق ابتداءً من خارج البلد، وأن يمروا بهم في

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٥.

الأسواق، إلى أن ينتهوا إلى باب المسجد..

كما أنه كان يريد إقامة الأفراح، وقرع الطبول، والنفخ في البوقات، وأن تكون للنساء مساهمة في هذه الأعمال.

وتقدم: أن أهل الذمة كانوا حين مروا بهم في الأسواق يبصقون في وجوه نساء أهل البيت «عليهم السلام».

وتقدم معنا أيضاً: أنه إذا كان زحر بن قيس قد سبق الناس بالرأس إلى يزيد، فذلك يعني: أنه بعد أن أراه إياه أرجعه إلى خارج دمشق، ليكون على رأس الرمح حين يدخلون المدينة، ويطوفون به وبالنساء في أسواقها..

وبعد أن صلبوا الرأس على باب المسجد تسع ساعات، كما تقدم، وحوله النساء والعيال أدخلوه إلى مجلس يزيد.

ولعل الذي أدخله إلى مجلس ذلك الخبيث هذه المرة هو محفز بن ثعلبة كما تقدم.

ولعل محفزاً عاد ودخل إلى يزيد مع النساء والأسرى حين أدخلوهم عليه.

ويظهر من الروايات التي سيأتي بعضها أيضاً: أن دخول النساء على يزيد «لعنه الله»، قد تأخر عن دخول الرأس الشريف إليه..

أحمق الناس:

١ - ولم يكن قول يزيد لمحفز: ما ولدت أم محفز شر وألم، يهدف الانتصار للحسين. بل كان بهدف الدفاع عن نفسه، لأن قول محفز:

جئتكم برأس أحمق الناس وألأمهم، بيّن الغواية، ظاهر الفجور والكذب، فإن سكت عنه يزيد، فإن سكوته قد يعد تصديقاً له.

ومن الواضح: أن التظاهر بتصديق هذا القول البديهي البطلان، ويدرك كذبه وزيفه كل من عرف الحسين، يكون بمثابة القبول بأن يستخف محفز بعقل يزيد، ويتكلم بالترهات والأباطيل عنده، ولا ينكرها عليه.

فلم يقبل يزيد هذه الإهانة، وأنف من أن يكون ممن يستخف الأعراب الجفاة بعقولهم.

٢ - على أن قول يزيد: ما ولدت أم محفز أحمق والأم ليس فيه تبرئة للحسين «عليه السلام» من الحمق واللؤم، بل فيه إثبات له، وقبول بقول محفز، وغاية الأمر: أنه يرى أن ثمة من هو أشد حمقاً، وأعظم لؤماً من الحسين «عليه السلام».

وهكذا يقال بالنسبة لقول محفز: إنه أتاه باللئام الفجرة، وجواب يزيد له. فلا حاجة إلى الإعادة.

من الذي لم يقرأ آية الملك؟!:

ولم نعرف من المقصود بقول يزيد: ولكن الرجل لم يقرأ كتاب الله: (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)^(١). فإن كان يريد أن محفز بن ثعلبة لم يقرأ كتاب الله، فنقول:

(١) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

إن كلامه إن احتملنا أن يكون صحيحاً، ولكنه مردود عليه لما يلي:

أولاً: لأننا نقول ليزيد نفسه: هل قرأ هو كتاب الله، ولا سيما قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١).

وقوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْهَا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٢).

وقوله تعالى: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (٣).

وقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (٤).

إلى مئات الآيات الأخرى التي تجاهلها يزيد، وضرب بها عرض الحائط.

ثانياً: لماذا اختار يزيد هذه الآية بالذات؟! أليس لأجل تكريس معنى الجبر الإلهي في أذهان الناس، وأن الله تعالى هو الذي آتاه الملك. والله هو الذي نزع الملك من الإمام الحسين «عليه السلام».

والله سبحانه هو الذي أعز يزيد، وهو الذي أذل الحسين «عليه السلام».

وهل يؤتي الله الملك للفجار، وينزعه من الأخيار الأبرار؟! وهل يمكن القبول بعقيدة الجبر الإلهي، التي تنقض سنة العدل

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٢٦ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ١٥١ من سورة الأنعام.

الإلهي، وتجعل الله تعالى ظالماً يثيب ويعاقب بلا سبب، أو مبرر والعياذ بالله؟!

ثالثاً: هل من يقتل مظلوماً، ويكون مجاهداً وشهيداً في سبيل الله تعالى يكون ذليلاً؟!

وهل يكون الفاجر، القاتل للأئمة، والأوصياء، والأتقياء والعلماء وخير البشر عزيزاً؟!

يزيد يكذب في شعره:

وقد ذكرنا فيما سبق: أن يزيد قد كذب في الشعر الذي تمثل به، حيث إنه لا ينطبق عليه، ولا على الحسين «عليه السلام».

أولاً: لقد كذب في دعواه: أن الحسين «عليه السلام» كان عزيزاً عليه. مع أنه كان أبغض الناس إليه، وقد أمر عامله الوليد بن عتبة بقتله، وإرسال رأسه إليه، بمجرد موت أبيه معاوية، ثم كتب إلى ابن زياد يأمره بقتله أيضاً.

ثانياً: لقد كذب يزيد في ادّعائه: أن الحسين كان عاقاً، بل ادّعى أنه «عليه السلام» أشد عقوقاً من يزيد، وسائر بني أمية. وهذا كذب صريح، وافتراء قبيح.

ثالثاً: ادّعى أنه «عليه السلام» كان ظالماً، بل ادّعى أنه أظلم من يزيد وبني أمية. وهذا أيضاً من أكاذيبه التي تهدف إلى تشويه صورة من أنزل الله تعالى تطهيرهم وعصمتهم في كتابه الكريم.

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)^(١). صدق الله العلي العظيم.

التزوير في خطوط متناقضة ومتوازية:

ودوافع هذا التزوير واضحة، فإن يزيد كان يعرف موقع الحسين «عليه السلام» في الأمة، وهو يعرف أن لقتله «عليه السلام» أثراً وتدايعات لا يمكنه تجاهلها، ولذلك سار في خطين متوازيين منذ اللحظات الأولى لارتكاب الجريمة، فهو من جهة يريد أن يظهر قوته، وشوخته، ويعرض عضلاته بهدف كبت أي تحرك، وإجهاض أي ارتعاش وجداني، وتمييع أية صحوة إيمانية يمكن أن تحدث له بليلة أو إرباكاً.. فيعرض عيال الحسين «عليه السلام» على أنهن سبايا، ويطوف بهن، والرؤوس معهن في البلاد وبين العباد، ويتلقى التهاني، ويزين المدينة، ويقتل كل من يحرجه في أمر الحسين «عليه السلام»، حتى لو كان رسول ملك الروم، كما سنرى..

وهو من جهة أخرى.. ومن أول لحظة وصول خبر قتل الحسين «عليه السلام» إليه، ألقى باللائمة على عبيد الله بن زياد.. ولكنه يكرم ابن زياد، ويقويه بالجوائز والعطايا، وغير ذلك.

وهو في حين يبكي لقتل الحسين، نراه يتهمه بالبغي والعقوق، في تبرئة مبطنة، أو صريحة لابن زياد أيضاً، فلاحظ النص التالي:

(١) الآية ٨ من سورة الصف.

زحر حامل الخبر إلى يزيد:

ذكر في موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٢٥ - ٢٢٧ نصوصاً عن حامل خبر قتل الحسين «عليه السلام» إلى يزيد، فنحن نختار أحدها مع مصادره، ونشير إلى مصادر النصوص الأخرى، التي لم يذكرها، فنقول:

كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ «عليه السلام» بَعَثَ زَحَرَ
بْنَ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ [لَهُ
يَزِيدُ]: مَا وَرَاءَكَ؟

قال: يا أمير المؤمنين! أبشِرْ بفتح الله وينصره! ورد علينا
الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته، وفي سبعين [في
الطبري: ستين] من شيعته، فسرنا إليهم، فخيرناهم الاستسلام
والنزول على حكم عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال على
الاستسلام.

[في الطبري: فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل
ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم].

فَجَعَلُوا يُبْرِقُونَ^(١) إِلَى غَيْرِ وَزَرٍ، وَيَلُونَنَّا مِثْلًا بِالْأَكَامِ وَالْأَمْرِ^(٢)

(١) بَرَقَطَ الرجلُ: إذا ولى مُتَلَقِّئًا. راجع: الصحاح ج ٣ ص ١١١٦ مادة
«برقط».

(٢) الأَمْرُ: جمع أَمْرَةٍ، وهي العلم الصغير من أعلام المفاز من الحجارة. راجع:
الصحاح ج ٢ ص ٥٨٢ مادة «أمر».

وَالْحَقْرُ؛ لَوْدًا كَمَا لَادَ الْحَمَائِمُ مِنْ صَقَرٍ، فَتَصَرَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ.
 فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ إِلَّا جَزَرَ جَزُورٍ، أَوْ نَوْمَةً قَائِلٍ، حَتَّى
 كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مُؤَنَّتَهُمْ! فَأَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ.
 فَهَاتَيْكَ أَجْسَادُهُمْ مُطَرَّحَةً مُجَرَّدَةً، [في الطبري: وثيابهم مرملة]
 وَخُدُودُهُمْ مُعَفَّرَةً، وَمَنَاخِرُهُمْ مُرْمَلَةً، تَسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيحُ دُبُولَهَا بَقِيَّ
 سَبَسَبٍ^(١)، تَتَنَابُهُمْ عُرْجُ^(٢) الضَّبَاعِ، زُؤَارُهُمُ الْعِقْبَانُ وَالرَّخَمُ.
 قَالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنَا يَزِيدَ، وَقَالَ: كُنْتُ أَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بَدُونَ قَتْلِ
 الْحُسَيْنِ.

وَقَالَ: كَذَلِكَ عَاقِبَةُ الْبَغْيِ وَالْعُقُوقِ.. ثُمَّ تَمَثَّلَ يَزِيدُ:
 مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَتْرَكُهُ بِجَعَجَاعٍ^(٣)^(٤)

-
- (١) قِيَّ سَبَسَبٍ: الْقِيَّ: الْأَرْضُ الْفَقْرَةُ الْخَالِيَةُ. وَالسَّبَسَبُ: الْأَرْضُ الْفَقْرُ الْبَعِيدَةُ، لَا
 مَاءَ بِهَا، وَلَا أَنْيَسَ. رَاجِع: لِسَانُ الْعَرَبِ ج ١٥ ص ٢١١ مادة «قوا» وج ١
 ص ٤٦٠ مادة «سبب».
- (٢) الْعَرَجَاءُ: الضَّبْعُ، وَالْجَمْعُ عُرْجٌ، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُهَا بِمَعْنَى الضَّبَاعِ بِمَنْزِلَةِ
 قَبِيلَةٍ. رَاجِع: لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٢ ص ٣٢١ مادة «عرج».
- (٣) الْجَعَجَاعُ: الْمَوْضِعُ الضَّيِّقُ الْخَشِينُ. رَاجِع: النِّهَايَةُ ج ١ ص ٢٧٤ «ججع».
- (٤) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (الطَّبَقَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ) ج ١ ص ٤٨٥ وترجمة
 الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ مِنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ص ٨١ وَالْأَخْبَارُ الطُّوَالُ ص ٢٦٠
 وَالْمُنْتَظَمُ ج ٥ ص ٣٤١ وَبَغِيَّةُ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَبِ ج ٦ ص ٢٦٣١
 وَتَذَكُّرَةُ الْخَوَاصِّ (ط النجف) ص ٢٦٠ كُلُّهَا نَحْوَهُ، وَرَاجِع: سِيرُ أَعْلَامِ

ونقول:

١ - إن ما ورد على لسان الخبيث زحر بن قيس، من أن الله تعالى هو الذي فتح عليهم، ونصرهم على الإمام الحسين، ما هو إلا تزيف للحقائق، وافتراء على الله سبحانه، فإن الله تعالى لا ينصر الكفرة الفجرة على أهل الحق والدين، وعلى المعصومين المطهرين.. ولا يعد فتكهم بالأبرياء والصلحاء فتحاً إلهياً لهم، بل محض عدوان، وإجلاب

النبلاء ج ٣ ص ٣٠٣.

ونذكر ما يقرب من هذا في: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٩ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٤٤٥ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٧ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٦ وفيهما «فأطرق يزيد ساعة» بدل «قدمت عين يزيد» والأربعة الأخيرة نحوه، والإرشاد ج ٢ ص ١١٨ عن عبد الله بن ربيعة الحميري، وفيه: «فأطرق يزيد هنيهة» بدل «قدمت عين يزيد»، وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٩. وراجع أيضاً: مثير الأحرار ص ٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٨ والأخبار الطوال ص ٢٦١ وليس فيه ذيله من «بقاع». والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٠٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٨٣٠ - ٨٣٤ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٠ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٢ والوافي بالوفيات ج ١٤ ص ١٢٧ وحياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٩٢.

شيطان.

٢ - أما وصفه لجيش البغي والطغيان بالمؤمنين، فهو تكذيب لما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»، من أن الخارج على إمام زمانه كافر^(١).

٣ - وقد وصف هذا الخبيث أجساد شهداء كربلاء بأنها مطرحة مجردة. ولعل مراده: أنها سلبت عدتها، وجردت من الألبسة التي يطمع فيها. وإلا فإنه لا دليل على أن الشهداء كانوا عراة بصورة تامة. بل إن طلب الحسين «عليه السلام» لباساً لا يطمع فيه أحد ربما يشهد لما نقول.

الحسين × شبيه الرسول ﷺ :

قال يزيد حين رأى وجه الحسين «عليه السلام»: ما رأيتُ وجهاً قطُّ أحسنَ منه!
فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يَشْبَهُ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».
فَسَكَتَ^(٢).

ونقول:

١ - يقال: إن كلمة يزيد هذه، وما قيل في جوابه، يشيران إلى أن

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٣ ص ٣٧٥ والفتنة ووقعة الجمل ص ٤٧ وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٧.

(٢) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٧ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٧.

يزيد لم يكن قد رأى الإمام الحسين «عليه السلام» في حياته. وكيف يراه، وأين، وأنى يراه؟! لأن أمه ميسون بنت بحدل الكلبيّة كانت نصرانية، وتربى ونشأ عند أمه، وقضى أكثر أوقاته بين أهل نخلتها..

٢ - لقد بهر جمال وجه سيد الشهداء وبهاؤه حتى يزيد، الذي هو أعدى أعدائه، فلم يتمالك نفسه من إظهار دهشته، ويحق له أن يدهش.. فإنه لم يكن يرى هذا الجمال الظاهر والباطن، في غير أهل البيت «عليهم السلام».

وهل يتوقع أن ينبت الجمال والإشراق، والبهاء، والصفاء، والرونق، والنور، في منابت السوء والعهر، والخزي، وأن يرى ذلك أمثال يزيد، الذي نشأ وتربى، وترعرع في محيط الفسق والفجور، واكتنفته الأدواء، وحفت به الفحشاء والأسواء، وتغذى على الحرام، وما اختلج له عضو إلا في مكامن الرجس، ولم يتقمم إلا القدرات والمخزيات.

ومن يكون هذا حاله، فمن الطبيعي أن يتوقع منه الابتلاءات والتشويهات العميقة في الخلق، والخلق، والفكر، والنفس، والفهم.. والمسوخ للروح، والغل، والقسوة، والحقْد على الصالحين، وبغض المؤمنين، وأهل الحق والدين، وأن تهيمن عليه الظلمات، ولا يرى إلا الآفات، وإن تتحول المعاني الإنسانية والصور الرحمانية لديه - إن كانت - إلى تمثيلات إبليسية، وهيئات شيطانية.

فإذا رأى نور الطهر، والعلم، والفضل، والكمال صدم وصعق،

ودهش، وزاده ذلك بغضاً وحقدًا على أهل الفضل والخير، والسؤدد والكمال، والصلاح، ثم هو يواصل سلوك طريق الضلال والغواية، والخذلان، والعماية.

٣ - أما فيما يرتبط بشبه الحسين «عليه السلام» برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهذا المورد من دلائل ذلك، وقد تقدم الحديث عن هذا الأمر في بعض أجزاء الكتاب الأولى.

شيطنة يزيد:

عن رِيّا، حاضِنَةُ يَزِيدَ، قالت: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى يَزِيدَ، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فَقَدْ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنَ الْحُسَيْنِ، وَجِيءَ بِرَأْسِهِ.

قال: فَوُضِعَ فِي طَسْتٍ، فَأَمَرَ الْغُلَامَ فَكَشَفَ، فَحِينَ رَأَاهُ خَمَّرَ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ شَمَّ مِنْهُ.

فَقُلْتُ لَهَا: أَقْرَعَ ثَنَائَاهُ بِقُضِيبٍ؟

قالت: إِي وَاللَّهِ (١).

ونقول:

١ - قد يفاجأ الإنسان بالرائحة الطيبة إذا كانت قوية، وقد يخمر وجهه قليلاً كي يتألف معها، ويستسيغها..

(١) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٠٦ و

١٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٥٩ و ١٦٠ وتهذيب التهذيب ج ٢

وقد ورد عن أبي مخنف في رواية: أنه لما دخل بالرأس على يزيد كان للرأس طيب قد فاح على كل طيب^(١).

٢ - أما إن كان المقصود: هو الإيحاء بأنه خمر وجهه تحاشياً للرائحة الكريهة، فنقول: لقد بقي الرأس الشريف عشرين يوماً يدار به في البلاد، وفي الحر والقر، وكان يعرض للعباد، ولم نجد أحداً من الناس، حتى أعدى أعدائه تأفف، أو أوهم أنه شم من الرأس رائحة كريهة، ولو كان أدنى شيء من ذلك لسارعوا إلى إعلانه، والتحدث به في السر والعلن..

يضاف إلى ما تقدم: أن يزيد نفسه كان يعقد مجالس الشرب والمجون، ويحضر الرأس الشريف فيها، إمعاناً منه بالإهانة له، وتلذذاً بما يزعم أنه فتح ونصر.

كما أنه قد بقي أمامه في مجلسه العام برهة ليست وجيزة، حيث جرت بينه وبين السبايا والأسرى حوارات، وألقيت خطب، وجرت بينه وبين جلسائه مساجلات حادة، بسبب تعامله الوقح مع الرأس الشريف، فهل كان يضع كمامة تحجب عنه الرائحة الكريهة في هذه المجالس التي تعددت؟!

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٨ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١١٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٠٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٦١٨ وراجع: مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٩.

إن هذا وذلك يدعونا إلى توجيه اتهام صريح لهذا الطاغية: أنه أراد بتصرفه الشيطاني هذا: أن يوحي للآخرين بوجود رائحة كريهة، بهدف الإلتفاف والتنفير منه «عليه السلام»، ولو من خلال التوهم الذي تنثيره أمثال هذه الحركات.

يزيد يستشير النعمان بن بشير:

عن عكرمة بن خالد قال: أتى برأس الحسين «عليه السلام» إلى يزيد بن معاوية بدمشق، فنصب، فقال يزيد: عليّ بالنعمان بن بشير، فلما جاء قال: كيف رأيت ما فعل عبيد الله بن زياد؟ قال: الحرب دُولٌ.

فقال: الحمد لله الذي قتلَهُ.

قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين - يعني به معاوية - يكره قتلَهُ. فقال: ذلك قبل أن يخرج، ولو خرج على أمير المؤمنين - والله - قتلَهُ إن قُدرَ.

قال النعمان: ما كنت أدري ما كان يصنع. ثم خرج النعمان. فقال يزيد: هو كما ترون، إلينا منقطع. وقد ولاه أمير المؤمنين، ورفع. ولكن أبي كان يقول: لم أعرف أنصارياً قط إلا يحب علياً وأهله، ويبغض قريشاً بأسرها^(١).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٩.

ونقول:

أولاً: إن النعمان بن بشير كان منحرفاً عن علي، وعدواً له. وخاض الدماء مع معاوية خوضاً، وكان من أمراء يزيد ابنه، حتى قتل وهو على حاله كما يقول ابن أبي الحديد المعتزلي^(١).

ثانياً: يبدو: أن النعمان بالرغم من عداوته لعلي وأهل بيته، وتمسكه بالبيت الأموي قد أجاب هذا الجواب خوفاً من عواقب هذا الفعل العظيم، وهو قتل الإمام الحسين «عليه السلام».

وكانه أراد أن ينصح يزيد بعدم المبالغة في توهم القوة، والشوكة والعظمة، فإن ذلك قد يحرك الناس ضده، ويزيد من تعاطفهم مع أهل البيت «عليهم السلام»..

ثالثاً: يشهد لما ذكرناه: أنه احتج عليه بأبيه، وأنه كان يكره قتل الحسين «عليه السلام»، لا لأجل حبه له، ورغبته في الإبقاء عليه. بدليل أنه دس السم لأخيه الحسن «عليه السلام»، مع أنه كان يظهر كراهته لقتله أيضاً..

مما يعني: أنه يكره قتله بصورة علنية وسافرة، لأن ذلك يحرك الناس ضده. أما قتله بصورة خفية، ثم السير في جنازته، والتظاهر بالحزن عليه، فتلك هي السياسة المعتمدة لمعاوية، وهو صاحب الشعار الذي يقول: إن لله جنوداً من عسل.

(١) شرح نهج البلاغة لابن المعتزلي ج ٤ ص ٧٧.

رابعاً: لقد طاش سهم يزيد حين ادّعى للنعمان: أن أباه كان سيقتل الحسين «عليه السلام» لو خرج عليه. فإن هذه مغالطة سمجة لا قيمة لها..

لأن هذا الفرض لا مورد له، بعد أن حدد صلح الإمام الحسن «عليه السلام» الالتزامات، والمواقف. فلم يكن معاوية يجد سبيلاً على الإمام الحسين.

ولم يكن كلام النعمان بن بشير ناظراً إلى هذا الافتراض. بل هو ناظر إلى صورة مبادرة معاوية لقتل الحسين، من دون أن يخرج الحسين «عليه السلام»، أو يعلن الحرب عليه. فإن هذا ما حصل مع يزيد، فقد قتل الحسين «عليه السلام»، ولم يكن قد خرج عليه.

وهدف يزيد بتحويل الكلام بهذا الاتجاه: هو ادّعاء أن الحسين «عليه السلام» قد خرج إلى العراق بهدف محاربة عماله، توطئة للاستيلاء على العراق، ثم مهاجمة يزيد في الشام.. وهذا ادّعاء باطل كما قررناه أكثر من مرة.. والشواهد تدل على خلافه.

على أن ما ادّعاه يزيد، من أن الحسين «عليه السلام» لو خرج على معاوية لقتله ليس له ما يثبت، فلعله يعقد معه صلحاً، كما فعل مع الإمام الحسن «عليه السلام». ولذلك عقب النعمان على ادّعاء يزيد هذا بقوله: ما كنت أدري ما كان يصنع..

خامساً: ما ذكره يزيد عن كراهة الأنصار لقريش بأسرها.. يريد به

اتهام النعمان: بأنه إنما قال ما قال بدافع من بغضه لقريش.. مع أنه كان متفانياً في خدمة أهداف قريش، ومروجاً لسياساتها.

إملاً ركابي فضة وذهباً:

عن هانئ بن ثابت القايسي: لما أدخلوا [أي الأسرى] على يزيد لعنه الله، أقبل قاتل الحسين بن عليٍّ «عليه السلام» يقول:

أوقر ركابي فضة وذهباً أني قتلت الملك المحجّباً

قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لم تقتله؟!

قال رجوت الجائزة.

فأمر بضرب عنقه، فحز رأسه.

ووضع رأس الإمام الحسين «عليه السلام» بين يدي يزيد لعنه الله

في طست، فجعل ينكته على ثناياه بالقضيب، وهو يقول:

نقلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق

وأظلماً^(١)

(١) راجع ما تقدم كلاً أو بعضاً في: مقاتل الطالبين ص ١١٩ و (ط) المكتبة الحيدرية) ص ٧٩ وراجع: تذكرة الخواص (ط النجف) ص ٢٦٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦١ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٨ و ١٨٦ وتسليمة المجالس ج ٢ ص ٣٨١ وتهذيب

وعند القندوزي الحنفي: «قال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس أمّا وأباً فلم تقتله؟!»

أخرج من بين يدي، فلا جائزة لك.
فخرج هارباً خائباً من الجائزة، وخاسراً في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة»^(١).

ونقول:

تقدم معنا: أن مضمون هذا النص قد حصل في كربلاء حين جاء قاتل الحسين «عليه السلام» إلى عمر بن سعد، وهو ينشد هذين البيتين، فزجره عمر بن سعد، وأخبره أنه لو قال هذا لعبيد الله بن زياد لكان قد خاطر بحياته..

ثم ذكرنا أيضاً: أنهم رووا: أن هذين البيتين خوطب بهما ابن زياد نفسه حين جيء إليه بالرأس الشريف في الكوفة.. فواجه ابن زياد قائلهما بالتغيظ الشديد، والزجر والوعيد، وكان نصيب حامل الرأس هو القتل على يد ابن زياد أيضاً.
وهذه هي المرة الثالثة التي يقال: إنها جرت بين قاتل الحسين «عليه السلام»، وبين يزيد نفسه..

الكمال ج ٦ ص ٤٢٨ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٩ ومروج الذهب ج ٣ ص ٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٥٢١.
(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ٩١ و ٩٢ وراجع: جواهر المطالب ج ٢ ص ٢٧٠.

وقد رأينا: أن الاختلاف في أن منشد هذا الشعر قد قتل، أو حرم من الجائزة ولم يقتل، هي عينها تتكرر، ولا يمكن تأكيد أي من الروايات حصلت، فامتنع الآخرون من تكرار نفس الفعل، حذراً من مواجهة نفس المصير.

وقد سجلنا في الموارد المشار إليها بعض ما له ارتباط بمضمون هذين البيتين، فيمكن مراجعة ما سجلناه هناك، فلا حاجة للإعادة..

عذر أقبح من ننب:

قالوا:

«أَتِيَّ بِالرَّأْسِ حَتَّى وَضِعَ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي طُشْتٍ مِنْ دَهَبٍ.

قَالَ: فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

نَفْلِقُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقُّ وَأَظْلَمًا

قال: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ مَجْلِسِهِ، وَقَالَ: [في الطبري: أتدرون من أين أتى هذا؟] هذا كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَيَّ وَيَقُولُ: أَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي يَزِيدَ، [في الطبري: وأحق بهذا الأمر منه] وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ، وَجَدِّي خَيْرٌ مِنْ جَدِّ يَزِيدَ، وَأَنَا خَيْرٌ مِنْ يَزِيدَ، فَهَذَا الَّذِي قَتَلَهُ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ أَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي يَزِيدَ، فَقَدْ حَاجَّ أَبِي أَبَاهُ، فَقَضَى اللَّهُ لِأَبِي عَلَى أَبِيهِ. [في الطبري: وَعَلِمَ النَّاسُ أَيُّهُمَا حُكِمَ لَهُ].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ أُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّ يَزِيدَ، فَلَعَمْرِي إِنَّهُ صَدَقَ، إِنَّ فَاطِمَةَ

بنت رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» خَيْرٌ مِنْ أُمِّي.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: بِأَنَّ جَدِّي خَيْرٌ مِنْ جَدِّ يَزِيدَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَقُولُ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ». [في الطبري: ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا ندأ].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: خَيْرٌ مِنِّي، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١). [في الطبري: ولكنه أتى من قبل فقهه، ولم يقرأ: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) إلى آخر الآية] (٢).

قال سبط بن الجوزي: ولما فعل يزيد برأس الحسين ما فعل تغيّرت وجوه أهل الشام، وأنكروا عليه ما فعل، فقال: أتدرون من أين دهى أبو عبد الله؟! ع

(١) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٧٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٥ كلها نحوه. وراجع: الإرشاد ج ٢ ص ١١٩ وبحار الأنوار ج ٥ ص ٤٣١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣١ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٨ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٨.

قالوا: لا.

قال: من الفقه والتأويل، كأني به قد قال: أبي خير من أبيه، وأمي خير من أمه، وجدي خير من جده، فأنا أحق بهذا الأمر منه، ولم يلحظ قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١). فسرى عن وجوه أهل الشام (٢).

ونقول:

لا بأس بالنظر في الأمور التالية:

طشت من ذهب:

١ - لم يوضع الرأس الشريف في طشت من ذهب، بهدف تكريم الرأس، وصاحبه، بل لأجل التبجح والاستطالة بالغنى، وإظهار العظمة أمام الناس، مع أن هذا الذهب لم يكن ثمرة عمل، ولا نتيجة جهد بذله يزيد حتى حصل عليه، بل هو مال مغصوب ومسلوب من المسلمين، وغيرهم من الناس الذين استضعفهم بواسطة أعوانه وزبانيته.. فهو يفخر على الناس، بمال سلبه منهم.

وإذا كان أهل الدنيا يفخرون بالأموال، وبالذهب والفضة، وهي

(١) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ هامش ص ٦٠٦.

مجرد جمادات، تنثير مشاعر معينة لدى من وضع يده عليها، وتجعله يتلذذ بتخيلاته ويسعد بأوهامه، ويستغرق بأحلامه. من خلال نسبة هذه الجمادات إليه.

فإنه فخر غير مفيد، لأن هذه المعاني التي يتوهمها، ليست إلا كالنقش على الماء، أو على لوح من الثلج.. لا يلبث أن يتلاشى، ويزول، وكان شيئاً لم يكن.

ولعل أهم إنجاز تحققه الأموال، بما فيها هذا الذهب، ونظائره: أنها تذكى في من تنسب إليه الشعور بالواجدية، والاستغناء عن الله، والإعراض عنه، ثم الاستخفاف بأوامره ونواهيه، والتمرد عليه، كما قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى) (١).

لأن الإنسان إذا وجد المال يظن أنه هو حلال مشاكله، وهو مطيته لغاياته، وقاضي حاجاته، فإذا مرض يرى أن ماله يشفيه، وإذا احتاج رأى أن ماله يكفيه، وإذا طلب مأوى، فماله هو الذي يؤويه، وإذا خاف فماله يحميه، وإذا ضعف فماله يقويه، وإذا اشتهى أمراً، فإن ماله ينيله ما رغب فيه.. وإذا.. وإذا..

وبذلك يتضاءل الشعور بالحاجة إلى الله، ويبدأ هذا المستغني بالسعي لنسيانه تعالى، وإبعاده عن ذاكرته، لأن الله تعالى يفرض عليه قدراً من الانضباط ضمن دائرة الشرع، ويحمله مسؤوليات،

(١) الآيتان ٦ و ٧ من سورة العلق.

ويلحقه بما لها من تبعات. وهذا ما يريد التملص والتخلص منه..

يزيد يخترع ويكذب، ويخدع أهل الشام:

إن يزيد حين رأى ما فعله بالرأس الشريف قد أغاظ أهل الشام، وأنكروا ذلك عليه، لجأ إلى الخداع، والتمويه عليهم. وقد ذكر سبط ابن الجوزي: أن خداعه قد ترك أثره عليهم..

ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية:

١ - إن يزيد حين تمثل بالشعر المتقدم ذكره قد سجل على نفسه كذبات عديدة، فقد كذب بادّعائه: أن الحسين عزيز عليه، وبأنه «عليه السلام» قد عقه، وبأنه «عليه السلام» قد ظلمه، وبأنه كان أكثر عقوقاً وظلماً ليزيد، من عقوق وظلم يزيد له..

٢ - إن هدف يزيد من هذه الإختراعات والأكاذيب، هو التأسيس لمبررات، وأعذار واهية، تستند إلى مرتكزات لا أساس ولا حقيقة لها.. فلاحظ ما يلي:

ألف: زعم: أن الحسين «عليه السلام» كان يفخر عليه بأمر أربعة: بأبيه، وأمه، وجدّه، ونفسه، مع أن هذا لم يصدر من الحسين «عليه السلام» قط. بالرغم من أنه أمر واقعي في نفسه، وأن دعوى صدوره من الحسين «عليه السلام» أمر اخترعته مخيلة يزيد، بهدف تبرير قتله الإمام «عليه السلام».

ب: لو سلمنا جدلاً: أنه افتخر عليه بهذه الأربعة، فإن هذا

الافتخار لا يبرر ليزيد قتله «عليه السلام»..

ج: مع أن يزيد قد اعترف صراحة بصحة اثنتين من هذه الأربعة التي ذكرها، وهما: أن أم الحسين «عليه السلام» وجده خير من أم يزيد، وجده..

أما الاثنان الباقيتان، وهما: أن أبا الحسين، ونفس الحسين خير من يزيد وأبيه، فقد أنكرهما يزيد استناداً إلى معادلة ظاهرة البطلان. وهي: أن ملاك الخيرية، ومعياريها هو الغلبة والظفر، والحصول على الملك، والجاه، والمال، والقوة.. وقد حصل هو وأبوه على الملك، فكانا بذلك خيراً من علي، ومن الحسين «عليهما السلام». ولذلك استدل بقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) (١). على أنه خير من الحسين «عليه السلام»..

د: وبهذا الاستدلال الشنيع يكون قد رد على الله سبحانه الذي يقول: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (٢). فالخير هو الأتقى، والأتقى هو الأكرم عند الله سبحانه.

هـ: إن حكمه بأن فاطمة «عليها السلام» خير من أمه لم يعلم وجهه حسب معايير يزيد، فإن فاطمة لم تحصل على الملك، ولا على

(١) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

المال، ولا على الغلبة في الدنيا، بل هي قد ضربت وأهينت، وأسقط جنيئها، وسلب منها مالها خصوصاً في فذك.

و: الغريب في الأمر: أن يكون يزيد هو الذي يطعن في فقه أبي عبد الله الحسين «عليه السلام»، ويزيد نشأ ورضع من ثدي نصرانية، وتربى، وترعرع في حجرها، وقضى أكثر حياته في مجتمعتها وبيتتها. يجعل نفسه في موقع الراصد والحكم على من حكم الله تعالى في كتابه الكريم بطهارته وعصمته، ومن قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه، وحق سائر أهل البيت «عليهم السلام»: لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم^(١).

(١) روضة المتقين ج ١١ ص ٢٥٠ وج ١٣ ص ١١٠ وملاذ الأخيار ج ٨ ص ٤٧٣ والصواعق المحرقة ص ١٢٦ وبصائر الدرجات ص ٦٩ و ٧٠ و ٧٢ والإمامة والتبصرة ص ٤٤ والكافي ج ١ ص ٢٠٩ و ٢٩٤ والأُمالي للصدوق ص ٦١٦ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٨٢ و ٢٠٨ وكمال الدين ص ٦٦٢ وتحف العقول ص ٤٢٦ وكفاية الأثر ص ٥٦ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٧ ص ١٨٩ و (الإسلامية) ج ١٨ ص ١٣٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ١٤٣ و ٣٣٦ و ٣٤٠ وكتاب سليم بن قيس ص ١٧٨ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٤١٥ والغيبة للنعماني ص ٥٢ والمسترشد ص ٤٠١ و ٤٦٧ والإرشاد ج ١ ص ١٨٠ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢١٩ و ٢٢١ وج ٢ ص ٢٢٤ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٨٤ وج ٢٢ ص ٤٦٥ وج ٢٣ ص ١٣٠ و ١٣٧ و

فهل أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، لا يفقهون معاني القرآن،
ويزيد هو الذي يفهمها بصورة صحيحة؟!

التلاعب بالنص:

١ - ذكر النص المتقدم: أنه أتى بالرأس إلى يزيد، فجعل ينظر
إليه، وهو يقول:

نُقِّلُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ
وَأَظْلَمًا

٢ - مع أن النص عن القاسم بن بخيت يقول: أَذِنَ [يَزِيدُ] لِلنَّاسِ،
فَدَخَلُوا وَالرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَ يَزِيدَ قَضِيبٌ، فَهُوَ يَنْكُتُ بِهِ فِي ثَغْرِهِ،
ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا وَإِنَّا كَمَا قَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمُرِّيُّ:

نُقِّلُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَحَبَّةٍ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمًا (١)

١٣٨ و ١٥٣ و ج ٢٥ ص ٢٢١ و ج ٣٠ ص ٦٥ و ج ٣١ ص ٤١٧ و ٤٢٢
و ج ٣٥ ص ٢١١ و ج ٣٦ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣٨ و ج ٤٩ ص ١٨٠ و امرأة
العقول ج ٢ ص ٤٢٤ و ج ٣ ص ٢٧٩ والمعجم الكبير ج ٥ ص ١٦٧ و كنز
العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١٨٨ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٥٠
وتفسير القمي ج ١ ص ٤ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٢١ و ٧٤ و ج ٢
ص ١٠٦ و ١١١ و ج ٣ ص ٢٢٧ و ج ٤ ص ٤٤٥ و ٥٤٩ و ج ٥ ص ٣٠١
و إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٠٦ و ينابيع المودة ج ١ ص ٧٤ و ١٠٩ و ١١٢ و
١١٦ و ١٢١ و ١٣٣ و ج ٢ ص ٤٣٨ و ج ٣ ص ٣٩٩.

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٣١ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥

٣ - عن ابن أبي الدنيا:

إِنَّهُ لَمَّا نَكَتَ [يَزِيدُ] بِالْقَضِيبِ تَنَائِيَهُ [أَيِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»]
 أَنْشَدَ لِحُصَيْنِ بْنِ الْحُمَامِ الْمُرِّيَّ:
 صَبْرَنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا بِأَسْيَافِنَا تَقْرِينَ هَامًا وَمِعْصَمًا
 نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رُؤُوسِ أَحِبَّةٍ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا
 قَالَ مُجَاهِدٌ: فَوَاللَّهِ، لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ سَبَّهُ، وَعَابَهُ،
 وَتَرَكَهُ^(١).

فلماذا لم يشر النص الذي نحن بصدد معالجته إلى هذه الجراءة
 اليزيدية الفاحشة على مقام سيد شباب أهل الجنة «عليه السلام»،
 وعلى مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ص ٤٦٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٨٥
 والرد على المتعصب العنيد ص ٤٥ وتذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٧ وراجع:
 نهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٨ البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي)
 ج ٨ ص ٢٠٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٨٣٤ والكامل في
 التاريخ ج ٤ ص ٨٥ وفيه بزيادة:

أَبَى قَوْمَنَا أَنْ يَنْصَفُونَا فَأَنْصَفْتُ قَوَاضِبَ فِي أَيْمَانِنَا تَقَطَّرَ
 الدَّمَا

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٧ وأشار في هامشه إلى الرد على المتعصب
 العنيد ص ٤٦ و ٤٨ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٤ و (ط دار إحياء التراث
 العربي) ج ٨ ص ٢٠٨.

ومهما يكن من أمر، فسيأتي المزيد من الحديث عن نكت ثنانيا
أبي عبد الله «عليه السلام» بالقضيب، وما أنشده يزيد من الشعر إن
شاء الله.

مع القاضي النعمان:

ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما قاله القاضي النعمان حول هذه الأبيات
التي تمثل بها يزيد هنا، وهي أبيات الحصين بن الحمام..

قال القاضي النعمان:

عن علي بن الحسين [زين العابدين] «عليه السلام»: أَمَرَ [يَزِيدُ]
بِالنِّسْوَةِ، فَأَدْخَلَ إِلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَرُفِعَ
عَلَى سِنِّ قَنَاقَةٍ، فَلَمَّا رَأَيْنَ ذَلِكَ نِسَاؤُهُ أَعْوَلْنَ.

فَدَخَلَ - اللَّعِينُ - يَزِيدُ عَلَى نِسَائِهِ، فَقَالَ: مَا لَكُنَّ لَا تَبْكِينَ مَعَ بَنَاتِ
عَمَّكُنَّ؟ وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يُعْوَلْنَ مَعَهُنَّ؛ تَمَرُّدًا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِهْزَاءً
بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ «عليهم السلام»، ثُمَّ قَالَ:

نُفِّلَقُ هَامًا مِنْ رَجَالِ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
صَبْرًا وَكَانَ الصَّبْرُ مَيًّا بِأَسْيَافِنَا يَفْرِينُ هَامًا وَمِعْصَمَا
وَجَعَلَ يَسْتَفْزُهُ الطَّرَبَ وَالسُّرُورَ، وَالنِّسْوَةُ يَبْكِينَ وَيَنْدُبْنَ، وَنِسَاؤُهُ
يُعْوَلْنَ مَعَهُنَّ، وَهُوَ يَقُولُ:

شَجِيٌّ بَغَى شَجْوَةً فَاجِعَا قَتِيلًا وَبَاكِ عَلَى مَنْ قَتَلَ

فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي مَآتَمٍ كَأَنَّ الظَّبَاءَ بِهِ وَالنَّقْلَ (١)(٢)

ونقول:

لعلهما حادثتان:

إننا لا نستبعد أن يكون يزيد قد كرر شعر الحصين بن الحمام، مرة في مجلسه العام حين نكت ثنايا الإمام «عليه السلام» بالقضيب.

ومرة أخرى حين دخل إلى موضع النساء..

والظاهر: أن يزيد أنشد بيتي الحصين في مجلسه العام بهدف خداع الناس بادّعاء: أن الحسين هو العاق والظالم، وأن هذا العقوق والظلم هو الذي انتهى به إلى هذه النتيجة.

وادّعاء: أن يزيد قد انساق إلى حرب الإمام الحسين «عليه السلام» وقتله مرغماً، دفاعاً عن نفسه، وعن كيانه. والدفاع عن النفس أمر مشروع، ولا ينبغي أن يلام عليه..

ويؤكد ذلك: أن الحسين «عليه السلام» كان من الأعزة على يزيد، ولم يكن يزيد ليفرط به، لولا أن الحسين هو الذي ساق الأمور بهذا الاتجاه.

وحين دخل يزيد إلى الموضع الذي كان فيه السبايا، مع نساء يزيد.. كان هدفه من إعادة بيتي الحصين هو التلذذ بمضمونهما، وبما فيهما من

(١) النَقْلُ: الغنيمَة. راجع: النهاية ج ٥ ص ٩٩ مادة «نقل».

(٢) شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٨ ح ١٠٨٩.

تعايير تدل على القوة والبطش. الأمر الذي يثير لديه المزيد من الزهو، والخيلاء. بالإضافة إلى صفة التحمل والرجولة، والصبر، وعدم الرعونة في اتخاذ المواقف.

وهذا ما يؤدي إليه قوله: نُفَلِّقُ هَامًا.

وقوله: مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ.

وقوله: صَبْرًا وَكَانَ الصَّبْرُ مِثْلًا سَحِيَّةً..

ثم قوله أخيراً: بِأَسْيَافِنَا يَفْرِينَ هَامًا وَمِعْصَمًا..

القاضي النعمان أصاب:

وقد دل هذا النص: على أن القاضي النعمان قد أصاب كبد الحقيقة، حين اعتبر أن هدف يزيد من الدخول إلى موضع نساء أهل البيت «عليهم السلام» هو الإمعان في إيذائهن، ونكأ جراحهن.

ويدل على ذلك: سائر تصرفاته الخبيثة، وما أكثرها، لاسيما وأنه قد رفع الرأس الشريف على سن قناة على مرأى من النساء.

وبالرغم من أن نساءه أعولن لما رأين الرأس - والعويل: هو رفع الصوت بالبكاء والصياح - فإنه دخل إليهن، وقال لهن: ما لكن لا تبكين مع بنات عمكن؟!

وقد أبقى الرأس الشريف عدة أيام مصلوباً أمام الناس في دمشق. وسيأتي: أنه حبس النساء في بيت لا يكنهم من حر ولا برد، وكان بصدد قتل الإمام زين العابدين «عليه السلام»، وكان يحضر الرأس

الشريف إلى مجالس لهوه وشرابه، وغير ذلك كثير.

إن ذلك كله يدلنا أن يزيد كان يريد أن يتلذذ ببكاء عيال الحسين، ويسعى إلى زيادة حرقتهن.. وما إدخالهن على نسائه إلا ليريهن طرفاً من العظمة والعز، والبذخ، والرفاهية الذي كان هو ونساؤه فيه، وعيال رسول الله في غاية العدم، والمذلة بين الأعداء والشامتين.

بل نفس أن ترى نفسك على حال من الضعف والأسى، والألم، بحيث تثير شفقة أسرك، وقاتل أحباك، وهم من الأئمة، ومن أوصياء الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة، وأعدى أعدائك يبكي، أو يتظاهر بالبكاء شفقة عليك، من دون أن تجد حولك نصيراً ولا معيناً، ولا من يمد لك يد العون، أو من يسعى في التخفيف عنك.. إن ذلك مما يثير الشجون، ويجري الدموع من العيون.

فكيف إذا كانت الأفراح بقتل أحبائهم قائمة، والشماتة بهم دائمة، وإسماعهم الأذايا لا ينقطع، وعن سب أفضل الخلق بعد النبي لا يرتدع؟!!

أما البيتان الأخيران المتقدمان، فيشهدان على صحة ما قاله القاضي النعمان أيضاً.

فإن البيت الأول يشير إلى أن الباكين على الحسين «عليه السلام» على قسمين:

١ - قسم يبكي على فقیده المقتول بفجاعة وحرقة، وهم أهله وأحباؤه،

٢ - وقسم آخر، وهم القتلة أنفسهم يشاركون أولئك في البكاء، أو في التظاهر به على ذلك الذي قتلوه..

ثم يظهر تعجبه من اجتماع هذين الفريقين المتناقضين في مقام واحد، كان هو الموجب لاختلافهم، واقتراقهم، وتباغضهم.

ثم أظهر: أنه لم ير كذلك اليوم يوماً تجتمع فيه الظباء والنفل، وهو الغنيمة إن كان بالفاء.. أو النفل، بالقاف، وهو ريش السهام حين تنقل من سهم لآخر، أو هي الحجارة التي تكون كالأفهار، فإنها مما يقتل به الظباء أيضاً كالسهام.

الباب الخامس:

ماذا جرى في الشام..

الفصل الأول:

قرع الشنايا..

ترتيب المطالب:

ونود أن نشير إلى أن ملاحظة النصوص تعطي:

- ١ - أن الرأس الشريف (أو الرؤوس كما في بعض النصوص) أدخل (أو أدخلت) على يزيد أولاً، وكان في مجلسه جماعة من الأعيان والأعوان.
- ٢ - يبدو: أن يزيد صار ينكت ثنايا الإمام بقضيب كان في يده، ويتمثل ببعض الأشعار.
- وقد اعترض عليه أبو برزة الأسلمي.. كما سنرى.
- ٣ - وبعد ذلك أدخل عيال الحسين «عليه السلام»، ومعهم الإمام السجاد والأسرى الذين بلغ عددهم اثني عشر رجلاً، أو غلاماً، كما سيأتي.
- ٤ - ثم نكت ثنايا أبي عبد الله «عليه السلام» بالقضيب بحضور الأسرى والسبايا أيضاً..
- ٥ - إن زينب «عليها السلام» لم ترض بأن تتكلم مع يزيد حتى يتكلم الإمام السجاد «عليه السلام».

٦ - جرت بين يزيد «لعنه الله» وبين الإمام السجاد «عليه السلام» مساجلات مؤثرة.. وكانت أحياناً حادة، أثارت غضب يزيد، وتهدد الإمام بالقتل. فنجاه الله منه.

٧ - جرت أيضاً مساجلات بين يزيد، وبين عدد من النسوة، لم يستطع يزيد أن يصمد لها، فانكفاً وتراجع بعض الشيء..

٨ - جرت بين يزيد وبعض الأعيان من غير المسلمين مساجلات حادة أيضاً.

٩ - ثم كانت خطبة الإمام السجاد وزينب «عليهما السلام» في مجلس يزيد..

١٠ - ثم أدخل السبايا إلى نسائه لكي يتشفى بهن، كما تقدم وسيأتي.

١١ - ثم أخرجهن من منزله، وأودعهن السجن الذي لا يكنهن من حر ولا برد، ومعهن الإمام السجاد «عليه السلام».. بالإضافة إلى الاثني عشر غلاماً الآخرين.

ونحن سوف نذكر هذه الأمور ونتكلم حولها وفق هذا الترتيب، ونضيف إليها، بعض ما لم نذكره فيها، مثل ما جرى للإمام السجاد «عليه السلام» مع المنهال بن عمرو في دمشق، وغير ذلك، فنقول:

زينب رأت الرأس في مجلس الطاغية:

١ - وَأَمَّا زَيْنَبُ، فَإِنَّهَا لَمَّا رَأَتْهُ [أَي رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»]

أَهْوَتْ إِلَى جَبِيهَا فَشَقَّتْهُ، ثُمَّ نَادَتْ بِصَوْتٍ حَزِينٍ يَقْرَحُ الْقُلُوبَ: يَا حُسَيْنَاه، يَا حَبِيبَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا ابْنَ مَكَّةَ وَمِنَى، يَا ابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ، يَا ابْنَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى.

قال الراوي: فَأَبْكْتَ وَاللَّهِ كُلُّ مَنْ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَجْلِسِ، وَيَزِيدُ سَاكِتًا^(١).

ثم تذكر الرواية: أن امرأة من بني هاشم جعلت تندب الحسين في دار يزيد، بما لا يبتعد عما قالت زينب، ولعلها اقتبست بعضه من كلامها «عليها السلام». لكنها قالت أيضاً: «يا قَتِيلَ أَوْلَادِ الْأَدْعِيَاءِ»^(٢).

وليس في هذا ما يثير حفيظة يزيد وحزبه، لأنهم يرون أن المقصود هو عبيد الله بن زياد، لأن معاوية كان ادّعى أن زياداً أباه هو ابن أبي سفيان.

وبعدما تقدم نقول:

-
- (١) الملهوف ص ٢١٣ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٤ والإحتجاج ج ٢ ص ١٢٣ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٣٤ ومثير الأحران ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٥٩ نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٣ والمجالس الفاخرة ص ٢٧٩.
- (٢) الملهوف ص ٢١٣ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٤ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٣.

هنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو: أن الرأس الشريف لم يزل مرافقاً لزَيْنَب «عليها السلام» منذ استشهد الحسين «عليه السلام»، طيلة عشرين يوماً أو أكثر، وكان رفيقها في سفرها الطويل أيضاً، وكانوا يسيرون بهم في البلاد وبين العباد، والرأس على رأس الرمح بين النسوة، ثم صلب على باب المسجد، والسبايا حوله. ثم أدخل إلى مجلس يزيد أولاً، ثم أدخلوا النساء إلى ذلك المجلس بعد قليل.. فما هذه العاطفة الجياشة التي تظهرها النساء، في مجلس يزيد، مع أنهن لم يفارقهن الرأس إلا يسيراً من الوقت؟!!

ونجيب:

أولاً: لقد كان الحسين «عليه السلام» صفوة الخلق، وأفضلهم وأقدسهم، وسيد شباب أهل الجنة. وقد قتل على ذلك النحو الفظيع والفجيع، بهدف مَحَقِّ دين محمد «صلى الله عليه وآله»..

فلم يكن البكاء على الحسين «عليه السلام» لكونه أخاً، أو مظلوماً وحسب، لكي تسكن النفوس، وتهلّ العواطف، وتسلب الخواطر، بل هو بكاء على الدين، وعلى الأمة، وعلى سيد المرسلين، وجميع النبيين، والشهداء، والصالحين، الذين كان الحسين «عليه السلام» يحمل مسؤولية حفظ جهادهم، وجهودهم، وتنميرها على النحو الأفضل والأمثل.

ثانياً: إنها «عليها السلام» قد ضمنت ندبتها هذه إدانات، وحقائق لا يمكن الجدل والنقاش فيها، وهي تفتح العيون على أهداف يزيد من قتل

الحسين «عليه السلام».. فهو يقتل حبيب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس ليزيد ولا لغيره من بني أبيه هذه المكانة منه «صلى الله عليه وآله».

وهو «عليه السلام» ابن مكة ومنى، وليس لقاتليه هذا الموقع والمقام، حتى وإن عاشوا، أو عاش أسلافهم في مكة، وترددوا في أزقتها. وألموا بشعابها، وترددوا إلى منى.. فقد أثبتت الوقائع: أن بني أمية كانوا يريدون تقويض رمزية ومكانة ودور مكة في دين الله سبحانه، وتحويلها إلى معلم جاهلي بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

ويكفي أن يكون أحد أحفاد هذه الشجرة الملعونة في القرآن - وهو يزيد - قد حاول اجتثاث أساس التوحيد، والإيمان والإسلام من الجذور.

وهو «عليه السلام» كما تقول زينب: ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء «عليها السلام».

وقاتل الحسين قد تربى في حجر أم نصرانية، طلقها أبوه، وهي حامل به، وعاش أكثر أوقاته معها، وفي بيئتها، لأنها كانت قد عاشت في قومها مع ولدها في غالب الأحيان.

وأما الحسين «عليه السلام»، فهو ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد عاش مع أبيه وأمه وجده في بيت الله، في الحجر المحيطة بمسجد الرسول في المدينة.

كما أن أمه فاطمة هي بحسب تقرير الوحي الإلهي على لسان

رسول الله «صلى الله عليه وآله» سيدة نساء العالمين، وفيها، وفي أبيها، وبعلمها، وبنيتها، نزلت آية التطهير: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(١).

فهذه الحقائق التي أشارت إليها، وذكّرت بها هي التي أبكت - والله - كل من كان حاضراً في المجلس. ويزيد ساكت.

هل شقت زينب جيبها؟!!:

تقدم معنا في هذا الكتاب: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لزينب ورقية، وفاطمة، والرباب (ولم يذكر سكينه!!): «أَنْظُرْنَ إِذَا أَنَا قُتِلْتُ، فَلَا تَشْفُقْنَ عَلَيَّ جَيِّبًا، وَلَا تَخْمُشْنَ عَلَيَّ وَجْهًا، وَلَا تَقْلَنَّ عَلَيَّ هُجْرًا»^(٢).

وهذا يعطي: أن ما ذكرته هذه الرواية، من أن زينب «عليها السلام» «أهوت إلى جيبها فشقته» لا يمكن قبوله، فإن زينب لا يمكن أن تخالف أمر أخيها الإمام الحسين «عليه السلام». وقد كان يفترض بمن تبرع بهذه الفقرة: أن ينظر إن كانت تليق بمقام من يريد أن ينسبها إليها أو لا. ولو نزه نفسه عن الارتطام بقذارات الجعل والتشويه لكان خيراً له.

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٢) الملهوف ص ١٣٩ و (نشر أنوار الهدى) ص ٥٠ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ٨٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٣٨.

أشياخ يزید.. وقرع الثنايا:

وقد تمثل يزید في مجلسه بأبيات ابن الزبعرى، وأشعار أخرى أضافها إليها، على نفس الوزن والقافية، أو لوزن آخر.

ونحن نذكر نفس النصوص التي ذكرت في موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٥ ص ٢٣٢ - ٢٣٧ مستفيدين من مصادره وهوامشه عليها أيضاً، فنقول:

١ - عن شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من الناس: إنَّه لَمَّا دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَحُرْمُهُ عَلَى يَزِيدَ، وَجِيَءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي طُسْتٍ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ثَنَائَاهُ بِمِخْصَرَةٍ (١) كَانَتْ فِي يَدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لُعِبْتُ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا	خَبَرَ جَاءَ وَلَا وَحْيٍ نَزَلَ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزْرَجَ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً	وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلِّ
فَجَزَيْنَاهُمْ بِبَدْرِ مَثْلاً	وَأَقَمْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَاعْتَدَلْ
لَسْتُ مِنْ خَنْدِفٍ (٢) إِنْ لَمْ	مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ (١)

(١) المِخْصَرَةُ: ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه، من عصا أو عكازة، أو مقرعة، أو قضيب. راجع: النهاية ج ٢ ص ٣٦ مادة «خصر».

(٢) خندف: فخذ من قبيلة «مضر»، وهو لقب أحد أجداد الشاعر.

ولعل كلمة مثل بدر في البيت الرابع مصحفة عن كلمة «ميل». كما في نقل آخر للأبيات.

٢ - وَضِعَ الرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ، وَأَقْبَلَ يَزِيدُ يَقُولُ وَيَنْظُرُ إِلَى الرَّأْسِ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزْرَجَ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
فَاسْتَهْلَوْا وَاسْتَطَارُوا فَرَحاً	وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلِّ
مَا أَبَالِي بَعْدَ فِعْلِي بِهِمْ	نَزَلَ الْوَيْلُ عَلَيْهِمْ أَمْ رَحَلَ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفٍ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمِ	مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلَ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْمَ (٢) مِنْ أَبْنَائِهِمْ	وَعَدَلْنَاهُ بِبَدْرِ فَاعْتَدَلَ

راجع: مستدركات علم رجال الحديث ج ٣ ص ٣٤٣.

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ١٢٢ الرقم ١٧٣ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٣٤ والملهوف ص ٢١٤ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦١ والمسترشد ص ٥١٠ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨٠ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٥٧ الرقم ٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٠٢ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٤٠ وراجع: مقاتل الطالبين (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٠ وبلاغات النساء ص ٢١.

(٢) الْقَرْمُ: الْمُقَدَّمُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَتَجَارِبِ الْأُمُور. راجع: النهاية ج ٤ ص ٤٩ مادة «قرم».

فَبِذَاكَ الشَّيْخُ أَوْصَانِي بِهِ فَاتَّبَعْتُ الشَّيْخَ فِي قَصْدِ سِيلِ
لَعِبْتُ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ^(١)

[زاد في بعض المصادر قوله عن حاجب يزيد:

قال: «وأقبل يقول وينظر إلى الرأس:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجَ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ

ثم أمر برأس الحسين «عليه السلام»، فنصب على باب مسجد دمشق»^(٢).

وقال اليعقوبي: «وضع الرأس بين يدي يزيد، فجعل يزيد يقرع ثناياه بالقضيب»^(٣).

٣ - جَعَلَ يَزِيدُ يَتَمَثَّلُ بِأَبْيَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبْعَرِيِّ وَهُوَ يَقُولُ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا وَقَعَةَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ

لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ

حِينَ أَلَقْتَ بِقَنَاقَةِ بَرَكْهَاسٍ وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسَلِ

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) الأمالي للصدوق ص ٢٣٠ و ٢٣١ وروضة الواعظين ص ٢١١ و (منشورات

الشریف الرضی) ص ١٩١ و بحر الأنوار ج ٤ ص ١٥٥ و ١٥٦

والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٥ ص ٢٤٥.

فَجَزَيْنَاهُمْ بِبَدْرِ مِثْلَهَا وَأَقَمْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَاَعْتَدَلْ

ثُمَّ زَادَ فِيهَا هَذَا الْبَيْتَ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ:

لَسْتُ مِنْ عَتَبَةٍ (١) إِنْ لَمْ أَنْتَقِمِ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ (٢)

٤ - عن مجاهد: كَشَفَ [يَزِيدُ] عَنْ ثَنَائِهَا رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ
السلام» بِقُضِيِّهِ، وَنَكَّتهُ بِهِ وَأَنشَدَ:

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا قَوَاضِبُ فِي أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدَّمَ

صَبْرَنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا وَأَسْيَافُنَا يَفْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمًا

نُقَلِّقُ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: إِرْفَعْ قُضْيَيْكَ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَحْصَى مَا رَأَيْتُ شَفَقَتِي
مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» فِي مَكَانٍ قُضْيَيْكَ يُقْبَلُهُ، فَأَنشَدَ يَزِيدُ:

يَا غَرَابَ الْبَيْنِ مَا شِئْتَ فُؤَلْ إِنَّمَا تَتَدَبُّ أَمْرًا قَدْ فَعِلْ

كُلُّ مُلْكٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ

(١) عتبة: هو الجد الأعلى ليزيد.

(٢) الفتوح لابن أعتم ج ٥ ص ١٢٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٢ و (ط دار
إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٠٩ نحوه، وراجع: تاريخ الأمم والملوك
ج ١٠ ص ٦٠ و (ط الأعلمي) ج ٨ ص ١٨٧ والمنتظم في تاريخ الأمم
 والملوك ج ٥ ص ٣٤٣ ومقاتل الطالبين ص ١١٩ و (ط المكتبة الحيدرية)
 ص ٨٠ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٧.

لَيْتَ أَشْيَاخِي فِي (١) بَدْرٍ جَزَعَ الْخَرْجَ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلِّ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمِ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلِ
لَعِبْتُ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ
قَدْ أَخَذْنَا مِنْ عَلِيٍّ ثَارَنَا وَقَتَلْنَا الْفَارِسَ اللَّيْثَ الْبَطْلَ
وَقَتَلْنَا الْقَرَمَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا بِبَدْرِ فَاعْتَدَلَ

قَالَ مُجَاهِدٌ: فَلَا نَعْلَمُ الرَّجُلَ إِلَّا قَدْ نَافَقَ فِي قَوْلِهِ هَذَا! (٢).

٥ - أَمَّا الْمَشْهُورُ عَنْ يَزِيدَ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ، فَهُوَ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَ
الرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمَعَ أَهْلَ الشَّامِ وَجَعَلَ يَنْكُتُ عَلَيْهِ بِالْخِزْرَانِ، وَيَقُولُ
أَبْيَاتَ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا وَقَعَةَ الْخَرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْنَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا قَتَلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلَ

حَكَى الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ: الْوُجْهِينِ
وَالرِّوَايَتَيْنِ: أَنَّهُ قَالَ: إِنْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْ يَزِيدَ فَقَدْ فَسَقَ.
قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَزَادَ فِيهَا يَزِيدٌ فَقَالَ:

(١) كلمة «في» توجب اختلال الوزن، فالأولى استبدالها بالباء.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٨ وبلاغات النساء ص ٣٤ نحوه،

وليس فيه «أبى قومنا» إلى «يقبله فأنشد يزيد».

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبَرَ جَاءَ وَلَا وَحْيَ نَزَلَ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفٍ إِنْ لَمْ أَنْتَقِم مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلَ
قَالَ مُجَاهِدٌ: نَاقَقَ.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: لَمَّا جَاءَتِ الرُّؤُوسُ كَانَ يَزِيدُ فِي مَنَظَرَةٍ عَلَى
جَيْرُونَ، فَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ تِلْكَ الشَّمُوسُ عَلَى رَبِي جَيْرُونَ
نَعَبَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ صَحَّ أَوْ لَا فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْغَرِيمِ

٦ - عن يزيد بن أبي زياد: لَمَّا أَتَى يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِرَأْسِ
الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، جَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَةٍ مَعَهُ سِنَّةً،
وَيَقُولُ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَبْلُغُ هَذَا السِّنَّ.

قَالَ: وَإِذَا لِحَيْثُهُ وَرَأْسُهُ قَدْ فَصَلَ مِنَ الْخِضَابِ الْأَسْوَدِ (٢).

لعل الصحيح: نصل. ولكن الرواة صحفوها.

ونقول:

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٥ و ١٩٦ ولواعج الأشجان ص ٢١٨ وأعيان
الشيعة ج ١ ص ٦١٥.

(٢) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٨ وترجمة
الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣
ص ٣٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٩.

بذاك الشيخ أوصاني:

تقدم: أن يزيد «لعنه الله» يقول حسب رواية القتال النيسابوري في كتاب روضة الواعظين ص ٢١١:

ما أبالي بَعْدَ فِعْلي بِهِمْ نَزَلَ الوَيْلُ عَلَيْهِمْ أَمْ رَحَلَ
قد قَتَلْنَا القَرَمَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَعَدَلْنَاهُ بِبَدْرٍ فَأَعْتَدَلْ
فَبِذَاكَ الشَّيْخُ أوصاني بِهِ فَاتَّبَعْتُ الشَّيْخَ فِي قَصْدِ سِيلِ

والظاهر: أنه يقصد بالشيخ أباه معاوية بن أبي سفيان.
وهذا يعني: أن يزيد ليس هو صاحب فكرة قتل الحسين «عليه السلام».

وقد تقدم في بعض أجزاء هذا الكتاب: أن معاوية أبقى ليزيد كتاباً يأمره فيه بقتل سيد شباب أهل الجنة «عليه السلام».. وإن كان معاوية يظهر للناس خلاف ذلك، ويتظاهر بأنه يوصيه به، ويحذره من أن يناله منه أذى.

يزيد لا يعرف مقدار سن الإمام:

ذكر النص الأخير المتقدم برقم [٦]: أن يزيد «جعل ينكت بمخصرة معه سنه «عليه السلام»، ويقول: ما كنت أظن أبا عبد الله يبلغ هذا السن».

وهذا يدل على جهل وغباء فاحش، حيث يظهر منه: أنه قد استكثر السن الذي تظهره ملامحه «عليه السلام»، وكأنه كان يحسبه

شاباً يافعاً في الثلاثينات مثلاً، أو أزيد بقليل.

مع أن من المعلوم: أن الحسين «عليه السلام» قد ولد في عهد جده رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة أربع للهجرة.

والكل يعلم: أنه في سنة ستين، أو إحدى وستين للهجرة، كان قد مضى على وفاة النبي أكثر من خمسين سنة..

ولا بد أن يضاف إلى هذه الخمسين ست سنوات أخرى، عاشها مع جده، وقد نزلت فيه «عليه السلام»، وفي أهل الكساء آية التطهير، وباهل رسول الله «صلى الله عليه وآله» به، وبأخيه نصارى نجران، ونزلت الآية الكريمة لتقرر ذلك..

فكيف يظن أنه كان أصغر من السن الذي تظهره ملامحه؟!
إلا أن يُدعى: أنه كان يظهر على الإمام أنه أكبر من سنه الحقيقي، كما لو أن عمره سبعون سنة مثلاً، مع أن عمره ست وخمسون، فيحق لمن يراه أن يقول: ما كنت أظن أنه يبلغ هذا السن.
 وهذا يبقى مجرد ادّعاء لا دليل عليه، ولا شاهد له إلا إرادة التبرير، وتمحل الأعداء.

العشائرية مرفوضة:

ومن المعلوم: أن حب الرجل لقومه، والسعي إلى برّهم، وصلتهم، ودفع الأسواء عنهم، هو كالتعصب للحق وأهله أمر مطلوب ومحبوب لله سبحانه. ولكن الله تعالى، وكذلك العقلاء من بني البشر لا يرضون بأن

يتعصب الإنسان لقومه، وأن ينصرهم بصورة عمياء، محقين كانوا، أو مبطلين ظالمين.

وما ابتلي به يزيد، وأمعن في الانتصار له: هو العصبية للقوم والعشيرة، ونصرتهم، حتى في حربهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، والسعي للأخذ بثارات المشركين منهم، حتى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي كان يحاربهم دفاعاً عن نفسه، وعن دينه.

إن يزيد بالرغم من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد استشهد قبل أكثر من خمسين سنة، عمد إلى ذريته الذين لم يكونوا قد ولدوا في حرب بدر، فذبهم، واستأصل شأفتهم، وأبادهم، وأسر وسبى عيالاتهم، ومن ينتسب إليهم، بغضاً منه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسعيًا للانتقام منه.

ومن أقوال يزيد، وعبيد الله بن زياد، ومروان بن الحكم في قتل الحسين «عليه السلام»: يوم بيوم بدر..
فإن لم يكن هذا كفراً، فما هو الكفر يا ترى.

كفر يزيد:

إن الآيات المتقدمة وسواها فيها دلالات صريحة على كفر قائلها، ولا ينفع فيها تأويل، ولا يجدي إنكار، ولا موضع فيها لشبهة..
فلاحظ على سبيل المثال قوله:

لَعِبْتَ هَاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ

وقوله:

فَجَزَيْنَاهُمْ بِبَدْرِ مَثَلًا وَأَقَمْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَأَعَدَلْ

وقوله:

لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِم مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ

وقوله:

نَعَبَ الْغُرَابُ فُفَلْتُ صَحِّحْ أَوْ لَا فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْغَرِيمِ دِيُونِي

وروي أيضاً «من النبي» في تصريح صلف بالثأر من رسول الله
«صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» نفسه، كما حكاها المجلسي «رحمه الله» قائلاً:
«وجدت بخط بعض الأفاضل نقلاً من خط الشهيد «قدس سره»
قال:

لما جاء برؤس الشهداء والسبايا من آل محمد «عليهم السلام»
أنشد يزيد لعنه الله:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الرُّؤْسُ تِلْكَ الشُّمُوسُ عَلَى رَبِي جِيْرُونِ

صَاحَ الْغُرَابُ فُفَلْتُ صَحِّحْ أَوْ لَا فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ دِيُونِي^(١)

وقد كان على مجاهد وغيره: أن لا يكتفوا بوصف يزيد بالنفاق كما
تقدم، وإنما كان عليهم أن يصرحوا بكفره. فإن لفظة أمر كهذا يستبطن

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٩.

الخداع للناس، وإيهامهم بأن الأمر لم يصل إلى حد الكفر..
بأي رواية نأخذ؟!

ويبقى هنا سؤال يقول: لقد رأينا أن الروايات المتقدمة مختلفة غير مؤتلفة، ولا سيما فيما يرتبط بالأبيات التي تمثل بها يزيد، وقد اختلفت في كلماتها، وفي أعداد أبياتها، كما اختلفت في تقرير ما قاله يزيد حين نكته ثانيا الإمام بالقضيب، وغير ذلك.. فبأي الروايات نأخذ، وعلى أيها نعتمد؟!

ونجيب بما يلي:

هناك اختلافات تنشأ عن محاولات بعض الرواة اختصار الحدث، والاقتصار على موضع الحاجة منه. وربما تعمدا الاختصار وعدم التصريح بكل الحقيقة، حفظاً منهم لماء وجه هذا الشخص أو الفريق، الذي يعز عليهم.

وهناك اختلافات تنشأ عن سوء الحفظ، أو من عدم التقيد بالمعايير المطلوبة.

وهناك اختلافات منشؤها الواقع نفسه، فنحن نعلم: أن يزيد قد أبقى أهل البيت في دمشق أسبوعين، وربما أكثر، وبقي يصلب الرأس كل يوم إلى عدة أيام على باب داره، أو على باب جيرون في دمشق، وهو أحد أبواب المسجد الأموي.

كما أنه كان يحضر الرأس الشريف إلى مجالس شرابه ولهوه.
فيبدو: أنه كان يكرر إنشاد هذه الأبيات أو تلك، وقد يزيد وينقص

منها هنا أو هناك، حسب ما تقتضيه الحاجة، ووفق ما يتقبله الحاضرون، أو حسبما يقتضيه غيه وبغيه، وتأثره بالشراب المحرم في مجالس لهوه وغيرها.

بل كان يحضر بعض الشخصيات غير المسلمة، كرسول ملك الروم وغيره في مجالس لهوه، ويحضر رأس الحسين فيها، وقد جرت مع بعض من حضر قضايا وأحداث بسبب الرأس الشريف. كما سنرى.

فاختلاف الأحداث والتصرفات، وتعدد الاعتراضات، يدل على أن يزيد كان يكرر نكت الثنايا الشريفة بخيزرانتة، ويعيد على مسامع الناس بعض أبيات الشعر، وربما يزيد وينقص منها، وفق ما تقتضيه الأحوال، كما أنه كان يتصرف ببعض كلمات تلك الأبيات من مرة إلى أخرى..

وعلى هذا.. فلا يمكن الأخذ برواية واحدة وترك ما عداها، بل تكون جميعها في معرض القبول، ولو على سبيل الظن أو الاحتمال..

الفصل الثاني

المعارضون على يزيد..

الإعتراضات على يزيد:

وقد رأينا أن الاعتراضات على نكت يزيد للثنايا المباركة، كانت أكثر مما يتوقعه يزيد، ونريد أن نقدم نموذجاً من هذه الاعتراضات، فإن ما فعله يزيد قد استفزّ الكثيرين، فاتخذوا هذا الموقف منه، وقد أسهم ذلك في فضح يزيد، وبعد انضمام ذلك إلى عوامل، وأسباب أخرى اضطر يزيد إلى العمل على إخراج أهل البيت من الشام، وتخلص من الرأس الشريف، بتسليمه للإمام السجاد «عليه السلام»، ربما لأنه خشي إن دفنه في أي موضع في الشام أن يصبح مزاراً للناس، ثم تتطور الأمور في غير صالحه. فنذكر من هذه الاعتراضات ما يلي:

١ - إعتراض أبي برزة الأسلمي:

عن القاسم بن بخيت: أذنَ [يزيدُ] للنَّاسِ، فَدَخَلُوا وَالرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَ يَزِيدَ قَضِيبٌ، فَهُوَ يَنْكُتُ بِهِ فِي ثَغْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا وَإِنَّا كَمَا قَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمُرِّيُّ:

يُقَلِّقُنَ هَاماً مِنْ رَجَالٍ أَحِبَّةٍ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

قال: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»
يُقَالُ لَهُ: أَبُو بَرزَةَ الْأَسْلَمِيُّ: أَتَنَكْتُ بِقُضِيِّكَ فِي ثَغْرِ الْحُسَيْنِ؟!
أما لَقَدْ أَخَذَ قُضْيُوكَ مِنْ ثَغْرِهِ مَأْخِذًا، لَرُبَّمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ
«صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» يَرْشُقُهُ، أَمَا إِنَّكَ - يَا يَزِيدُ - تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَأَبْنُ زِيَادٍ شَفِيعُكَ، وَيَجِيءُ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُحَمَّدٌ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ» شَفِيعُهُ، ثُمَّ قَامَ فَوَلَّى (١).

وروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» نحوه، وفيه: فقال له أبو
برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت فا رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ» على فيه يلثمه (٢).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٦ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٦ والكامل
في التاريخ ج ٤ ص ٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٨٥ ونهاية الأرب
ج ٢٠ ص ٤٦٨ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٦ و (ط دار التعارف) ج ٣
ص ٢١٤ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٣ نحوه، وراجع: الطبقات الكبرى
(الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٦ والرد على المتعصب العنيد
ص ٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨٢ عن مختصر تاريخ
دمشق (ط دار الفكر) ج ٢٦ ص ١٥١.

(٢) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٩ و ٢١٥ وشرح إحقاق
الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٧٠٥ وراجع ج ٢٧ ص ٥٢١ و ج ٣٣ ص ٦٦٢
وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣
ص ٢٦١ وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٩

وروى ابن أبي الدنيا هذا المعنى أيضاً^(١).

وقال ابن أعثم:

دعا [يزيد] بقضيب خيزران، فجعل ينكت به ثنايا الحسين «عليه السلام»، وهو يقول: لقد كان أبو عبد الله حسن المنطق! فأقبل إليه أبو برزة الأسلمي أو غيره، فقال له: يا يزيد ويحك! أتنكت بقضيبك ثنايا الحسين «عليه السلام» وتغره؟ أشهد لقد رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول: «أنتم سيدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما، ولعنه، وأعد له نار جهنم، وساءت مصيراً».

أما إنك يا يزيد لتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمد «صلى الله عليه وآله» شفيعه.

وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٢.

(١) راجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٧ وراجع كتاب الرد على المتعصب العنيد ص ٤٧ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٤ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٧٠٥ ومروج الذهب ج ٣ ص ٦١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٥ وراجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٢١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٨٥ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ١٥١ وغير ذلك.

قال: فَغَضِبَ يَزِيدُ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ، فَأُخْرِجَ سَحَبًا^(١).

وقال ابن شهر آشوب:

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ، وَالْبَلَاذُرِيُّ، وَالْكَوْفِيُّ: لَمَّا وُضِعَتِ الرُّؤُوسُ بَيْنَ يَدَيِ
يَزِيدَ، جَعَلَ يَضْرِبُ بِقَضِيْبِهِ عَلَى نَتْنِيَّتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ...

قال أبو برزّة: إِرْفَعَ قَضِيْبَكَ يَا فَاسِقُ، فَوَاللَّهِ رَأَيْتُ شَفَقَتِي رَسُولَ اللَّهِ
مَكَانَ قَضِيْبِكَ يُقْبَلُهُ! فَرَفَعَ وَهُوَ يَتَذَمَّرُ مُغَضَّبًا عَلَى الرَّجُلِ^(٢).

ونقول:

١ - قال سبط ابن الجوزي: «وذكر البلاذري: أن الذي كان عند يزيد

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٧
والملهوف ص ٢١٤ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٤ ومثير الأحزان
ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٩ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٤
ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٣ وراجع: الفصول المهمة
ص ١٩١ و (ط دار الحديث) ج ٢ ص ٨٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ص ١١٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦١ وراجع:
تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٩٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٣ وتهذيب
الكمال ج ٦ ص ٤٢٨ ومروج الذهب ج ٣ ص ٧٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣
ص ٣٠٩ والمنظّم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٢ نحوه، والبداية
والنهاية ج ٨ ص ١٩٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢١٥
والأمالي للشجري ج ١ ص ١٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧
ص ٥٢١ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٨.

وقال هذه المقالة أنس بن مالك.

وهو غلط من البلاذري، لأن أنساً كان بالكوفة عند ابن زياد، ولما جيء بالرأس بكى، وقد ذكرناه^(١).

ولم يتسن لي مراجعة كتاب البلاذري للتأكد من صحة هذه المؤاخذة التي سجلها سبط ابن الجوزي، فالعهد عليه..

٢ - إن ما أراد يزيد أن يجعل منه مظهراً من مظاهر العظمة والأبهة والتسلط، قد جعله الله تعالى من أسباب ظهور ذله وانكساره، باعتراضات أناس كان يرى أنهم مستسلمون لا يجروون على التقوه بكلمة معه. من أمثال أبي برزة الأسلمي، وغيره ممن سيأتي بعض موافقهم.

وقد جاءت هذه الاعتراضات منطقية ومفحمة، يعجز يزيد عن مواجهتها بأي منطق كان، حتى بمنطق القوة، لأنه رأى أن استعمال القوة سوف يرتد عليه، حيث سيتعاطف الناس مع هؤلاء المعارضين، الذين ينتصرون لنبيهم وأهل بيته «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين». وسيكون استعمال القوة ضد هؤلاء من أسباب انتشار هذه الفضيحة عنه وتداولها، وخلودها عبر الأجيال.

وقد يرى الناس: أن أبا برزة كان في كلامه هذا ناصحاً ليزيد، راغباً في أن يجنبه المزيد من التردي في هاوية المخازي، التي

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٨.

اختارها لنفسه..

٣ - لعل محاولات تجهيل أبي برزة من قبل بعض ناقلي هذه الحادثة كان متعمداً، بهدف الحد من تأثير موقفه هذا، فإن صدور هذا الموقف ممن له مكانة بين الناس له وقع أشد مما لو صدر من إنسان مجهول، يعيش على الهامش..

ولعل هذا هو ما يفسر لنا قولهم: «فقال له رجل من أصحاب رسول الله». «الله».

وقولهم أيضاً: «فأقبل إليه أبو برزة الأسلمي، أو غيره»..

ويشهد لما نقول:

أن التصدي لطاغية مثل يزيد حدث مهم، يدعو كل من شاهده أن يسأل عن اسم ونسب، ومكانة من يقدم عليه.. لما فيه من المخاطرة بالمال والعرض، والنفس، وغير ذلك..

وتزداد الرغبة في التعرف على ذلك الشخص، إذا رأوا أنه قد نجا من الهلاك، بالرغم من مواجهته وإحراجه لأعظم طاغية مجرم، لا يتورع عن قتل أولاد الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة.

٤ - إن ما رواه أبو برزة عن رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، وإن كان ثقیلاً جداً على الطغاة والجبارين، ولكن يزيد لم يكن قادراً على فعل أكثر مما فعل، حيث أمر بإخراج أبي برزة من مجلسه، فأخرج سحياً..

وحسب نص آخر: إن يزيد رفع القضيب عن ثغر الحسين «عليه

السلام» وهو يتذمر مغضباً من الرجل.

لكن نصاً آخر قال: إن أبا برزة نفسه قد قال ما قال، ثم قام فخرج.. فهل تكرر حضوره مجالس يزيد، وتكرر نكت الثنايا، فتكرر الاعتراض؟! أو أن بعض الرواة رواها مخففة، ومجردة عن التفاصيل.. ورواها آخر مع بعض تفاصيل ما جرى، ورواها ثالث على حقيقتها، وبكل تفاصيلها.

هذا.. ما يبقى في دائرة الاحتمال المعقول والمقبول..

لكن يبقى التنافي ظاهراً بين قولهم: إن الرجل خرج مختاراً وبين قولهم: أمر بإخراجه، فأخرج سحباً.

٥ - وعلى كل حال، فإن هذا الموقف من أبي برزة كان قوياً شجاعاً، يحمد عليه فاعله ويثاب، وهو كلمة حق أمام سلطان جائر.

٦ - لعل اعتراض أبي برزة، واعتراضات أخرى واجهها يزيد، حتى من شخصيات مرموقة من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى على حد سواء.. بالإضافة إلى خطب ومواقف السجاد وزينب «عليهما السلام»، وكذلك سائر السبايا هي التي أسهمت في إفهام يزيد: أن الإمعان في الاستكبار والقسوة في هذا الاتجاه ربما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وشعر أن عليه أن يتخلص من عبء السبايا والأسرى بالسرعة الممكنة، وبالطريقة التي لا تزيد الطين بلة، والخرق اتساعاً..

الأمر الذي اضطره إلى البدء بتحاشي الاحتكاك بهم، وصار يلقي

بتبعية قتل الإمام الحسين «عليه السلام» على عبيد الله بن زياد.
وهذا ما ستأتي بعض شواهد، مع بعض التوضيح، إن شاء الله تعالى.

وقد تعددت أساليبه في هذا المجال، فهو:

تارة: ينكر أن يكون قد علم بقتل الحسين، ويتهم به ابن زياد.
وأخرى: يهاجم ابن زياد على أن بعث بعيال الحسين «عليه السلام» على تلك الحالة المزرية والمهينة.
وثالثة: يحاول أن يلقي بتبعية ما جرى على الإمام الحسين نفسه، إلى غير ذلك مما تقدم بعضه، وسيأتي كثير منه فيما يلي من مطالب.

إعترضات بالجملة:

تقدم: أن أبا برزة اعترض على يزيد حين رآه ينكت ثنايا الإمام الحسين «عليه السلام».

ونضيف هنا جماعة آخرين قالوا: إنهم اعترضوا على يزيد حين رآوه ينكت الثنايا المباركة..

وهذا يعطي: أن هذا الأمر قد فعله يزيد أكثر من مرة في مجلس أو في مجلسين أو أكثر، وكان الناس يتوافدون على مجالسه هذه تباعاً، فكان يكرر هذا الفعل الشنيع، ويتكرر الاعتراض.

ويقال: إنه من الذين اعترضوا على يزيد.

٢ - سمرة بن جندب يعترض على يزيد:

قال الخوارزمي: «..وقيل: إن الذي رد على يزيد ليس أبا برزة، بل هو سمرة بن جندب، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال ليزيد: قطع الله يدك يا يزيد، أتضرب ثنيا طالما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبلهما، ويلثم هاتين الشفتين».

فقال له يزيد: لولا صحبتك لرسول الله لضربت - والله - عنقك.
فقال سمرة: ويلك، تحفظ لي صحبتي من رسول الله، ولا تحفظ لابن رسول الله بنوته؟!!

فضج الناس بالبكاء، وكادت أن تكون فتنة^(١).

ونقول:

في هذه الرواية عدة مؤاخذات، نذكر منها:

أولاً: إنها تقول: إن سمرة بن جندب اعترض على نكت ثنيايا الإمام الحسين «عليه السلام»، حين جيء إليه بالرأس الشريف، مع أن بقاء سمرة حياً إلى حين استشهاد الإمام «عليه السلام» غير معلوم، فإنه وإن قال بعضهم: إنه توفي سنة بضع وستين^(٢). وكان في شرطة ابن زياد، ولما علم بمسير الإمام الحسين إلى العراق أخذ يحرض

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٨.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٣٠٥.

الناس على الخروج إلى قتاله^(١).

ولكن قال ابن الأثير: قال الثلاثة: توفي سنة تسع وخمسين،
وقيل: ثمان وخمسين بالبصرة^(٢).

وقال العسقلاني: «..ومات سمرة قبل سنة ستين.. إلى أن قال:
قيل: مات سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وخمسين، وقيل: في أول سنة
ستين»^(٣).

وقال ابن القيسراني: مات سنة تسع وخمسين، ويقال سنة ستين.
قاله البخاري في الصغير^(٤).

وقال ابن عبد البر، وابن مندة، وأبو نعيم: مات سنة ٥٩. وقيل:
سنة ثمان وخمسين بالبصرة^(٥).

ثانياً: ولو سلمنا: أنه بقي حياً إلى ما بعد سنة إحدى وستين، لا

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٨ والمعارف لابن قتيبة ص ٣٠٥

وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٨٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢) أسد الغابة (ط دار الكتاب العربي) ج ٢ ص ٣٥٥.

(٣) الإصابة ج ٢ ص ٧٩ و (نشر دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ١٥٠ وراجع:

العبر في خبر من غبر ج ١ ص ٦٥ وتهذيب الكمال ج ١٢ ص ١٣٤ وسير

أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٦ والثقات لابن حبان ج ٣ ص ١٧٤

(٤) الجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٠٣.

(٥) راجع: تنقيح المقال ج ٣٣ ص ٣٩٤ وراجع: تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٩٥

وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠٧ وخلاصة تذهيب وتهذيب الكمال ص ١٥٦

ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٧.

يتوقع من هذا الرجل الشديد البغض لعلي، وأهل بيته، موقفاً كهذا،
ويكفي أن نذكر: أنه هو الذي وضع الحديث الذي يقول: إن آية: (مَنْ
النَّاسَ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) (١) نزلت في علي «عليه السلام»، وأن آية: (وَمَنْ
النَّاسَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (٢)
نزلت في ابن ملجم، لقاء أربع مئة ألف درهم بذلها له معاوية (٣).

وهو الذي لم يستجب لطلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»
فيما يرتبط بنخلة له كانت في دار رجل أنصاري. وكان يصر على
الدخول إلى نخلته من دون استئذان، فأمر «صلى الله عليه وآله» بقلع

(١) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي
ص ٣٨٣ و ٣٨٤ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢١٥ وخلاصة عباقات الأنوار
ج ٣ ص ٣٦٢ و ٢٦٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٨٦ والغارات
للتفقي ج ٢ ص ٨٤٠ وفرحة الغري لابن طاووس ص ٤٧ وشجرة طوبى
ج ١ ص ٩٧ والغدير ج ١١ ص ٢٩ و ٣٠ و ج ٢ ص ١٠١ وإكليل المنهج
ص ٢٩٠ والنصائح الكافية ص ٧٦ وإحقاق الحق (الأصل) ص ١٩٦
وسفينة النجاة للتكايني ص ٣٠٣ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ٢
ص ١٥٦.

تلك النخلة، وقال: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام^(١).

وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له، ولأبي محنورة، وأبي هريرة: أخرجكم موتاً في النار^(٢). وكان سمره آخرهم موتاً.

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٢٧ والكافي ج ٥ ص ٢٩٤ وراجع ص ٢٩٢ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٣٣ و ١٠٣ وتهذيب الأحكام ج ٧ ص ١٤٧ ووسائل الشيعة ج ١٧ ص ٣٤٠ و ٣٤١ وبحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ١٥٧ وسنن أبي داود ج ٣ ص ٣١٥ والفائق للزمخشري ج ٢ ص ٤٤٢ ومصابيح السنة للبعوي ج ٢ ص ١٤ والنظم الإسلامية ص ٣٢١ عن أبي داود، وعن عون المعبود ج ٢ ص ٣٥٢ والدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧ عن ابن أبي حاتم، وراجع: قاموس الرجال ج ٥ ص ٨.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٧٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ١٥٠ والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٢ ص ٧٨ و (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٦٤٥ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٥٥ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٩٥ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ١٣٢ والنص والإجتهد ص ٢٢٢ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٩٠ وجزء أشيب للبغدادي ص ٥٨ والمعجم الأوسط ج ٦ ص ٢٠٨ والمعجم الكبير ج ٧ ص ١٧٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٢١٥ والتاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ١٣٣ وتهذيب الكمال ج ١٢ ص ١٣٣ وج ٣٤ ص ٢٥٧ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠٧ وج ١٢ ص ٢٠٠ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٥ ص ٢١١ و ٢١٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٣٣

وزعموا: أنه سقط في قدر مملوء ماء حاراً فمات، وأن المراد بكلام النبي «صلى الله عليه وآله» هذا المعنى، وهو كلام باطل.

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: آخركم موتاً بالنار، لتكون النار سبباً لموته، بل قال: في النار.. لتكون النار ظرفاً ومحلاً ومقرراً لذلك الميت.

ثانياً: الماء الحار ليس ناراً.

ثالثاً: لو سلمنا: أن هذا هو المراد، فإنه سيكون تعبيراً ركيكاً، لا يليق بالنبي، أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء.. إذ كان ينبغي أن يقول: آخركم موتاً يموت بالنار.

وسمرة أيضاً رجل سفاك للدماء، حتى إن الطبري يروي عن محمد بن سليم قال: سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟! قال: وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب؟! استخلفه زياد على البصرة، وأتى إلى الكوفة. وقد قتل ثمانية آلاف من الناس الخ..(١).

والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٦ ص ٢٥٣ وإمتاع الأسماع ج ١٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ وج ١٤ ص ١٣٢ ودلائل النبوة ج ٦ ص ٤٥٩ وكفاية الطالب ج ٢ ص ١٤٤ والشفاء للقاضي عياض ج ١ ص ٣٣٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٤ و ١٨٥ وتهذيب الأحكام ج ٧ ص ١٤٧.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٣٦ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ١٧٦ والنصائح الكافية ص ٧٦ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ١٣٥ والغدير ج ١١ ص ٢٩.

وسمرة هو القائل: لعن الله معاوية. والله، لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عدّني أبداً^(١).

ومن كان هذا حاله، هل يعقل أن يكون مهتماً بالدفاع عن كرامة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويريد حفظ كرامة الإمام الحسين «عليه السلام» وهو لأجل حفنة من المال يكذب على الله ورسوله، ويضع الأحاديث في ذم أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومدح قاتله؟!

٣- زيد بن أرقم:

قال القطب الراوندي: فدخل عليه (أي على يزيد) زيد بن أرقم، ورأى الرأس في الطشت، وهو يضرب بالقضيب على أسنانه، فقال: «كف عن ثناياه، فطالما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبلها.

فقال يزيد: لولا أنك شيخ خرفت لقتلتك^(٢).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٩١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢١٧ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٩٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٧٣ والإيضاح لابن شاذان ص ٥٤٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٦٧ وأنساب الأشراف (نشر جمعية المستشرقين الألمانية - بيروت) ج ٥ ص ٢٤٠ والغدير ج ١١ ص ٣٠ والنصائح الكافية ص ٧٧.

(٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨١ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٨٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٠١.

وإلى ذلك أشار الحميري بقوله:

لم يزل بالقضيب يعلو ثنايا في جناها الشفاء من كل
داء

قال زيد: ارفعن قضيبك ارفع عن ثنايا غر غذي باتقاء
طالما قد رأيت أحمد يلثمها وكم لي بذاك من شهداء^(١)

٢ - روى ابن الجوزي عن زيد بن أرقم قال: «كنت عند يزيد بن معاوية، فأتني برأس الحسين بن علي، فجعل ينكت بالخيزران على شفتيه وهو يقول:

يُقْلَقْنَ هَاماً مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
فقلت له: ارفع عصاك.

فقال: ترابي!!

فقلت: أشهد لقد رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» واضعاً حسناً على فخذ اليمنى، واضعاً حسيناً على فخذ اليسرى، واضعاً يده اليمنى على رأس الحسن، واضعاً يده اليسرى على رأس الحسين وهو يقول: اللهم إني استودعكما وصالح المؤمنين.

فكيف كان حفظك يا يزيد وديعة رسول الله؟!^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦١.

(٢) الرد على المتعصب العنيد ص ٤٦.

٤ - النعمان بن بشير:

قال البري التلمساني: «وأتي يزيد برأس الحسين عليه السلام»، فلما وضع بين يديه جعل ينكت أسنانه بقضيب كان في يده، ويقول: «كان أبو عبد الله صبيحاً».

فقال له النعمان بن بشير: «ارفع يدك يا يزيد عن فم طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله» يقبله».

قال: فاستحيا يزيد، وأمر برفع الرأس»^(١).

٥ - يحيى بن الحكم:

٦ - عبد الرحمان بن الحكم:

وممن اعترض على هذا الفعل من يزيد: يحيى بن الحكم، أخو مروان بن الحكم، فإنه لما رأى ما فعل يزيد برأس الحسين، وتمثله بالأبيات التي تدل على كفره، قال:

لهام بأدنى الطّف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب
سميّة أمسى نسلها عدد وبنت رسول الله ليس لها نسل

فرفع يزيد يده، فضرب صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

(١) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ج ٢ ص ٢١٩ و (نشر مكتبة النوري - دمشق) ص ٤٦.

رواه كثير من أرباب السير، منهم الشيخ المفيد والطبرسي^(١).

وجاء في بعض الكتب أنه قال:

لهام بجنب الطّف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي النسب
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من
نسل^(٢)

ونسب هذا الموقف، وهذه الأبيات، وموقف يزيد منها، إلى أخيه
عبد الرحمن بن الحكم أيضاً^(٣).

وعن سبط ابن الجوزي: أنه بعدما أنشد الأبيات صاح وبكى،
فضرب يزيد صدره، وقال له: يا ابن الحمقاء، ما لك ولهذا؟!^(٤).

-
- (١) الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١١٩ و ١٢٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦٠ و ٢٦١ وتاريخ
الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٥٢ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٩ والبداية
والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٠٨ وجواهر المطالب
ج ٢ ص ٢٩٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٤ ص ١٢٣.
(٣) أنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ مدينة دمشق
ج ٣٤ ص ٣١٦ والأغاني ج ١٣ ص ١٧٨ والوافي بالوفيات ج ١٨ ص ٨٢
وفوات الوفيات ج ١ ص ٦٢٣ والأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٠٥ وفي مجمع
الزوائد ج ٩ ص ١٩٨ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١١٦ «عبد الرحمان ابن أم
الحكم».
(٤) الأغاني ج ١٣ ص ١٧٨ والوافي بالوفيات ج ١٨ ص ٨٢ وفوات الوفيات

وفي بحار الأنوار والمناقب بعد ذكر ما أنشده عبد الرحمن بن الحكم قال يزيد: نعم، فلعن الله ابن مرجانة، إذ أقدم على مثل الحسين بن فاطمة، لو كنت صاحبه لما سألتني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحنف بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله أمراً، فلم يكن له مرد.

وفي رواية: أن يزيد أسرَّ إلى عبد الرحمان وقال: سبحان الله، أئى (لعل الصحيح: أفي) هذا الموضع؟! أما يسعك السكوت؟! (١).

ووصف ابن الجوزي عبد الرحمان بن الحكم: بأنه كان فصيحاً شاعراً (٢).

ووصفه الصفدي: بأنه شاعر محسن شهد يوم الدار (٣).

٧ - الحسن المثنى:

وروا أيضاً: أن الحسن بن الحسن (الحسن المثنى) لما رأى

ج ١ ص ٦٢٣ ومراة الزمان ص ٩٩ على ما في عبرات المصطفين ج ٢ ص ٣١٥.

(١) مخطوطة مراة الزمان ص ٩٩ على ما في عبرات المصطفين ج ٢ ص ٣١٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣١.

(٢) عبرات المصطفين ج ٢ ص ٣١٥ عن سبط ابن الجوزي في مراة الزمان (مخطوط) ص ٩٩.

(٣) الوافي بالوفيات ج ١٨ ص ٨٢ و ٨٣ وفوات الوفيات ج ١ ص ٦٢٣.

يزيد يضرب بالقضيب موضع فم رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: وا ذلّاه.

سميّة أمسى نسلها عددً وبنت رسول الله ليس لها ويقال: إن الحسن البصري لما سمع بهذا الخبر قال هذا البيت أيضاً^(٢).

ونقول:

زيد بن أرقم شيخ خرف:

لقد وصف يزيد زيد بن أرقم: بأنه شيخ قد خرف، ولولا ذلك لقتله.

مع أن كلام زيد لم يتضمن أي شيء يدل على الخرف. بل ما قاله ليزيد هو عين العقل، والورع والتقوى، فلماذا أطلق عليه يزيد هذا الوصف الذي هو نفس ما قاله ابن زياد له حين نهاه عن فعل نفس ما فعله يزيد، فرماه ابن زياد بالخرف أيضاً؟!!

ولعل سبب ذلك: أن هؤلاء الطغاة يعرفون: أن قتل الحسين «عليه السلام» أمر عظيم، وخطب جسيم، ويحاولون أن يمنعوا الناس من التعبير عن مشاعرهم، باستعمال البطش والقتل لكل من يعترض، أو

(١) مثير الأحزان ص ١٠٠.

(٢) الرد على المتعصب الغنيد ص ٤٧ وراجع: شرح إحقاق الحق

(الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨٩.

يخشى منه ذلك.

فإن وجدوا أن قتل بعض هؤلاء قد يكون من قبيل صب الزيت على النار لجأوا إلى الاتهام بالخرف، أو الترابية، أو إلى التغيظ الشديد الذي يجمع الطرف الآخر، أو إلى الطرد من المجلس، أو ما إلى ذلك، كما يتضح من النصوص المتقدمة.

وزيد بن أرقم شخصية معروفة ومحترمة بين الناس، فقتله سوف يثير بلبلة بين الناس، وسيكثر من يخطئ يزيد، ويلومه، وربما دعا ذلك الكثيرين إلى أن يكونوا من أنصار المناوئين ليزيد وبني أمية، فلا مصلحة لهم في قتل زيد في هذه الحالة.

على أن ما قاله زيد ليزيد، وابن زياد - إن كان زيد قد ترك الكوفة وقدم إلى الشام في تلك الأيام لحاجة عرضت له - ليس فيه ما يستحق به القتل، بل يمكن ليزيد أن يعتبره نصيحة له حتى لا يتعرض لمقت الناس، ويتعامل معه على هذا الأساس.

كما أن موقف زيد هذا، يهدف إلى حفظه، من حيث إنه أراد أن لا يوجب فعل يزيد هذا كرامة رسول الله، ومنع الإهانة للإمام الحسين، يكون من موجبات المثوبة ليزيد بن أرقم.

وبذلك يكون من حق زيد على يزيد أن يبادل هذه النصيحة بالشكر والامتنان والطاعة، لا رمية بالخرف، وتهديده بالقتل.

ردود يزيد: تنوع، واختلاف:

وقد ظهر مما تقدم، وغيره مما لم نذكره في هذا الكتاب: أن

تعامل يزيد مع المعارضين على إساءاته للرأس الشريف، حين كان ينكته بالقضيب مرة بعد أخرى، وربما في مجالس متعددة - ظهر - وجود تفاوت واختلاف، فهو يتهم زيد بن أرقم بالخرف، ويهدده بالقتل.

ويتهمه أيضاً: بأنه ترابي. أي من أنصار أو محبي أبي تراب، وهو علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي التهمة التي كان بنو أمية يحاسبون الناس عليها، ويضطهدونهم لأجلها.

ولعل من أسباب شدته على زيد: هو ما كان يرويه من فضائل لعلي وأهل البيت «عليهم السلام».

والحاصل: أنه يعامل زيد بن أرقم بهذه الحدة والشدة، ولكنه يراعي جانب النعمان بن بشير، الذي لم يزد على ما قاله زيد بن أرقم شيئاً، فيستحي، ويأمر برفع الرأس.

والنعمان كان من أعوانهم المخلصين لهم، ومن المبغضين لعلي «عليه السلام»، وقد خاض معهم في الدماء خوضاً في حروبهم لأمر المؤمنين. وبقي كذلك إلى أن مات يزيد.

وهو يضرب في صدر يحيى بن الحكم الأموي، ويقول له: أسكت.

أو قال له - بعد أن صاح وبكى -: يا ابن الحمقاء، ما لك ولهذا؟! ويقول لعبد الرحمان بن الحكم: سبحان الله، أفي هذا الموضع؟ أما يسعك السكوت؟!

ولكنه حين اعترض عليه أبو برزة الأسلمي غضب، وأمر بإخراجه، وأخرج سحباً.

وفي نص آخر: فرفع، (عصاه عن ثنايا الإمام «عليه السلام») وهو يتذمر، مغضباً على الرجل.

فهو يعامل الناس حسب قربهم منه، وبعدهم عنه، انطلاقاً من المنطق العشائري، أو انطلاقاً من مقدار قربهم من علي «عليه السلام» وبعدهم عنه، عملاً بالمنطق الشيطاني الخبيث.

إختلالات في الأشعار:

ونلاحظ: وجود اختلالات وركاكة في الأشعار المذكورة آنفاً:

١ - فالبيت الثالث في الأبيات المنسوبة للسيد الحميري «رحمه الله»، قال: «يلثمها»، حيث يجب أن تكون الميم مضمومة، لأنه فعل مضارع لم يرد عليه جازم، ولكنها تقرأ في هذا الشعر مجزومة، لأن الوزن يقتضي ذلك، ولا مبرر لجزمها.

٢ - وفي البيت الثاني من تلك الأبيات ركاكة ظاهرة، ولا سيما في قوله: «غذي باتقاء».

٣ - يلاحظ: أن البيت الثاني من البيتين اللذين أوردهما يحيى بن الحكم جاءت قافيته مضمومة، والقافية في البيت الأول مجرورة، وهذا إقواء كان يمكن تحاشيه.

وقد ورد البيتان في تاريخ الأمم والملوك بصورة سليمة، حيث

كانت القافية في البيتين معاً مرفوعة.

الفصل الثالث

يزيد : لم أعلم بقتل الحسين!!

في مواجهة يزيد:

١ - عن عليّ بن الحسين [زين العابدين] «عليه السلام»: «أدخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر رجلاً [في شرح الأخبار وغيره: غلاماً] مغلولين، فلما وقفنا بين يديه، قلتُ: أنشدك الله يا يزيد، ما ظنك برسول الله لو رآنا على هذه الحال؟...»

إلى أن تقول الرواية: وقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، بنات رسول الله سبايا!

فبكى الناس، وبكى أهل داره حتى علت الأصوات.
فقال عليّ بن الحسين «عليه السلام»: وأنا مغلول، فقلتُ: أتأذن لي في الكلام؟!

فقال: قل ولا تقل هجراً.
قلتُ: لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنك برسول الله لو رآني في غلٍّ؟

فقال لمن حوله: خلوه، ثم وضع رأس الحسين «عليه السلام» بين

يَدِيهِ، وَالنِّسَاءَ مِنْ خَلْفِهِ؛ لِنَّا يَنْظُرْنَ إِلَيْهِ، فَرَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام»، فَلَمْ يَأْكُلْ بَعْدَ ذَلِكَ الرَّؤُوسَ أَبَدًا^(١).

٢ - وفي نص آخر: لَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام»:

أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا يَزِيدُ، مَا ظَنُّكَ بِرَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» لَوْ رَأَانَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مُقَرَّنَيْنِ فِي الْحِبَالِ، أَمَا كَانَ يَرِقُّ لَنَا؟
فَأَمَرَ يَزِيدُ بِالْحِبَالِ فَقُطِّعَتْ. وَغُرِفَ الْإِنْكِسَارُ فِيهِ^(٢).

وفي نص آخر: فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا يَدُهُ مَغْلُولَةٌ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَنَا: أَحْرَزْتَ (أَخْلَصْتُمْ) أَنْفُسَكُمْ عَبِيدُ أَهْلِ الْعِرَاقِ! وَمَا عَلِمْتُ بِخُرُوجِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا بِقَتْلِهِ^(٣).

(١) مثير الأحزان ص ٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٢ وراجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٦٧.

(٢) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٣ وراجع: والملهوف ص ٢١٣ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٣ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٢ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٩ وراجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٨.

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٨ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٧٢ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ٢ ص ٦ و (تحقيق الشيري) ج ٢ ص ١٢

وسياتي هذا النص بتمامه عن قريب إن شاء الله.

٣ - عن حاجب عبيد الله بن زياد: أُدْخِلَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَصَحَنَ نِسَاءُ آلِ يَزِيدَ وَبَنَاتُ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلُهُ، وَوَلَّوْكَنَّ، وَأَقَمْنَ الْمَأْتَمَ، وَوُضِعَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَتْ سَكِينَةُ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْبًا مِنْ يَزِيدَ، وَلَا رَأَيْتُ كَافِرًا وَلَا مُشْرِكًا شَرًّا مِنْهُ، وَلَا أَجْفَى مِنْهُ، وَأَقْبَلَ يَقُولُ وَيَنْظُرُ إِلَى الرَّأْسِ: لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ ثُمَّ أَمَرَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَتُصِبَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ (١).

الأسل: الرماح، والنبيل.

ونقول:

إننا نسجل هنا النقاط التالية:

الأسرى من الرجال:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن الأسرى من الرجال كانوا اثني

والمحن ص ١٤٨.

(١) الأمالي للصدوق ص ٢٣٠ و ٢٣١ وروضة الواعظين ص ٢١١ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٥ و ١٥٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٦.

عشر، وكانوا كلهم مغلولين. ولم نستطع أن نحصل على أسماء جميع هؤلاء الرجال. والمتيقن: أن أكثرهم كانوا من الصبيان، فقد قال ابن حبان: «ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان»^(١). وقال: «ثم أركب الأسارى من أهل بيت رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» من النساء والصبيان أقتاباً يابسة»^(٢).

وفي رسالة ابن عباس ليزيد: «ألا وإن من أعجب الأعاجيب - وما عسى أن أعجب - حملك بنات عبد المطلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوبين، تري الناس أنك قهرتنا، وأنت تمن علينا»^(٣).

وقال الشبراوي الشافعي: «ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية، وأرسل معه النساء والصبيان مشدودين على أقتاب الجمال»^(٤).

وقال ابن الأثير: «أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام إلى يزيد، ومعه جماعة. وقيل: مع شمر وجماعة معه. وأرسل معه النساء والصبيان، وفيهم علي بن

(١) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص ٦٤٣ وتاريخ

اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٠ والدرجات الرفيعة ص ١٣٨.

(٤) الإتحاف بحب الأشراف ص ٥٥.

الحسين»^(١).

أسماء متيقنة أو مشكوكة:

وقد ذكرنا فيما سبق: أسماء ذكرت في بعض المصادر لرجال، أو صبية صغار كانوا في جملة الأسرى، مع وجود تضارب وتكاذب، واختلاف بين النصوص، فلا حاجة إلى الإعادة..

لكننا نعلم: أن من الأسرى، بعد استثناء الإمام الباقر «عليه السلام»، الذي كان صغير السن:

١ - الإمام السجاد «عليه السلام».

٢ - الحسن المثنى..

ويحتمل أن يضاف إليهما:

٣ - القاسم بن عبد الله بن جعفر.

٤ - القاسم بن محمد بن جعفر.

والباقون.. إما أطفال، أو أنهم من الشهداء، أو أن الكلام حولهم متناقض.

ولذلك نقول:

إن كان المراد بكلمة رجلاً في قوله: «ونحن اثنا عشر رجلاً». هو الذكور مقابل الإناث، فله وجه.

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٧.

لكن استعمال كلمة «رجل» بهذا المعنى غير شائع.

ولعل التعبير الأولى بالقبول: هو قول القاضي النعمان وغيره: إنهم كانوا اثني عشر غلاماً، لأن الغلام يطلق على الكبير والصغير.. على أن ذلك لا يحل إشكال عدم التمكن من العثور حتى على أسماء هؤلاء الغلمان بصورة تفي بالعدد المذكور.

في الأغلال أو في الحبال:

بعض النصوص تقول: إن جميع الأسرى كانوا مغلّلين، والغل طوق يوضع في العنق، يكون غالباً من الحديد.. وربما تغل اليدان إلى العنق أيضاً..

لكن بعض النصوص الأخرى قالت: أمر بالحبال فقطعت.. ولا يقال للحبل غل.. فلعل الأطفال الصغار - كالإمام الباقر «عليه السلام» - كانوا مربطين بالحبال، لأن الأكثر كانوا صغاراً، كما صرح به ابن عباس في رسالته ليزيد. أما المراهقون والكبار فكانوا مغلّلين، وهم قلة.

وكان المقصود من هذه الأغلال، والحبال هو الإذلال، وكسر الهيبة، وإظهار الشوكة..

واحتمال أن يكون المقصود: أن يزيد وضع الرأس أمام السجاد، ووضع النساء خلفه «عليه السلام»، حتى لا يرين الرأس لا مجال لقبوله، لأن الإمام السجاد «عليه السلام» لا يمنع من رؤية النسوة

للرأس، إلا إذا كان في حجرة، وقد خيم عليه بردائه مثلاً، وهذا لم يحصل.

يضاف إلى ذلك: وجود نصوص أخرى تصرح: بأنه وضع سكينه خلف ظهره. أي خلف ظهر يزيد.

النساء خلف سرير يزيد:

وقد يتساءل المرء عن مدى صحة قولهم: إن يزيد قد وضع النساء والأسرى خلفه، لئلا ينظرن إلى الرأس بين يديه.

ونقول:

إن يزيد كان يعرف: أنه لا يستطيع أن يضبط الأمور بالصورة التي تحقق له أهدافه، إذا كان يريد أن يسيء الأدب، ويذل أهل البيت، فقد كان في مجلسه أعيان أهل الشام، وغيرهم من سائر البلاد، وليس من مصلحته أن يكون في مجلسه ضجيج وعجيج، وبكاء ونواح، وعويل وصياح.. فكان يريد ترويض مجلسه على نمط بعينه.

ولكن الأمور لم تجر وفق ما رسم، بل أصبح ذلك المجلس الذي أراد أن يصنع منه مفخرة ومأثرة له، مجلس خذلان وشؤم عليه..

امتنع من أكل الرؤوس:

وأما الحديث عن عدم أكل علي بن الحسين «عليه السلام» الرؤوس منذ رأى رأس أبيه في مجلس يزيد، فلا ينبغي التوقف عنده، فإن الرأس الشريف قد صاحب الإمام السجاد والسبايا طيلة عشرين

يوماً. وقد وضع في طشت وجيء به إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، ولم يزد يزيد في تعامله القبيح مع الرأس على ما فعله ابن زياد، فلماذا لم يمنع ذلك الإمام السجاد من أكل الرؤوس منذ ذلك الحين؟! وما ذنب رؤوس الأنعام التي أحل الله تعالى أكلها للبشر، إذا كان أشرار الخلق يسيئون إلى رؤوس الأصفياء والأولياء؟! لا تقل هجراً؟!

لم يكن هناك أحد يجهل: أن أهل البيت «عليهم السلام» قد زقوا العلم زقاً. وأن حججهم على حقهم لا تبارى ولا تجارى. كما أن أحداً لا يجهل شجاعتهم في قول الحق، وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. ولكن لعل يزيد ظن: أن المصائب والبلايا، والأهوال، والرزايا، والإذلال، والإهانات قد استنفدت من الإمام السجاد «عليه السلام» بعضاً من قواه، وجعلته يتجه نحو الانفعال، والتكلم بما ينفس كربته، ويجيش في صدره، وربما تضمن كلامه بعض التجريح بشخص يزيد، وبني أمية.

فأراد بقوله: «قل ولا تقل هُجراً»: أن يوحى بأن أهل هذا البيت أناس عيَّابون شتامون، لا يلتزمون بأدب الخطاب، ولا بنظافة الكلمة من الترهات، والكلام الخارج على حدود العقل والمنطق القويم. وبذلك يكون يزيد قد أدان الإمام السجاد، فيما يقوله، قبل أن يقول «عليه السلام» كلامه. وخفف من حدة تأثير المؤاخذات التي يتوقعها نتيجة لفعلته الشنعاء تلك.

ولكن جواب الإمام السجاد «عليه السلام» قد تضمن إدانة حاسمة ليزيد، الذي أساء التقدير، وأعرب عن نفسه بأنه لا يعرف أقدار الرجال، فقد قال له: «لَقَدْ وَقَفْتُ مَوْقِفًا لَا يَنْبَغِي لِمِثْلِي أَنْ يَقُولَ الْهَجَرَ».

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل ليزيد: وقفت موقفاً لا ينبغي فيه الهجر. فقد يقال له: هناك أشياء كثيرة لا تنبغي، ولكن الناس يفعلونها انسياقاً مع هوى، أو لأجل مصلحة يرونها، أو منفعة يتوقعونها، أو بسبب حالة غضب وانفعال، أو غير ذلك. وأنت قد فعلت ما لا ينبغي لسبب من هذه الأسباب، أو سواه.

كما أنه لم يقل: أنا لا أقول هجراً، فقد يقال له: أنت تدعي لنفسك ما قد لا يرضاه الناس منك.. والعبرة بالحكم عليك بما سوف يصدر منك..

كما أنه أيضاً لم يقل: إن المقام ليس مقاماً أقول «فيه» هجراً.. إذ رُبَّ قائل يقول له: معنى ذلك: أنك قد تقول الهجر في مقامات أخرى.. ولكنه قال: «لَا يَنْبَغِي لِمِثْلِي أَنْ يَقُولَ الْهَجَرَ».

وكان الهدف من إجراء الكلام على هذا النسق: بيان خطأ يزيد في معرفته، حتى بأبده الأمور، فكأنه لم يكن يعلم.

أو أراد أن يتظاهر: بأنه لا يعلم بأن الناس أصناف شتى، فهناك صنف لديه مبادئ وقيم، وأخلاق والتزامات، يرى أن الإخلال بها إخلال بإنسانيته، وقيمه، ومبرر وجوده، فليس لأحد أن يظن بهؤلاء

الوقوع بأية هفوة أو زلة، وهم الأنبياء والأوصياء المعصومون. وقد حكى الله تعالى في كتابه الكريم عن هؤلاء وبين صفاتهم وميزاتهم، فهم الصادقون، والأوفياء بعهودهم ووعودهم، وهم المصطفون الأخيار. وهم الذين فرض الله مودتهم، وأمر بطاعتهم، والكون معهم.

وهم الذين طهرهم الله تعالى من كل رجس، فقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(١).. وآيات كثيرة أخرى، دلت على عظيم فضلهم، وبإذخ مقامهم عند الله، وجليل موقعهم لديه.

فليس لأحد كائناً من كان أن يتوهم فيهم خلاف ذلك.. لأنه إنما يكذب الله ورسوله، وما أنزله في كتابه.. فلا مجال لغلبة هوى، ولا لفورة غضب غير محسوبة، ولا لغير ذلك..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «لا ينبغي لمثلي»، لأنه من هذا السنخ الذي كان يزيد وحزبه يجهدون لإبادته واستئصاله..

وتذكرني كلمة «لمثلي» هنا بكلمة الإمام الحسين «عليه السلام» حين أرادوه على بيعة يزيد، حيث قال: «ومثلي لا يبايع مثله».

وهناك فريق انساق مع هواه، وآثر طاعة الشيطان على طاعة الرحمان. وانغمس في الجرائم والمآثم.. ومنهم يزيد وحزبه الضالون

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

والظالمون..

وهناك قسم آخر من الناس خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، عسى الله أن يرحمهم، إذا صحت توبتهم، وخلصت نيتهم.

يزيد يدين نفسه:

واللافت هنا: أن السؤال الذي طرحه الإمام زين العابدين «عليه السلام» على يزيد كان واضحاً، وسهلاً مستساغاً، يدركه العالم والجاهل، والقريب والبعيد، والدني والشريف، والرجل والمرأة، والطفل، والمسلم وغير المسلم.

ولم يكن لهذا السؤال سوى جواب واحد، إلا إذا أراد أحد أن يتخذ سبيل الجحود والعناد، والمكابرة، التي ستكون في غير صالح ذلك الجاحد المكابر، لأنه سوف يفضح نفسه، ويدل على جهله، أو على مبلغ أنانيته وحقده، والسؤال هو:

ما ظنك برسول الله إذا رأيته في غل، أو إذا رأنا على هذه الصفة، أو على هذه الحالة، أو نحو ذلك؟!!

فإن قال في الجواب: إنه «صلى الله عليه وآله» سيكون فرحاً مسروراً، فالكل يعلم: أن هذا كذب فاضح، وبغي واضح..

وإن قال: سوف يكون مغموماً وغاضباً، فسيقال له: فلم فعلت ما يغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وإن أراد المكابرة والعناد، وقال: سيكون راضياً، لأن أباك قد خرج على السلطان محارباً، ولا بد من دفعه، فسيسمع أجوبة كثيرة

يكون كثير منها ذا طابع جارح. وستكون هذه الأجوبة بمثابة فضيحة كبرى ليزيد.

ومما يمكن أن يقال له، ما يلي:

١ - إن يزيد كان قد بايع الحسين «عليه السلام»، ثم نكث البيعة، وتسלט على الناس بغير وجه حق.. وهذا ما صرح به عبد الله بن الزبير، كما قلنا^(١).

٢ - إن يزيد هو من الظالمين، الذين لا ينالهم عهد الله، ومن الطلقاء الذين ليس لهم في هذا الأمر نصيب، وهو أيضاً.

قال تعالى: **(لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)**^(٢).

وقد قال «صلى الله عليه وآله»: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء»^(٣).

٣ - إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جعل الحسين وأخاه

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٤٩.

(٢) الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٨٤ ومثير الأحزان ص ٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ١٥ والملهوف (نشر أنوار الهدى) ص ١٨ وتسليية المجالس ج ٢ ص ١٥٣. وراجع: الأمالي للصدوق ص ١٣٠ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٢١٦ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦١ والفضائل لابن شاذان ص ٦٨.

إمامين قاما أو قعدا.

٤ - إنه «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» قال: يكون بعدي اثنا عشر إماماً أو أميراً كلهم من قریش. وقد نص النبي «صلى الله عليه وآله» على أسمائهم، وليس اسم يزيد، ولا أحد من غير بني هاشم.

٥ - إن يزيد لم يبايع من قبل أهل الحل والعقد، ومن بايعه بعد ذلك، فإنما بايع تحت التهديد بالسيف، وما جرى للحسين «عليه السلام» شاهد واضح على ذلك.

٦ - لم يذهب الحسين للعراق مقاتلاً، ولا جمع جيشاً، ولا هياً عدة، بل ذهب بعياله، وبعض محبيه، فلماذا يواجه بعشرات الألوف. كان منهم في ساحة المعركة وحدها ثلاثون ألفاً، فما بالك بمن كانوا في المنطقة قد أخذوا الطرق والمفارق، أو اجتمعوا ليكونوا مدداً إن احتاج عمر بن سعد إلى مدد. وكان ذلك بعد أن أخذوا عليه الطرق، وأريد منه أن يستأسر؟! أن يستأسر؟!!

٧ - إن أهل العراق قد استعاثوا بالحسين «عليه السلام» ليأتيهم، ويعينهم على حل مشاكلهم، وليس بالضرورة أن يتم ذلك بالحرب والقتال مع أي كان من الناس.

٨ - إن سلوك يزيد الأخلاقي والديني لا يسمح له بأن يكون بواب خليفة، فما بالك بمقام خلافة النبوة؟! ونكتفي هنا بكلمة قالها الإمام الحسين «عليه السلام»: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَةِ، وَمَعْدَنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبُطُ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، بَنَّا فَتَحَ اللَّهُ وَبَنَّا يَخْتَمُ..»

ويزيد رجل فاسق، فاجر، قاتل للنفس المحترمة، شارب للخمر، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»^(١).
أمر بالحبال فقطعت:

وهنا يقول النص التاريخي: «فأمر يزيد بالحبال فقطعت». وفي بعض المصادر: «وعرف الانكسار فيه».

وهذا اعتراف عملي من يزيد، وهو أقوى من القول: بأن رسول الله سوف يغضب، ويتألم، إذا رأى أهل بيته على هذه الصفة.. فإن القول قد يحمل على أنه قد قيل على سبيل الاستهزاء بالمخاطب.. أو لاستدراجه للإفصاح عن أمور أخرى يظن أنها تجيش في نفسه، أو لغير ذلك من أسباب.

ثم أكد هذا المعنى ذلك الانكسار الذي بدا على يزيد، والذي قرئ في وجهه، وسائر تصرفاته.

عبد أهل العراق:

ويلاحظ: أن أهل العراق الذين غدروا بإمامهم، ثم قتلوه مع أهل بيته وأصحابه، وأرسلوا برؤوسهم إلى يزيد، وهذا كان غاية أمنيته.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٨٤ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص ١٤ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٤ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص ١٧٤ ولواعج الأشجان ص ٢٥ والملهوف (نشر أنوار الهدى) ص ١٧.

قد بقوا مبغوضين ليزيد، ولم يحصلوا على رضاه، فكان هذا أول تجليات استجابة دعاء الإمام الحسين «عليه السلام» عليهم، حيث قال:

«اللَّهُمَّ اَمْنَعُهُمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ تَفْرِيقًا، وَمَزِّقْهُمْ تَمْزِيقًا، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدْدَاءَ، وَلَا تُرْضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا..»^(١).

لكن نص الخوارزمي يقول: «اللَّهُمَّ فاحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً»^(٢).

وما نريده من هذه الفقرات هنا أمران:

الأول: أنه «عليه السلام» دعا الله على محاربيه أن يقتلهم بديداً، وأن يحصيهم عدداً.. مما يعني: أنهم جماعة معينة قد اجتمعت على أمر، ويريد «عليه السلام» من الله أن يفرق جمعهم، ويحصي عددهم حتى لا يفلت أحد منهم من العقوبة، ولذا قال أيضاً: «ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً».

فما يشاع، من أنه «عليه السلام» قد دعا على أهل العراق عامة، وأن دعوته تلاحقهم في كل جيل غير صحيح.

الثاني: أن الوالي الذي من أجل رضاه غدروا بسيد شباب أهل الجنة، والإمام المطهر المعصوم، وقتلوه، وسبوا عياله - إن هذا

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٨٥.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٣٤.

الوالي - ييغضهم، ولا يجد حرجاً في إعلان ذلك حتى في اللحظة التي يتسلم فيها منهم رأس أقدس البشر، وأعظمهم شأنًا، وهو يزيّن دمشق ليستقبل الناس عياله الأسرى والسبايا بالأفراح وغيرها.

ثم إن هذا الوالي نفسه يقول في هذه اللحظات بالذات لهؤلاء السبايا: «أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق»، فدل بكلامه هذا على احتقاره للعراقيين، وبغضه لهم. وقد زرع هذا البغض في قلب يزيد أبوه معاوية حين قال له وهو يوصيه بما ينبغي أن يفعل من بعده: «وانظر إلى أهل العراق، فإنهم لا يحبونك أبدًا، ولا ينصحونك، ولكن دارهم الخ...»^(١).

ما علمت بخروج أبي عبد الله، ولا بقتله:

وقد ذكرنا بعض ما يرتبط بسعي يزيد في المجالس المختلفة لتبرئة نفسه من دم الحسين، والإلقاء باللائمة على ابن زياد، بالرغم من أن معاملته لابن زياد تشهد بكمال المحبة والانسجام بينهما. وكانت هباته، وجوائزهم، وعطاياهم له تتوالى، ولا يكف عن تأييده، وتقويته، وشد أزره.

غير أننا لم نكن نحسب أن يبلغ الأمر به حدّ ادّعاء: أنه لم يعلم بخروج أبي عبد الله ولا بقتله، فإن هذه الكلمة تضمنت كذبة فاحشة، وفرية عظيمة.

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ٣٥١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٧٧.

فقد تقدم في الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب ص ٢٢٠ كتابه لعبيد الله بن زياد يأمره بقتل الإمام الحسين «عليه السلام».

فأما كذبتة، فهي تشي باستهتاره بعقول الناس، وكأنه يتوهم أنهم سوف يصدقونه في ادّعائه في أنه لم يعلم بقتله. فإن أحداً لا يتوهم: أن يقدم أي كان من الناس على قتل أعظم وأقدس إنسان في الأمة، من دون أن يعلم الخليفة مسبقاً بذلك، بل هو لا يفعل ذلك لو لم يهدده يزيد بإعادته إلى صفوف العبيد، كما صرح به في رسالته إليه.

وإذا كان قتل الحسين قد ساء يزيد، فلماذا لا يحاسب القاتل، بل هو يواصل تقويته، ودعمه وتأبيده؟!

وأما فريته العظيمة، فهي زعمه: أن الحسين «عليه السلام» قد خرج عليه، مع أن هذا أمر لم يحصل، بل هو «عليه السلام» قد اكتفى بعدم إعطاء البيعة ليزيد، الذي كان قد بايع الحسين «عليه السلام» ثم نكت - كما تقدم عن عبد الله بن الزبير (١).

ومعاوية هو الذي رعى هذه البيعة، وحلف الأيمان للإمام الحسن أن يكون الأمر للحسين بعد الحسن. فلماذا يفترى يزيد على الحسين، ويدعي أنه خرج عليه وهو لم يفعل ذلك؟! ولم يكن لديه رجال ولا سلاح؟!

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٤٩.

الفصل الرابع

العزاء في بيت يزيد..

الهشميات في بيت يزيد!!!:

١ - بَعَثَ يَزِيدُ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى نِسَائِهِ، فَأَخَذَتْهُ عَاتِكَةُ ابْنَتُهُ - وَهِيَ أُمُّ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - فَغَسَلَتْهُ، وَدَهَنَتْهُ، وَطَيَّبَتْهُ. فَقَالَ لَهَا يَزِيدُ: مَا هَذَا؟

قَالَتْ: بَعَثْتَ إِلَيَّ بِرَأْسِ ابْنِ عَمِّي شَعْتًا، فَلَمَمْتُه، وَطَيَّبْتُهُ (١).

٢ - عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ وَغَيْرِهِ: إِنَّ يَزِيدَ أَمَرَ أَنْ يُصَلَّبَ الرَّأْسُ الشَّرِيفُ عَلَى بَابِ دَارِهِ، وَأَمَرَ أَنْ يُدْخِلُوا أَهْلَ بَيْتِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» دَارَهُ.

فَلَمَّا دَخَلَتِ النِّسْوَةُ دَارَ يَزِيدَ، [فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ: وَأَمَرَ نِسَاءَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَقَمْنَ الْمَائِمَ عَلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام» ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ] لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ آلِ مُعَاوِيَةَ إِلَّا اسْتَقْبَلَتْهُنَّ بِالْبُكَاءِ وَالصُّرَاخِ، وَالنِّيَاحَةِ وَالصِّيَاحِ عَلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، وَأَلْقَيْنَ مَا عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ، وَأَقَمْنَ

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٦ و (ط دار التعارف) ص ٢١٤ وراجع: تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٥.

المَائِمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

وخرَجَتْ هِنْدُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بنِ كُرَيْزٍ امرأةُ يَزِيدَ - وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَحْتَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عليه السلام» - فَشَقَّتِ السِّتْرَ وَهِيَ حَاسِرَةٌ، فَوَثَبَتْ عَلَى يَزِيدَ وَقَالَتْ:

أَرَأْسُ ابْنِ فَاطِمَةَ مَصْلُوبٌ عَلَى بَابِ دَارِي؟!!

فَعَطَّاهَا يَزِيدُ، وَقَالَ: نَعَمْ، فَأَعُولِي عَلَيْهِ يَا هِنْدُ، وَابْكِي عَلَى ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَصَرِيحَةَ قُرَيْشٍ، عَجَلَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ، قَتَلَهُ اللَّهُ. [وفي نص آخر عن الطبقات، وسير أعلام النبلاء: أن يزيد قال: حَقَّ لَهَا أَنْ تُعُولَ عَلَى كَبِيرِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا].

ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ أَنْزَلَهُمْ بِدَارِهِ الْخَاصَّةِ، فَمَا كَانَ يَتَغَدَّى وَيَتَعَشَّى حَتَّى يَحْضُرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام».

وقد روى الطبري ما فعلته هند عن القاسم بن بخيت، فراجع^(١).

(١) مقتل الحسين للخوازمي ج ٢ ص ٧٣ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٢ وراجع: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٩ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٣ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٣. وراجع أيضاً: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٢ و ٤٦٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٧٧ و ج ٦٢ ص ٨٥ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٤ وليس فيه ذيله. وراجع أيضاً: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٤ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٣ والأمالى للصدوق ص ٢٣٠ وروضة الواعظين ص ٢١١ وبحار

٣ - عن عوانة بن الحكم الكلبي: أُدْخِلَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» عَلَى يَزِيدَ، فَصَاحَ نِسَاءُ آلِ يَزِيدَ وَبَنَاتُ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلُهُ وَوَلَوْلَنَ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ أُدْخِلْنَ عَلَى يَزِيدَ.

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ - وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ سَكِينَةَ -: أَبْنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا - يَا يَزِيدُ ؟! [يسرك هذا]

فَقَالَ يَزِيدُ: يَا ابْنَةَ أَخِي! أَنَا لِهَذَا كُنْتُ أَكْرَهُ.

قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا تُرِكَ لَنَا خُرْصٌ.

قَالَ: يَا ابْنَةَ أَخِي! مَا آتٍ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِمَّا أُخِذَ مِنْكَ.

ثُمَّ أَخْرَجْنَ، فَأَدْخِلْنَ دَارَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

فَلَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ آلِ يَزِيدَ إِلَّا أَتَتْهُنَّ، وَأَقَمْنَ الْمَأْتَمَ، وَأَرْسَلَ يَزِيدُ إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ: مَاذَا أُخِذَ لَكَ؟ وَلَيْسَ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ تَدَّعِي شَيْئًا بِالْغَا مَا بَلَغَ إِلَّا قَدْ أَضَعَفَهُ لَهَا.

فَكَانَتْ سَكِينَةُ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَافِرًا بِاللَّهِ خَيْرًا مِنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ^(١).

الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٤٣ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١٢ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٧ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٧.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٥ والكامل في

٤ - عن الوليد بن مسلم عن أبيه: لَمَّا قُدِمَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَدْخَلَ أَهْلَهُ الْخُضْرَاءَ، تَصَايَحَتْ بَنَاتُ مُعَاوِيَةَ وَنِسَاؤُهُ، فَجَعَلَ يَزِيدُ يَقُولُ:

يَا صَيِّحَةَ تَحْمَدُ مِنْ صَوَائِحِ مَا أَهْوَنَ الْمَوْتَ عَلَى النَّوَائِحِ
إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، قَدْ كُنَّا نَرْضَى مِنْ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ
بِدُونِ هَذَا^(١).

٥ - عن الليث: أَبِي الْحُسَيْنِ «عليه السلام» أَنْ يَسْتَأْذِنَ حَتَّى يُقْتَلَ
بِالْطَّفِّ، وَأَنْطَلَقُوا بِبَنِيهِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَسُكَيْنَةَ إِلَى يَزِيدَ، فَجَعَلَ سُكَيْنَةُ
خَلْفَ سَرِيرِهِ لِنَلَّا نَرَى رَأْسَ أَبِيهَا، وَعَلِيٌّ «عليه السلام» فِي غُلٍّ^(٢).
ونقول:

إِعْتِرَاضُ يَزِيدَ عَلَى ابْنَتِهِ:

١ - ذكر النص الأول: أن يزيداً اعترض على ابنته عاتكة، لأنها

التاريخ ج ٤ ص ٨٦ وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف)
ص ١٩٢ و (ط دار الحديث) ج ٢ ص ٨٣٦ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٠
ونور الأبصار ص ١٤٥.

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٩ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٠.

(٢) راجع: موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٣١ عن سير أعلام النبلاء ج ٣
ص ٣١٩ وراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٥ والمعجم الكبير ج ٣
ص ١٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٧٠ ص ١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥
ص ١٨.

غسلت الرأس الشريف، وطيبته، وهذا الاعتراض يعطي: أن هدف يزيد من إرسال الرأس إلى نسائه لم يكن نتيجة يقظة ضمير، أو لارتعاشة عاطفية فرضت نفسها عليه، بل كان بهدف الاعتزاز والتباهي أمام نسائه بما يعده إنجازاً عجز عنه الآخرون.

وكان يريد أن يبقى الرأس الشريف مشعّثاً، مخضوباً بالدماء، فلا يرى الناس طرفاً من نوره، وجماله، وبهائه الذي تستره تلك الدماء وغيرها عنهم. فلو استطاع أن يحجب ولو بمقدار ذرة من هذا الجمال، لما تردد في ذلك..

٢ - اللافت: أن جواب ابنته عاتكة لم يتضمن أية إشارة إلى أنها فعلت ما فعلته بدافع ديني، أو من منطلق حب الرسول ورعاية، لقراءة الحسين منه، أو من منطلق عاطفة جاشت، أو بدافع إنساني.. بل أجابته بجواب تفوح منه رائحة المنطق العشائري، المجرد عن كل معنى جميل ونبيل، أو هكذا أرادت.

٣ - واللافت هنا أيضاً: أن مشهداً كهذا يفترض أن يثير لدى المرأة مشاعر الرأفة والكمد، ويدعوها إلى الوجوم، ويحدث لديها صدمة.. ولكننا لم نشعر أن عاتكة قد مرت أو مر بها شيء من ذلك.

هل هذه مبالغات؟!:

رأينا في النصوص المتقدمة ما يشي بأن ثمة تعمداً للمبالغة في المآتم التي أقيمت للحسين «عليه السلام» من قبل نساء يزيد، وزعموا: أن

المآتم تواصلت إلى ثلاثة أيام..

ولكن ليت شعري لماذا عاد يزيد فأودعهم السجن الذي لا يكنهم من حر ولا برد؟! ولماذا لم يتغير على السبايا والأسرى أي شيء من المعاملة السيئة، والمؤذية؟!

وكيف رضي يزيد ونساء آل أبي سفيان عامة أن يصلب الرأس الشريف على باب مسجد دمشق؟!

ولماذا رضي يزيد، بل أمر: بأن يطاف بالرأس الشريف في البلاد؟!

ولماذا حاول هذا الطاغية أن يقتل الإمام السجاد «عليه السلام»؟! وكيف تكون المآتم قائمة في بيت يزيد والرأس الشريف مصلوب على باب نفس ذلك البيت الذي فيه المآتم؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

والأعجب والأغرب: أن نقرأ في بعض الكتب: أن يزيد أنزلهم بداره الخاصة. فما كان يتعدى ويتعشى حتى يحضر علي بن الحسين «عليه السلام»!!

كما ويتحدث عوانة بن الحكم عن عطايا يزيد للسبايا حتى كانت سكيئة تقول: «ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية». كما تقدم.

فألا يدل ذلك كله، وسواه: على أن هذه المآتم المدعاة كان بعضها بهدف الإمعان في قهر النساء المسيبات، وإذلالهن أمام بهرجة نساء يزيد، اللواتي كنَّ يعشن في القصور، ولا شغل لهن سوى السرور

والحبور، ويرفلن الحل خلف الأستار والكلل، وبنات الرسول في أسر الهوان والمذلة، تكوي قلوبهن شماتة الأعداء، وفقد الأحباء؟! وطرف آخر منه هو من اختراع مخيلة الكذابين الذين يتقربون إلى الشيطان في نصرة أوليائه على أهل الحق، والعلم والفضل والدين.. هل هذا استهزاء؟!:

تقدم: أن يزيد قال لزوجته هند: «وَأَبْكَى عَلَى ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَصَرِيحَةَ قُرَيْشٍ»، أو قال: «حَقَّ لَهَا أَنْ تُعُولَ عَلَى كَبِيرِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا».

ويستوقفنا هنا: اعتراف يزيد: بأن الحسين «عليه السلام» صريحة قریش وسيدھا، وكبيرھا، ثم يكون هو الذي يقتل السيد والكبير، والخالص النسب في قریش. ويطيف برأسه في البلاد، ويصلبه على باب مسجد دمشق، ويسبي عياله، ومن تبقى من أطفاله..

مع أن بني أمية هم حملة لواء التعصب لقریش، حتى حينما قررت ومارست الحرب ضد الرسول، سعياً لقتله، وإبطال دينه.. وها هو يزيد يأخذ بثارات الذين قتلوا من قریش على الشرك، من الذين قتلوهم دفاعاً عن دين الله، ويقول، هو وعبيد الله بن زياد، ومروان بن الحكم: يوم بيوم بدر..

إننا نرى: أن يزيد لم يكن جاداً فيما قاله لزوجته هند، بل قاله على سبيل التنذُر والاستهزاء، والاستخفاف برسول الله «صلى الله عليه وآله».

عجل عليه ابن زياد:

تقدم في الرواية رقم [٢] قول يزيد: «عَجَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ، قَتَلَهُ اللَّهُ». ويقول لفاطمة بنت الحسين، حين سألته عن سبي بنات الرسول «صلى الله عليه وآله» كما في الرواية المتقدمة برقم [٣]: «أَنَا لِهَذَا كُنْتُ أَكْرَهُ».

بل سيأتي قول يزيد للأسارى والسبايا حين دخلوا عليه: «وما عَلِمْتُ بِخُرُوجِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا بِقَتْلِهِ»^(١).

ولكن ليت شعري كيف يرضى حاكم بقتل عامله أهم وأفضل، وأعظم شخصية في الأمة من دون علمه؟!!

ألم يكن الحسين - على ما له من مكانة وموقع - يستحق أن يطالب قاتله بدمه؟! ويحاكم على فعلته، أو على الأقل أن يعزل على عمله؟! أو أن يلام ولو ببضع كلمات ولو لذر الرماد بالعيون؟!!

فلماذا ارتفعت مكانة ابن زياد عند يزيد بعد قتله الحسين «عليه السلام»، فأغدق عليه الجوائز والعطايا، والهبات والهدايا؟!!

وإذا كان قتل مثل الحسين «عليه السلام» يمكن أن يحصل من دون علم يزيد، فهل هناك شيء آخر يمكن أن يكون غير متوقع

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٨ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٧٢ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ٢ ص ٦ و (تحقيق الشيرازي) ج ٢ ص ١٢ والمحن ص ١٤٨.

الحصول بدون علمه أيضاً؟!!

وأي حكم، وأي حاكم هذا يا ترى؟!!

هل هي قضية أموال؟!!

إن رواية عوانة بن الحكم المتقدمة تسعى للإيحاء: بأن كل همّ السبايا كان هو الحصول على الأموال من يزيد، حتى إنه لكثرة ما أغدقه عليهن من أموال صرن يرينه خير كافر رأينه على الإطلاق.

وإذا كانت سكينه هي التي تقول هذا الكلام عن يزيد، فسيأتي عنها أيضاً برواية حاجب يزيد عنها: أنها قالت: «وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْباً مِنْ يَزِيدَ، وَلَا رَأَيْتُ كَافِراً وَلَا مُشْرِكاً شَرّاً مِنْهُ، وَلَا أَجْفَى مِنْهُ»^(١).

كما أن بعض نصوص هذه الرواية تدعي: أن الذي بذل للسبايا هذه الأموال والعطايا هن نساء يزيد، فما بالك بما يمكن أن يكون يزيد قد بذله لهن.

فهل يمكن أن نتصور أن نساء أهل البيت «عليهم السلام» كن يحبين الدنيا إلى هذا الحد؟! وأن يهون عليهن فقد أقدس البشر، وسيد شباب أهل الجنة أمام حفنة من المال؟!!

وكيف يغدق عليهن العطايا، ثم يخرجهن من بيته إلى سجن لا

(١) الأمالي للصدوق ص ٢٣٠ و ٢٣١ وروضة الواعظين ص ٢١١ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٥ و ١٥٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٦.

يكنهن من حرٍّ ولا برد؟!!

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي تراود ذهن كل عاقل أريب،
وراصدٍ لبيب.

إذا قضى الله أمراً:

ثم يعود يزيد ليحيل الأمر على الجبر الإلهي، ويجعل المطالب بدم
الحسين «عليه السلام» ليس هو، ولا ابن زياد، بل هو الله تعالى،
حيث قال - كما في الرواية رقم [٤] -: «إذا قضى الله أمراً كان
مفعولاً». وبذلك يسقط يزيد كل المطالبات بالحقوق، ولا يبقى
للقصاص والحدود معنى..

لماذا سكينه؟!:

وتقدم: أن يزيد جعل سكينه خلف سريره: لئلا ترى رأس أبيها.
وهذا كلام غريب، فإن سكينه لم تكن في ذلك الوقت طفلة صغيرة
يحجبها عن رؤية رأس أبيها سرير يزيد، بل كانت امرأة عاقلة كاملة،
وكان الحسن بن الحسن قد خطب لعمه إحدى ابنتيه، فقال له «عليه
السلام»: اختر يا بني أحبهما إليك، فاستحيا الحسن، فاختر له «عليه
السلام» أختها فاطمة^(١).

(١) الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٥ والعدد القوية ص ٣٥٥ والأغاني ج ٢١
ص ١١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢١ ص ٧٩ وبحار الأنوار
ج ٤٤ ص ١٦٧ وإسعاف الراغبين ص ٢٢٩ و ٢٣٠ والكنى والألقاب ج ٢

فإن كان يزيد مهتماً بحفظ عواطف بنات الحسين «عليه السلام»، فلماذا خص سكينه بهذا الأمر، ولم يشرك معها أختها، فضلاً عن سائر النساء، وصغار السن، وهم كثيرون، وكان الإمام الباقر ابن ثلاث سنوات؟! ثلاث سنوات؟!!

على أن الرواية التالية تدعي: أنه جعل النساء كلهن خلفه.. فبأيهما نأخذ، وأيهما نصدق؟!!

ص ٤٦٥ ومقاتل الطالبين ص ١٨٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ١٢٢ ولباب الأنساب ج ١ ص ٣٨٥ وعمدة الطالب ص ٩٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٧٥٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٤١٧ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٠٥ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٢٠٢ وسر السلسلة العلوية ص ٦ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٣١٤ والدر النظيم ص ٥١٩.

الفصل الخامس

هو المتكلم..

نبذة من مواقف السجاد x:

قالوا: إنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ، قالَ لِزَيْنَبَ تَكَلَّمِي.

فَقَالَتْ: هُوَ الْمُتَكَلِّمُ.

فَنَقَدَمَ السَّجَّادُ «عليه السلام» وَجَعَلَ يَقُولُ:

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَأَنْ تُكْفِيَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُوْذُونَا

فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نُحِبُّكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ إِنْ لَمْ تُحِبِّبْنَا

فَقَالَ يَزِيدُ: صَدَقْتَ - يَا غُلَامُ -، وَلَكِنْ أَرَادَ أَبُوكَ وَجَدُّكَ أَنْ يَكُونَا أَمِيرَيْنِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّهُمَا، وَسَفَكَ دِمَاءَهُمَا^(١).

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: يَا ابْنَ مُعَاوِيَةَ، وَهْنَدٍ، وَصَخْرٍ، لَمْ يَزَالُوا آبَائِي وَأَجْدَادِي فِيهِمْ الْإِمْرَةُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَلِدَ.

وَلَقَدْ كَانَ جَدِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام» يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْأَحْزَابِ فِي يَدِهِ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»، وَأَبُوكَ وَجَدُّكَ

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٧٣ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٧٥

وراجع ص ١٣٥ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٣١ ومقتل الحسين للخوارزمي

ج ٢ ص ٦٣.

في أيديهما رايات الكفار.

ثُمَّ جَعَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» يَقُولُ:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ

مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ

بِعِزَّتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مُنْقَلَبِي

مِنْهُمْ أَسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرَجُوا

مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ

أَنْ تَخْلُفُونِي بِسَوْءٍ فِي ذَوِي

ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: وَيْلَكَ يَا يَزِيدُ، إِنَّكَ لَوْ

تَدْرِي مَا صَنَعْتَ، وَمَا الَّذِي ارْتَكَبْتَ مِنْ أَبِي، وَأَهْلَ بَيْتِي، وَأَخِي،

وَعُمُومَتِي، إِذَا لَهَرَبْتَ فِي الْجِبَالِ، وَفَرَشْتَ الرَّمَادَ، وَدَعَوْتَ بِالْوَيْلِ

وَالثُّبُورِ: أَنْ يَكُونَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ ابْنِ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ «عليهما السلام»

مَنْصُوبًا عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ وَدِيعَةُ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»

فِيكُمْ، فَأَبْشِرْ بِالْخِزْيِ وَالنَّدَامَةِ غَدًا إِذَا جُمِعَ النَّاسُ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ^(١).

٣ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ: دَخَلْنَا عَلَى يَزِيدَ، وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ

غُلَامًا مُغَلَّلِينَ فِي الْحَدِيدِ وَعَلَيْنَا قُمُصٌ.

فَقَالَ يَزِيدُ: أَخْلَصْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِعَبِيدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ! وَمَا عَلِمْتُ بِخُرُوجِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ حِينَ خَرَجَ! وَلَا بِقَتْلِهِ حِينَ قُتِلَ!

قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٣١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦٣

وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٦.

اللَّهُ يَسِيرُ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(١).

قال: فَغَضِبَ يَزِيدُ، وَجَعَلَ يَعْثُ بِلَحِيَّتِهِ، وَقَالَ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)^(٢)»^(٣).

٤ - في نص آخر: وَأَنْطَلَقَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ «عليه السلام» وفاطمة بنت الحسين، وسكينة بنت حسين إلى عبيد الله بن زياد، وعليّ يومئذٍ غلامٌ قد بلغ، فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَمَرَ بِسُكَيْنَةَ فَجَعَلَهَا خَلْفَ سَرِيرِهِ، لِئَلَّا تَرَى رَأْسَ أَبِيهَا وَدَوِي قَرَابَتِهَا، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» فِي غُلٍّ.

فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَضْرَبَ عَلَى ثَنِيَّتَيْ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَقَالَ:
نُفِّقُوا هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَحَبَّةٍ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

(١) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الحديد.

(٢) الآية ٣٠ من سورة الشورى.

(٣) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٤٤ عن: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ٢ ص ٦ و (تحقيق الشيري) ج ٢ ص ١٢ والمحن ص ١٤٨ عن محمد بن الحسن بن عليّ، وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢٦٧ عن محمد بن عليّ بن الحسين «عليه السلام»، وراجع: العقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٨.

اللهِ يَسِيرُ^(١).

فَقُلَّ عَلَى يَزِيدَ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ، وَتَلَا عَلِيُّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ يَزِيدُ: بَلْ (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)^(٢).

فَقَالَ عَلِيُّ «عليه السلام»: أما والله لو رآنا رسولُ الله «صلى الله عليه وآله» مغلولين لأحبَّ أن يُخَلِّينَا مِنَ الْعُلِّ. فقال: صدقت، فخلوهم من العُلِّ.

قال: ولو وقفنا بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» على بُعدٍ لأحبَّ أن يُقَرَّبَنَا.

قال: صدقت، فقرَّبوهم.

فَجَعَلَتْ فَاطِمَةُ وَسُكَيْنَةُ يَتَطَوَّلَانِ لِتَرِيَا رَأْسَ أَبِيهِمَا، وَجَعَلَ يَزِيدُ يَتَطَوَّلُ فِي مَجْلِسِهِ لِيَسْتَرَ عَنْهُمَا رَأْسَ أَبِيهِمَا.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَجَهَّزُوا، وَأَصْلَحَ إِلَيْهِمْ وَأَخْرَجُوا إِلَى الْمَدِينَةِ^(٣).

(١) الآية ٢٢ من سورة الحديد.

(٢) الآية ٣٠ من سورة الشورى.

(٣) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٤٤ عن: المعجم الكبير ج ٣ ص ١٠٤ ج ٢٨٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٧٠ ص ١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٨ عن الليث بن سعد؛ والأمالى للشجري ج ١ ص ١٧٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٥ وراجع: تذكرة الخواص (ط النجف) ص ٢٦٢ ومثير الأحزان ص ٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٣ والكامل في التاريخ ج ٤

٥ - أَقْبَلَ [يَزِيدُ] عَلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَقَالَ: أَبُوكَ قَطَعَ رَحْمِي، وَنَازَعَني سُلْطَانِي، فَجَزَاهُ اللَّهُ جَزَاءَ الْقَطِيعَةِ وَالْإِثْمِ [في الإرشاد: فصنع الله به ما قد رأيت] (١).

٦ - أَمَرَ [يَزِيدُ] بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَأَدْخَلَ مَغْلُولًا، فَقَالَ: لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» مَغْلُولَيْنِ لَفَكَ عَنَّا. قَالَ: صَدَقْتَ، وَأَمَرَ بِفَكَ غُلَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ «عليه السلام»: لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» بَعْدَاءَ لِأَحَبِّ أَنْ يُقَرَّبَنَا. فَأَمَرَ بِهِ فَقُرِّبَ مِنْهُ.

وَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: إِيهَ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، أَبُوكَ الَّذِي قَطَعَ رَحْمِي، وَجَهَلَ حَقِّي، وَنَازَعَني سُلْطَانِي، فَصَنَعَ اللَّهُ بِهِ مَا رَأَيْتَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ «عليه السلام»: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

ص ٨٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٨٣٧ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٤ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٠ والإرشاد ج ٢ ص ١٢٠ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٤.

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٩ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٣ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٣ وليس فيه ذيله.

مُخْتَالِ فُخُورٍ^(١).

فَقَالَ يَزِيدُ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)^(٢)، ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ^(٣).

٧ - عن الصادق «عليه السلام»: لَمَّا أُدْخِلَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عليه السلام» عَلَى يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَبَنَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام»، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ

(١) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الحديد.

(٢) الآية ٣٠ من سورة الشورى.

(٣) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٤٣ عن: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧ والفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف) ص ١٩٢ و (نشر دار الحديث) ج ٢ ص ٨٣٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٢٠. وروي نحوه أيضاً في المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦١ و ٤٦٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١١ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٩ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٠ والمنظّم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٣ والفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٣٠ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٠ والإرشاد ج ٢ ص ١٢٠ وإعلام الورى ج ١ ص ٤٧٤ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٥ ص ١٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٦ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٢٤٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٣ ص ١٠٤ والدر النظيم ص ٥٦٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٨ ص ١٩٣ و ١٩٨ - ١٩٩ و ج ٣٣ ص ٦٦٣.

الحُسَيْن «عليه السلام» مُقَيَّدًا مَغْلُولًا، فَقَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ،
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ أَبِي.

قَالَ: فَغَضِبَ يَزِيدُ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ «عليه السلام».

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: فَإِذَا قَتَلْتَنِي فَبَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ

«عليه السلام» مَنْ يَرُدُّهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَحَرَّمٌ غَيْرِي؟!!

فَقَالَ: أَنْتَ تَرُدُّهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، ثُمَّ دَعَا بِمَبْرِدٍ فَأَقْبَلَ يُبْرِدُ الْجَامِعَةَ

مِنْ عُنُقِهِ بِيَدِهِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، أَتَدْرِي مَا الَّذِي أُرِيدُ بِذَلِكَ؟!!

قَالَ: بَلَى، تُرِيدُ أَنْ لَا يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَيَّ مِثَّةٌ غَيْرُكَ.

فَقَالَ يَزِيدُ: هَذَا وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ أَفْعَلُهُ.

ثُمَّ قَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ).

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: كُلُّ مَا هَذِهِ فِينَا نَزَلَتْ، إِنَّمَا

نَزَلَتْ فِينَا: (مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا

فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)^(١)، فَنَحْنُ

(١) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الحديد.

الَّذِينَ لَا نَأْسَى عَلَى مَا فَاتْنَا وَلَا نَفْرَحُ بِمَا آتَانَا^(١).

ونقول على سبيل الاختصار والاقتصار على ما هو ضروري:

إننا قد جمعنا هذه النصوص مع بعضها لتقارب سياقاتها في بيان ما جرى. ولسنا بصدد تحديد النص الأولي بالقبول منها. وإنما يتحدد ذلك من خلال المجموع، بعد إسقاط ما يسقطه الدليل، ولا تساعد عليه الاعتبار التي يرضاها أهل العقل السليم، والمنطق القويم.

وسوف نتكلم حول كل نص على حدة، شريطة أن لا نقع في التكرار، ونحن نبدأ بالنص المتقدم برقم [١]، فنقول:

الأدب الزينبي:

قد تجلّى أدب زينب وحكمتها، وعقلها ودرائتها، حين رفضت طلب يزيد منها بأن تتكلم قبل الإمام السجاد «عليه السلام»، فأشارت إلى الإمام السجاد «عليه السلام»، وقالت: هو المتكلم.

مع أنها عمته، وأكبر منه سنًا، ولها احترامها، ومكانتها التي ينبغي رعايتها، وهي مثكولة بأحبابها، وإخوتها وأبنائهم، وأبنائها، وسائر

(١) تفسير القمّي ج ٢ ص ٣٥٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٨ وج ٧٨ ص ١٨٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٤ و ٤١٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٤٢٨ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٨٢٧ وج ٥ ص ٢٩٩ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٢٤٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١١ ص ٥٢٦ وج ١٣ ص ١٠٣ - ١٠٤.

أحبائها.

كما أنه «عليه السلام» مثكول بهؤلاء جميعاً مثلها..

ولكن بالرغم من ذلك، فإن السجاد «عليه السلام» هو الإمام بعد أبيه، وهو مستهدف بالخطط والقرارات الشيطانية أكثر منها، وهو أولى بأبيه، وأقرب إليه من سائر الخلق.

ومن جهة أخرى، فلعل يزيد «لعنه الله» قد تعمد تجاهل موقع علي بن الحسين «عليه السلام» لحاجة في نفسه، كما إذا كان يريد تصغير شأنه، وتهوين أمره، بتقديم امرأة عليه..

وربما ظن يزيد: أن السيدة زينب «عليها السلام» لا تحسن ما يحسنه الرجال، ولم يكن يأمن جانب الإمام السجاد من هذه الجهة، فقد يؤدي إفساح المجال له إلى قول أمور، والإدلاء بحجج لا قيلَ له بها، فقد شاع وذاع: أن أهل البيت قد زُفوا العلم زقاً..

وقد صرح يزيد «لعنه الله»: بأن الإمام السجاد «عليه السلام» إذا رقى المنبر لم ينزل إلا بفضيحتة، وفضيحة آل أبي سفيان. ولكن زينب «عليها السلام» صدّته، وأعادت الأمور إلى نصابها الصحيح، فدلّت على نباهة وحنكة وعقل، وأدب ورزانة.

هو المتكلم:

وقد رأينا أنها «عليها السلام» قالت ليزيد: «هو المتكلم»، ولم تقل: فليتكم غيري مثلاً..

ربما لأنه قد يفهم من هذا: أنها تساوي نفسها بالغير، حتى بالإمام.

وربما توهم متوهم: أنها تمتنع عن الكلام، بسبب تعبها، أو لأي سبب آخر.

كما أنها لم تقل: قل لعلي «عليه السلام» ليتكلم، ربما لأنها لا تريد أن تعطي ليزيد حق الأمر للإمام أو لغيره، ولو بالصورة والشكل.. ولا تريد أيضاً أن تدّعي لنفسها أن كلامه «عليه السلام» يوازي كلامها.

بل قالت: «هو المتكلم»، فدلّت بذلك على:

أولاً: أنه «عليه السلام» هو المالك لعنان الكلام، والبارع فيه.

ثانياً: أنه ليس لأحد سواه أن يتكلم بمحضه، بل حق الكلام منحصر به.

ثالثاً: إن الحق بالكلام دائم وثابت للإمام في هذا الوقت وفي كل وقت.. فإنه هو الذي أذن له الرحمان بالكلام، ويقول صواباً، كما قال تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا)^(١).

(١) الآية ٣٨ من سورة النبأ.

ولا نلومكم إن لم تحبونا:

أما الشعر الذي نسبت الرواية إلى الإمام أنه قاله في مجلس يزيد:
لا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا _____ **الـخـ**..

فنحن نرتاب في صحته، لما يلي:

١ - يتضمن البيت الأول: اعترافاً بأنهم أهل البيت، أو بني هاشم سوف يواصلون إيذاء الأمويين وغيرهم من خصومهم، مع أننا لم نجد أن بني هاشم وأهل البيت كانوا في موقع المؤذي لبني أمية، حتى عندما كان بنو أمية يؤذونهم.

٢ - إن لحن هذا البيت يوحي بأن القضية شخصية، وليست قضية دين وإيمان، وإسلام، ونهج، وقيم، وأخلاق ومبادئ.

٣ - والأهم من هذا وذلك: قوله:

ولا نلومكم إن لم تحبونا

فإن حب أهل البيت «عليهم السلام» واجب بالنصوص القرآنية، كما في آية المودة وغيرها، وبالنصوص النبوية الكثيرة، ومن لا يمتثل أي واجب في الشرع والدين، فإنه يلام ويزجر، ولا يقبل منه الاستمرار في ذلك.

٤ - ما المبرر لمواجهة يزيد وحزبه بهذه المضامين التي تجاوزتها الأحداث بمراتب كثيرة.

٥ - إن سياق هذه الأبيات سياق تهديد، ولا سيما قوله:

وَأَنْ نَكْفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤَدُّنَا

ولم يكن وضع الإمام «عليه السلام» يسمح بإطلاق تهديد كهذا.

أرادا أن يكونا أميرين:

وعن قول يزيد: أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، نقول:

أولاً: لم يُردَّ أبوه وجده الإمرة، ولكن الله تعالى أراد الإمرة لهما، وشرفها بهما.

ثانياً: إن كان يزيد يقصد بكلامه هذا: أن علياً «عليه السلام» قد حارب من أجل الإمرة، فهو كاذب، بدليل: أنه تحمل المصائب والبلايا، وقد ضربت زوجته، وأسقط جنينها، وماتت صديقة شهيدة، ولم يشهر سيفاً، ولا خاض حرباً، بل صبر على البلاء، رفقا منه بالأمة، وحفظاً للدين..

وقد بقي خمساً وعشرين سنة جليس بيته، ثم أكرهه الناس على البيعة له، ثم نكث الناكثون، وأعلنوا الحرب عليه، فاضطر للدفاع عن نفسه.. كل هذا، بالرغم من أن الله تعالى هو الذي منحه هذا المقام. كما هو معلوم. وليس كالذين نص الله ورسوله على حرمانهم، لأنهم ظالمون، ولأنهم من الطلقاء وأبنائهم، ثم يقتلون أصحاب الحق لكي يتأمروا على الناس.

وأما الحسين «عليه السلام»، فقد شرحنا أمره أكثر من مرة، وقلنا: إنه لم يخرج محارباً، ولا جمع جيشاً، ولا أعد سلاحاً.

ولكن أهل العراق كاتبوه، وطلبوا منه النظر في أمرهم، وحل مشاكلهم، فلما توجه إليهم نكثوا عهده، وأخذوا عليه السبل، وخبروه بين الاستسلام لعدوه، والقتل، فلم يرض بالاستسلام.

من الذي أدله الله؟!:

واللافت هنا: أن يزيداً يعقب على ذلك بقوله عن علي والحسين «عليهما السلام»: «فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّهُمَا وَسَفَّكَ دِمَاءَهُمَا»، استناداً إلى ما يلي:

أولاً: إن من يقع القتل عليه يكون ذليلاً، وقد فاتته: أن قتل الأشرار للأبرار بغياً وظلماً، هو سعادة وشهادة، وفوز وفلاح. فما بالك بما إذا كان المقتول نبياً، كيحى، أو إماماً، كعلي والحسين «عليهما السلام»..

ثانياً: إنه ينسب جرم ابن ملجم في قتله علياً إلى الله سبحانه، وينسب ما ارتكبه هو في حق الحسين وأهل بيته وأصحابه إلى الله تعالى أيضاً، مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصف قاتل علي «عليه السلام» بأشقى الأولين والآخرين.

وقال في عذاب وعقاب ولعن قاتل الحسين «عليه السلام» الشيء الكثير، الذي مر بعضه في هذا الكتاب.

ونقول:

١ - لقد فات يزيد: أن ثمة نصوصاً كثيرة تؤكد على أن الموت في عز خير من الحياة في ذل، فما معنى ادّعاء يزيد: أن علياً والحسين

«عليهما السلام» ماتا ذليلين؟!!

٢ - إنه في كلامه هذا يقرر مرة أخرى، ويشيع عقيدة الجبر الإلهي، التي لا يقرها عقل ولا منطق. بل هي تفسد الدين والإيمان.

الإمرة في آباء وأجداد الحسين X:

ثم تقول الرواية المتقدمة برقم [١]: «لَمْ يَزَالُوا آبَائِي وَأَجْدَادِي فِيهِمْ الْإِمْرَةُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَلِدَ»..

ولنا هنا ملاحظات:

١ - قوله: لم يزالوا آبائي وأجدادي جَارٍ على لغة أكلوني البراغيث، فإنه جاء بالواو الذي يفترض أن يكون هو الفاعل لكلمة «يزالوا»، ثم صرح بالاسم الظاهر لهذا الفاعل، وهو كلمة آبائي وأجدادي.

فهل الفاعل الاسم الظاهر، والواو علامة الجمع، أو الفاعل هو الواو؟!!

٢ - قوله: «من قبل أن نَلِدَ»، ربما يفهم منه خلاف المقصود، لأن كلمة نَلِدَ، التي ماضيها وَلَدَ معناها: أن المخاطب هو الذي يلد غيره. مع أن المقصود هو قبل أن يولد المخاطب، ويخرج من رحم أمه..

٣ - إن كان المراد هو: أن إمرة آبائه «عليه السلام» كانت قائمة ومستمرة قبل أن يولد يزيد، فلنا أن نسأل: إذا كان يزيد قد ولد في سنة ست وعشرين، فمن المعلوم: أن علياً «عليه السلام» لم يكن أميراً منذ

توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله». وإلى سنة خمس وثلاثين. أي خمساً وعشرين سنة، منها ست عشرة سنة قبل ولادة يزيد، وتسع سنوات بعد ولادته..

إلا إن كان المقصود: هو الإشارة إلى تأمير علي «عليه السلام» في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله» في بدر، وأحد، والأحزاب وسواها، وتأمره على المدينة في غزوة تبوك، وما إلى ذلك.

فإن كان هذا هو المقصود، فهو لا يتلاءم مع قوله: آبائي وأجدادي بصيغة الجمع فيهما، إلا على سبل المسامحة، والتساهل في هذه التعابير، وفي هذه المواقف.

أو يكون المقصود: أنهم «عليهم السلام» لم يزالوا أهلاً للإمرة، وهم يعاملون كما يعامل الأمراء، وإن لم يتأمرُوا بالفعل.

أبشر بالخزي والندامة:

ولست أدري.. أيمن أن يكون هذا المقام يسمح بأن يقول علي بن الحسين «عليه السلام» ليزيد: «وَيَحْكُ يَا يَزِيد»، أو أن يقول له: «..فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جُمع الناسُ ليومٍ لا ريبَ فيه»؟!

فإنه كلام ثقيل على مسامع الجبارين، ولا سيما في الاجتماعات العامة، وفي مجلس عرض الرؤوس والسبايا، والتهنئة والأفراح بالنصر - المزعوم - قائمة على قدم وساق.

لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم:

وقد تقدم في العديد من الروايات: أن علي بن الحسين «عليه

السلام» استشهد بقوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)^(١).

ولأجل الوقوف على بعض ما أراد «عليه السلام» نسجل التوضيحات التالية:

١ - قررت الآية: أن الله تعالى يحصي ويسجل كل ما كان وما يكون، وهو عالم به حتى قبل أن يخلق تلك الأنفس، أو قبل حصول تلك الحوادث.

٢ - لا يظن أحد أن كتابة كل شيء في كتاب، قبل خلقه، أو قبل خلق الأنفس مر صعب، بل هو يسير على الله سبحانه.

٣ - إن من ثمرات العلم بكتابة ذلك كله: أن من لم يصل إلى ما يريد، وفاته ما طلب لم يحزن لفواته، فلعل الذي أبطأ عنه خير له، فإن الحصول على المراد وعدمه مستند إلى علل وأسباب لا يعلم بها إلا علام الغيوب. فقد يكون الذي نال ما أراد وفرح به إنما يفرح بما هو سبب هلاكه وشقائه في الدنيا والآخرة. فيكل الأمر إلى الله العالم بالأمور قبل أن تقع، والقادر الذي يسهل عليه كل عسير..

ومن حصل على ما أراد، فعليه أن لا يفرح به، فإن حصوله عليه

(١) الآية ٢٢ و ٢٣ من سورة الحديد.

قد يكون سبب هلاكه، ولا سيما إذا استقره الفرح، فاعتبر أن حصوله على النعم كان لخصوصية فيه، كما قال قارون الذي كان لديه كنوز هائلة: (إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) (١).

وعلى هذا، فقد يكون الحزين على فوات ما فاتته إنما يكون حزيناً على أمر لو حصل عليه لأودى به، وقضى عليه في الدنيا والآخرة. وعلى هذا، فما معنى فرح يزيد بالجريمة العظمى التي ارتكبها؟! وستكون هي سبب هلاكه في الدنيا، وعذابه الأليم في الآخرة؟! فكيف إذا ضم إلى فرحه الشائن هذا خيلاً وزهواً ناشئاً عن تخيله: أن ارتكاب هذه الجريمة هو من فضائله وإنجازاته، فتكون الرذيلة بنظره فضيلة، والخزي، والعار يصبح عزة وفخاراً؟! ويزداد حاله سوءاً، وتصرفاته قبحاً إذا كان يتباهى، ويكثر من الافتخار بهذا الخزي الذي هو فيه.

٤ - ومما زاد الأمر سوءاً على يزيد:

أن الإمام «عليه السلام» قال: «فَنَحْنُ الَّذِينَ لَا نَأْسَى عَلَى مَا فَاتَنَا، وَلَا نَفْرَحُ بِمَا آتَانَا» كما في الرواية الأخيرة المتقدمة عن الإمام الصادق «عليه السلام».

وفي رواية ابن الصباغ: أنه «عليه السلام» قال في هذا المورد أيضاً: «هذا في حق من ظلم - بفتحتين - لا بحق من ظلم - بضم أوله

(١) الآية ٧٨ من سورة القصص.

وكسر ثانيه»^(١).

٥ - لعل يزيد قد فهم بعض هذه المعاني من قراءة الإمام السجاد «عليه السلام» لهذه الآية المباركة، فغضب وقلق وتحير - كما يدل عليه قولهم -: إنه جعل يعبت بلحيته، ثم التجأ إلى مقولة الجبر الإلهي، وقال: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)^(٢).

وقد قلنا أكثر من مرة: إن الحسين «عليه السلام» لم يعلن حرباً، ولا جمع جيشاً، ولا هياً سلاحاً لحرب أحد، بل كان يزيد هو الذي جمع عشرات الألوف من المقاتلين، وأخذ الطرق عليه، وهو مسافر مع أهله وعياله وأطفاله، وبعض من لحق به تبركاً به، وحباً له، ورغبة في الاستفادة من بركاته، وأخلاقه، وعلمه، وحكمته..

ولا يتجاوز عدد جميع هؤلاء العشرات، فضلاً عن أن يبلغوا مئة أو مئات.

فما معنى أن يدعي يزيد: أن ما جرى للحسين وأهل بيته وأصحابه كان بما كسبت أيديهم؟!

٦ - إن من حقنا أن نعرف، ولو بعضاً مما كسبته أيدي هؤلاء الصفوة مما استحقوا به إنزال هذه المصائب بهم..

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف) ص ١٩٥ و (نشر دار الحديث)

ج ٢ ص ٨٣٧.

(٢) الآية ٣٠ من سورة الشورى.

وهل مجرد رفضهم البيعة ليزيد يكفي مبرراً لما جرى..

وقد علمنا: أن يزيد هو الذي نكث بيعته، وأباه هو الذي حلف الأيمان للإمام الحسن «عليه السلام» أن يكون الأمر للحسين «عليه السلام» بعد موت الحسن. ويزيد هو الباغي، والخارج على إمام زمانه، والمقدم على قتله من دون أي سبب..

وقد علمنا: أن عدداً من الصحابة وغيرهم لم يبايعوا علياً «عليه السلام» بعد قتل عثمان، ولم يتعرض لهم «عليه السلام» بسوء، ولم يكرههم على شيء، مع أن الصحابة وأهل الحل والعقد قد بايعوه، ومع أنه قد نصبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله إماماً على الأمة يوم الغدير، وأخذ له البيعة من المسلمين قبل موته «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً.

السجاد غلام قد بلغ:

وتقدم في الرواية رقم [٣]: وصف الإمام السجاد «عليه السلام»: بأنه «يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ قَدْ بَلَغَ».

مع أن عمره «عليه السلام» كان آنئذ ثلاثاً وعشرين سنة، بل أكثر من ذلك على بعض الأقوال، فإن كان مرادهم بوصف الغلام: أنه كان، قد راهق، بل بلغ سن التكليف، فهذا الوصف غير دقيق، بل فيه تجهيل، وتضليل عن الحقيقة، لأن عمره كان أزيد من ذلك بكثير.

وإن كان المراد: أنه كان بمثابة الغلام الذي يسعى في قضاء

الحاجات، دون أن يكون له رأي مستقل، أو شخصية قوية، وقدرة على الاستقلال بالتصرف، فهو بمثابة المملوك الذي ليس له أن يتخذ قراراً في شيء، بل هو ينفذ ما يقرره سيده. فهذا يستبطن الإيحاء بأن ثمة قصوراً لدى الإمام، يقعد به عن أن يكون كغيره في تدبيره وعقله، وإدراكه، وحكمته..

وهذا اتهام باطل تكفي أدنى مراجعة لكلمات علماء الأمة فيه للتدليل على خطئه، وفساده. فضلاً عن رأي الشيعة فيه، ونصوصهم، وأنه إمام معصوم.

أبوك جهل حقي، وناز عني سلطاني:

وتقدم: أن يزيد قال للإمام السجاد «عليه السلام»: «أبوك الذي قُطِعَ رَحْمِي، وَجَهَلَ حَقِّي، وَنَازَعَنِي سُلْطَانِي، فَصَنَعَ اللَّهُ بِهِ مَا رَأَيْتَ».

وفي نص آخر: «فَجَزَاهُ اللَّهُ جَزَاءَ الْقَطِيعَةِ وَالْإِثْمِ».

ونقول:

إن هذه الكلمات فيها اعتراف بقتل الحسين «عليه السلام»، فلا معنى لادّعاءه: أنه لم يعلم بقتله.

وأما ما زعمه من أمور نسبها للإمام الحسين، فهو كما يلي:

١ - تقدم معنا بعض الكلام عما زعمه، من أن الإمام الحسين «عليه السلام» قطع رحم يزيد.. وقلنا: إنه «عليه السلام» لم يفعل أي شيء

من ذلك، بل كان يزيد هو الذي بادر إلى حرب الحسين «عليه السلام»، وجمع عشرات الألوف، وأخذ الطرق عليه وهو مسافر بأهل بيته وعياله وأطفاله، وقتله وقتلهم، وأسر من تبقى من الأطفال والنساء منهم..

فالذي بادر إلى الغدر، ونكث العهد في أمر الإمامة هو يزيد.

٢ - بالنسبة لقول يزيد: «جَهْلَ حَقِّي» نطلب من المنجمين، والناظرين بالبخت والطالع: أن يسعفونا ويدلونا على الحق الذي كان ليزيد، وقد جهله الحسين، سوى أنه يجب أن يعامل وفق أحكام الشرع الشريف، لأنه يدّعي الإسلام. ولكنه الرجل الفاسق، القاتل، المعلن بالفسق، والشارب الخمر.

ومع ذلك لم يتعرض له الحسين «عليه السلام» بسوء، ولا أقام عليه حداً، أو أجرى عليه قصاصاً فرض الله إجراءه على أمثاله؟! وما هي المفردات والدلائل والأمارات والإشارات إلى جهالة الحسين «عليه السلام» حق يزيد، فإن الجهل أمر جوانحي لا تراه العيون، ولا تسمعه الأذان، ولا يشم، ولا يحس؟! بل يستدل عليه بالأقوال والأفعال، وليس شيء منهما يدل على ذلك بالنسبة للحسين «عليه السلام».

بل كان يزيد من خلال ما دلت عليه أقواله وأفعاله التي يصعب حصرها هو الذي جهل، أو تجاهل حق الحسين «عليه السلام»، الذي فرضه الله تعالى له على الأمة، ونطق القرآن بشطر منه، مما أوجبه

الله له على الأمة التي يدعي يزيد أنه منها، مثل حق المودة في القربى، وحق الولاية، وحق الأبوة والرعاية.

فكما أن حق علي «عليه السلام» على هذه الأمة كحق الوالد على ولده، فإن هذا بالذات هو حق الحسين «عليه السلام» أيضاً، فهو أيضاً بمثابة الوالد للأمة في رعايته لها، وحفظ شؤونها، وتربيتها، وتعليمها، وبناء شخصيتها، لتكون أمة قوية في أخلاقها، وخصالها، وقيمها، وفي كل شؤون الخير والصلاح، والسداد والرشاد، حتى تكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. ولذلك قال «عليه السلام»: «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

٣ - والأغرب والأعجب قوله: «ونازعني سلطان». فأى سلطان كان ليزيد «لعنه الله»، ومن أين جاء بهذا السلطان؟! وما هو إلا غاصب، متغلب، جائر، قد انتزى على أمر هذه الأمة بالقوة والقهر، والتخويف، والبطش، إلى حد الاستئصال للأبرياء، والأئمة العلماء، الأتقياء، وقد قتل الرجال، وذبح الأطفال، وأسر النساء، وطاف بهن في البلاد وبين العباد، وهنَّ على أقتاب الجمال..

وهل غابت أيمان أبيه للإمام الحسن «عليه السلام»: بأن الأمر للحسين من بعده، أو نسي بيعته للحسين «عليه السلام»؟! وهل الغدر، ونكث البيعة، والعهد ينقل الحقوق من أصحابها إلى الناكث الغادر؟!!

٤ - وأما قوله: «فَصَنَعَ اللهُ بِهِ مَا رَأَيْتَ»، فهو عودة إلى مقولة الجبر الإلهي التي لم يزل يعتمد عليها، ويلجأ إليها..

بل هو يسعى من وراء نسبة قتل الحسين «عليه السلام» إلى الله تعالى إلى أن يشغل أذهان الناس بالتحليل، والإجمال، والتفصيل لاستيعاب هذا الاتهام الباطل للعزة الإلهية، بارتكاب جريمة كان يزيد وحزبه هم الذين ارتكبوها، وأنجزوا جميع فصولها.

نتيجة الاختبار:

وتقدم في الرواية رقم [٦]: أن يزيد «لعنه الله» قال لعلي بن الحسين «عليه السلام»: «الحمد لله الذي قَتَلَ أباك»، فقال الإمام «عليه السلام»: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ أَبِي».

ونقول:

١ - لقد عاد يزيد إلى الاستتجاد بمقولة الجبر الإلهي، بادّعاء: أن الله هو الذي قتل الحسين «عليه السلام»، وزاد عليها هنا: أنه سعى إلى تحسين قتل الحسين وتجميله حين حمد الله تعالى عليه، مع أنه كان ينكره، ويلعن ابن زياد لأنه أقدم عليه.

٢ - قد يظن ظان: أن جواب الإمام «عليه السلام» ليزيد كان قاسياً على، فكان أمره بقتله «عليه السلام» رداً على هذه الجرأة ردة فعل طبيعية.

ونجيب:

بأن الأمر ليس بهذه البساطة، بل كان جوابه «عليه السلام» عادياً وطبيعياً، وهادفاً، وقد جاء عن تدبر، وحكمة، وأناة، ولم يكن عن غضب وانفعال وتسرع، كما قد يتوهمه من لا يعتقد بالإمامة

والعصمة، وقد حقق «عليه السلام» أهدافه كاملة من هذا الجواب..

وتوضيح ذلك:

أن يزيد كان يتصرف تصرفات متناقضة في ظاهرها، فهو يدخل عيال الحسين «عليه السلام» إلى أهله وداره، ثم يعود فيسجنهم في خربة لا تكنهم من حر ولا برد.

وهو يرسل برأس الحسين إلى ابنته، ثم يطالبها، لأنها غسلت الرأس وطيبته.

ثم هو يطلب من أهله البكاء على الحسين، ثم يصلب الرأس على باب داره.

وهو يدّعي: أن ابن زياد هو الذي قتل الحسين «عليه السلام»، ولم يعلم هو بقتله، ويلعن ابن زياد لأجل ذلك، ثم يدّعي أن الله تعالى هو الذي قتل الحسين «عليه السلام»..

وبالرغم من اتهامه ابن زياد بقتل الحسين ولعنه له، فإنه يغضب أشد الغضب إذا قال له الإمام السجاد: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ أَبِي».. إلى غير ذلك مما لا مجال للإمام به هنا.

من هنا نقول:

إن الإمام «عليه السلام» إذا لعن قاتل أبيه أمام من يدعي أنه ليس هو القاتل، أو الراضي بقتله، بل هو يلعن ابن زياد، لأنه قتله، فإنه «عليه السلام» يكون قد تصرف تصرفاً طبيعياً جداً، ومتوقعاً وعادياً.

فلماذا غضب يزيد إلى حد أنه أمر بقتل الإمام السجاد؟!
 ألا يدل هذا على أنه كان يكذب، ويدلس، ويخدع الناس بتملصه
 من المسؤولية عن القتل، وإلقائها على عاتق غيره؟!
 إن هذا الذي جرى قد فضح يزيد، وأسقط مكره، ورد كيده عليه،
 وسهام خداعه إليه.
من يردّ بنات الرسول؟!:

وقد يتساءل المرء عن مغزى قوله «عليه السلام»: إذا قتلتنني
 فبنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يردهن إلى منازلهم، وليس
 لهم محرم غيري؟! ألا يعد هذا استعطافاً ليزيد؟! وماذا لو اتهم الإمام
 متهم بالضعف والخوف من الموت الذي هدد به يزيد؟!
ونجيب:

بأن الأمر ليس كذلك، بل هو استدراج ليزيد ليعترف بأن السبايا هن
 بنات رسول الله، وأنه هو نفسه «عليه السلام» ابن رسول الله «صلى الله
 عليه وآله».

وبعد هذا الاعتراف.. فإن قتله يزيد، فيكون قد قتل رجلاً يعترف
 يزيد نفسه لحظة قتله له: بأنه ابن الرسول. كما أنه يسبى بناته «صلى
 الله عليه وآله».

وقد أظهرت سرعة تراجع يزيد عن موقفه، واستجابته لطلب
 الإفراج عن السبايا، وإرجاعهن برعاية الإمام السجاد - أظهرت: أن
 يزيد أدرك أنه أوقع نفسه في مأزق، يحتاج إلى الإسراع بالخروج منه.

وما أهون على من يغدر ويمكر، وينكث العهود: أن يتراجع عن موافقه، وأن يقع في المتناقضات في ساعة واحدة. بل خلال لحظات، كما رأيناه هنا.

ولا غرابة في أن يتحول الرجل المستكبر المغرور إلى حمل وديع، وخادم مطيع، فيجمع بين الصفات والتصرفات المتضادة في موقف واحد.

وهذا ما رأيناه من يزيد حين أقبل بيرد الجامعة من عنق الإمام السجاد بيده، لكي يجعل ذلك يداً له عند علي بن الحسين «عليه السلام». مع أنه هو الذي جعل الجامعة في عنق الإمام «عليه السلام» ظلماً وعتواً. وكأنه يظن أن هذه اليد مجرد فك هذه الجامعة سوف يمحو جرائمه العظمى، ومخازيه الكبرى التي ارتكبها - ولا يزال - في حقهم «عليهم السلام».

لفت نظر:

١ - نفهم من النص المتقدم برقم [٦]: أن الجامعة قد بقيت في عنق الإمام السجاد إلى حين قرر يزيد ترحيل الإمام «عليه السلام» مع السبايا إلى المدينة، فإذا كان هذا القرار قد اتخذ في أواخر إقامتهم بالشام، كما سيأتي. فذلك يعني: أنه «عليه السلام» بقي مغلولاً حوالي أسبوعين. وأن الغل، وإن أزيل عنه في مجلس يزيد، فقد أعيد إلى عنقه الشريف بعد انتهاء ذلك المجلس.

٢ - بل يبدو لنا: أن مجالس عديدة قد جمعت بين يزيد وبين علي بن

الحسين، كان يزيد يحاول أن يتلذذ بإيذائه فيها بالتصرفات تارة، وبالكلام أخرى: بالتصريحات تارة، والتعريضات أخرى، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.. ولكن الله تعالى كان هو الناصر لأهل الحق، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ.

الفصل السادس

مما جرى في الشام..

ليس ذلك لك، ولا لأميرك:

١ - عن فاطمة بنت الحسين: لما جلسنا بين يدي يزيد رَقَّ لنا،
فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَحْمَرُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَبْ لِي هَذِهِ
الْجَارِيَّةُ - يَعْنِينِي - وَكُنْتُ جَارِيَّةً وَضِيئَةً، فَأَرَعِدْتُ، وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ
جَائِزٌ لَهُمْ، فَأَخَذْتُ بِثِيَابِ عَمَّتِي زَيْنَبَ، وَكَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ.
فَقَالَتْ عَمَّتِي لِلشَّامِيِّ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ وَلَوْ مِتُّ، وَاللَّهِ مَا ذَلِكَ لَكَ وَلَا لَهُ.
فَعَضِبَ يَزِيدُ وَقَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّ ذَلِكَ لِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفْعَلَ لَفَعَلْتُ.
قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ، مَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مِلَّتِنَا، وَتَدِينَ
بِغَيْرِهَا.

فَاسْتَطَارَ يَزِيدُ غَضَبًا، وَقَالَ: إِيَّايَ تَسْتَقْبِلِينَ بِهَذَا؟! إِنَّمَا خَرَجَ مِنَ
الدِّينِ أَبُوكَ وَأَخُوكَ.

قَالَتْ زَيْنَبُ: بَدِينِ اللَّهُ وَدِينِ أَبِي وَدِينِ أَخِي اهْتَدَيْتَ أَنْتَ وَجَدُّكَ
وَأَبُوكَ، إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا.

قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ.

قَالَتْ لَهُ: أَنْتَ أَمِيرٌ تَشْتُمُ ظَالِمًا، وَتَقَهَرُ بِسُلْطَانِكَ.

فَكَأَنَّهُ اسْتَحْيَا وَسَكَتَ. فَعَادَ الشَّامِيُّ فَقَالَ: هَبْ لِي هَذِهِ الْجَارِيَّةَ!

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: اُعْرُبْ، وَهَبَ اللَّهُ لَكَ حَتْفًا قَاضِيًا^(١).

٢ - نَظَرَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى فَاطِمَةَ ابْنَةِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ

السَّلام»، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَبْ لِي هَذِهِ الْجَارِيَّةَ.

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ لِعَمَّتِهَا: يَا عَمَّتَاهُ! أَوْتِمْتُ وَأُسْتَخْدَمُ؟

فَقَالَتْ زَيْنَبُ: لَا، وَلَا كَرَامَةَ لِهَذَا الْفَاسِقِ.

فَقَالَ الشَّامِيُّ: مَنْ هَذِهِ الْجَارِيَّةُ؟

فَقَالَ يَزِيدُ: هَذِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ، وَتِلْكَ عَمَّتُهَا زَيْنَبُ ابْنَةُ عَلِيٍّ.

فَقَالَ الشَّامِيُّ: الْحُسَيْنُ بْنُ فَاطِمَةَ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟!

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٢١ والأُمالي للصدوق ص ٢٣١ الرقم ٢٤٢ عن فاطمة بنت عليٍّ، والإحتجاج ج ٢ ص ١٣١ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٣٨ وروضة الواعظين ص ٢١١ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩١ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٣٦ و ١٥٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٦ و ٤٣٦ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٧٧ والثلاثة الأخيرة عن فاطمة بنت عليٍّ نحوه، والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١١ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٦٣ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٩.

قال: نَعَمْ.

فَقَالَ الشَّامِيُّ: لَعَنَكَ اللَّهُ يَا يَزِيدُ! أَنْتَقُلُ عِتْرَةَ نَبِيِّكَ، وَتَسْبِي دُرِّيَّتَهُ؟!
وَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ إِلَّا أَنَّهُمْ سَبَى الرُّومَ!

فَقَالَ يَزِيدُ: وَاللَّهِ لَأَلْحَقَنَّ بِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ^(١).

٣ - عن عمار بن أبي معاوية الدهني، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين [الباقر] «عليه السلام»: لَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ [أَي عَلَى يَزِيدَ] جَمَعَ مَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ فَهَلَّوْهُ بِالْفَتْحِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَحْمَرُ أَزْرَقُ، وَنَظَرَ إِلَى وَصِيفَةٍ مِنْ بَنَاتِهِمْ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَبْ لِي هَذِهِ.

فَقَالَتْ زَيْنَبُ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا كَرَامَةَ لَكَ وَلَا لَهُ، إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ.

فَأَعَادَهَا الْأَزْرَقُ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: كُفَّ^(٢).

(١) الملهوف ص ٢١٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ١٠٨ و بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٦ و ١٣٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٦ وراجع: الاحتجاج (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٣٧.

(٢) تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٢٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٠٤ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٩ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٣ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢١٥ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٠ والأمالى للشجري ج ١ ص ١٩٢ والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٥ عن الإمام زين العابدين

٤ - قامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: إِنَّ سَبَايَاهُمْ لَنَا حَلَالٌ!

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ «عليه السلام»: كَذَبْتَ وَلَوْ مُتَ، مَا ذَاكَ لَكَ، إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مِلَّتِنَا، وَتَأْتِيَ بغيرِ دِينِنَا.

فَأُطْرَقَ يَزِيدُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِلشَّامِيِّ: اجْلِسْ^(١).

ونقول:

١ - قول النص المتقدم برقم [١]: عن فاطمة بنت الحسين «عليه السلام»: إن يزيد رَقَّ لهن، لَمَّا جلسن بين يديه، لا يعقل أن يصدر عنها «عليها السلام».. والحال أن أختها سكيمة تقول عن يزيد، كما تقدم: «وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْبًا مِنْ يَزِيدَ، وَلَا رَأَيْتُ كَافِرًا وَلَا مُشْرِكًا شَرًّا مِنْهُ، وَلَا أَجْفَى مِنْهُ».

فهل يعقل أن تتباين نظرتا الأختين إلى هذا الحد، وهما تعيشان نفس المصائب، وتواجهان نفس الأهوال والنوائب، وتعانيان من نفس

«عليه السلام». وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٥٢٢.

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٩ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٢١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٦٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٥ كلاهما عن مصعب بن عبد الله؛ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢٥٢ كلها نحوه. وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٨ ص ١٩٠ وج ٣٣ ص ٦٦٤ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٣.

المشاق والمتاعب؟! وقد عاشتا في بيئة النبوة والدين، والحكمة، والرحمة، والعلم، والخلق الكريم، وما إلى ذلك.. وشربتا من نبع واحد.. وكانت فاطمة - كما قال الإمام الحسين «عليه السلام» للحسن المثنى حين خطبها منه -: تشبه جدتها الزهراء «صلوات الله عليها».

٢ - إن ما قالتها نفس هذه الرواية، من أن فاطمة بنت الحسين نفسها أيضاً قالت: «ظننت أن ذلك جائز لهم». هو الآخر كلام باطل، فهل يمكن أن يتوهم ذو مسكة أنه يجوز استرقاق المسلمات، واتخاذهن إماء وخادمات؟! وهل قتل النبي، أو الوصي، أو أي مؤمن آخر على أيدي الأشرار والفجار يجعل استرقاق نسائه وأطفاله، وعياله جائزاً لأولئك المجرمين، أو لغيرهم؟!!

وعدا ذلك، هل رأت فاطمة: أن هؤلاء قد اهتموا، ولو في مورد واحد، برعاية أحكام الشريعة، وسألوا: هل هذا الأمر أو ذاك يجوز لهم أو لا يجوز؟! أم أنهم قد هتكوا أعظم الحرمات، وارتكبوا الموبقات، من دون أن يرف لهم جفن، وما إلى ذلك؟!!

ونحن نعلم: أن فاطمة لم تكن صغيرة السن، بل كانت امرأة كاملة، وعاقلة، وقد زوجها أبوها من الحسن بن الحسن.. واستودعها الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء بعض ما كان يريد حفظه للإمام السجاد «عليه السلام».

٣ - إن هاتين المؤاخذتين تدلان على صحة النص الذي ذكر في الرواية التي ذكرناها بعدها، من أن فاطمة لما سمعت ما قاله الشامي

قالت لعمتها: «يا عمّاه! أوتِمتُ وأستخدمُ». وإن كانت الرواية الثانية قد اختصرت الحوار، ولكنها بينت الخاتمة السعيدة التي نالها ذلك الشامي. فلا بأس بضم حوار الأولى إلى الأمور التي تفردت بها الرواية التي بعدها.

٤ - إن هذه الحادثة قد جلبت ليزيد الخزي حين ألقمته من حججها حجراً هشماً عجرفته، وطامن من كبريائه، وذهب ببهاء زهوه الكاذب، وبهرجته الرعناء. فقد ظهر جهله، بأحكام الدين، إلى الحد الذي يخرج منه حين قالت له «عليها السلام»: «إلا أن تخرج من ملّتنا، وتأتي بغير ديننا».

وما أشد حسرته وكمده، وهو المتعجرف المستكبر حين قاده غضبه، وإلحاحه ومكابرتة إلى أن يظهر لمن حضر ذلك المجلس، وهم أعيان أهل الشام: أنه إن كان مسلماً، فقد اهتدى بدين جدها، وأبيها، وأخيها.

وقد أجابها بقوله: كَذَبْتَ يا عَدُوَّةَ اللَّهِ.. فإن كانت قد كذبت، فيكون يزيد خارجاً عن الإسلام، ولا يدين بدين هؤلاء، ويكون قولها: إن كُنتَ مُسْلِماً شكاً انتهى إلى اليقين من خلال إقرار يزيد على نفسه.

الأفراح وصلب الرأس في دمشق:

قال ابن حوقل عن باب جيرون: «صلب على هذا الباب رأس يحيى بن زكريا. وصلب على باب جيرون رأس الحسين بن علي في

الموضع الذي صلب فيه رأس يحيى بن زكريا»^(١).

وعند الخوارزمي، عن أبي مخنف: أن يزيد أمر أن يصلب الرأس الشريف على باب داره^(٢).

وقال أبو حمزة بن يزيد الحضرمي: حدثني بعض أهلنا: أنه رأى رأس الحسين «عليه السلام» مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام^(٣).

وعن عكرمة بن خالد: أتى برأس الحسين «عليه السلام» إلى يزيد بن معاوية بدمشق، فنصب^(٤).

وفي نص آخر: «ثم أمر برأس الحسين «عليه السلام» فنصب

(١) صورة الأرض لابن حوقل ص ١٦١ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٩٧.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٣ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٤٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٦٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٥ نحوه، والأمالى للشجري ج ١ ص ١٧٦ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٢٢ وراجع: جواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٥٣ والوافي بالوفيات ج ١٢ ص ٢٦٤ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٦.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٩ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ١٨٠.

على باب مسجد دمشق»^(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ - لا شك في أن كل مجتمع لا يخلو من صالح وطالح، وإن كان الصالحون أقل عدداً.. وإذا أخذنا الحد الأعلى والأتم للصالح، والحد الأدنى فيما عداه، فإننا سنجد المراتب بين هذين الحدين متعددة، وهي تختلف وتتفاوت باختلاف الموارد والمآرب، وتعدد الأهواء والمشارب.

٢ - ومن المؤثرات في قوة كل فريق وضعفه، وقلته وكثرته، وفي مدى أثره، امتداداً وانحساراً التربية، والرعاية، وصالح وفساد من بيده مقاليد الأمور، فلأب الراعي كما للأب الوالد تأثيره الكبير في صلاح الناس وفسادهم. فضلاً عن تأثير البيئة، والمعشر، وغير ذلك.

فإذا كان الأب الراعي هو النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، أو علي والحسين «صلوات الله عليهم»، ومن هم في خطهم ونهجهم، فلنا أن نتوقع التغيير الكبير والواسع، وإن بنسب متفاوتة في سلوك الناس، وفي اهتماماتهم وأولوياتهم، وظهور ملامح الصلاح والفلاح فيهم.

(١) الأمالي للصدوق ص ٢٣١ وروضة الواعظين ص ٢١١ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٦.

وإن كان راعي الأمة مثل يزيد، فعلى الإسلام بكل خيراته وبركاته السلام، كما قال الإمام الحسين «عليه السلام»: «فعلى الإسلام السلام [العفا] إذ بليت الأمة براع مثل يزيد»^(١).

من أجل ذلك قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة».

٣ - ومن المعلوم: أن أهل الشام من حين دخولهم في دين الإسلام، إنما عرفوا الإسلام السفياني الأموي، الذي هو إسلام الأطماع، ممن يتخذون الدين ذريعة للدنيا، مع سعيهم لحفظ وتكريس مفاهيم وقيم، وطريقة عيش أهل الجاهلية، وتكريس جميع مخازيها ومآثمها، والتسويق لها، ونشرها، وتقويتها.

غير أن رفع شعار الإسلام، وتداول اسم نبي الله فيهم، وذكره في أذان الصلاة عدة مرات كل يوم على مسامع جميع شرائح المجتمع، وإلزامهم بالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة، وأخذهم بالإيمان بالله، وبالمعاد، وبوجوب محبة أهل البيت ومودتهم، وغير ذلك يجعل لديهم استعداداً لسماع ما يرتبط بهذه الأمور.

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٨٤ وراجع: تسلية المجالس ج ٢ ص ١٥٣ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص ١٥ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٦ والعوالم، الإمام الحسين ص ١٧٥ ولواعج الأشجان ص ٢٦ والملهوف (نشر أنوار الهدى) ص ١٨ والمجالس الفاخرة ص ١٨٣.

ومهما حاول أهل الدنيا، ودعاة الباطل الترويج للشهوات، والأباطيل، والأضاليل. فإن الفطرة مهما أصابها من تشويه واختلال، سوف يبقى لها أثر في إعادة الأمور إلى نصابها، وسيبقى سلطان العقل والوجدان قادراً على إيقاظ ما تبقى منها، والنهوض به، إن وجدت المحفزات، وساعدت الظروف والأحوال..

٤ - وهذا ما غفل عنه يزيد «لعنه الله»، - وهذا من خذلان الله تعالى له - فأراد أن يستقبل السبايا بالأفراح والزينة، والعربدات الفارغة، إظهاراً لقوته، وإمعاناً في إذلال أهل بيت النبوة «صلوات الله عليهم»، فعوضاً من أن يتستر على جريمته، ويحاول التملص منها، وإنكارها كان هو الذي يسعى لنشر أخبارها، ويتقبل التهاني بها، ويقيم الأفراح، وينشر الزينة لها، بل هو يصلب للناس رأس ابن نبيهم، على باب أكبر مساجد مدينتهم، الذي يفترض أن يأتوا إليه، ويذكروا الله تعالى فيه.. وإذ بهم يأتون إليه ليجدوا رأس ابن بنت نبيهم على بابه..

٥ - وكان من نتائج فعله هذا، الذي أخرج به نفسه أنه - ولاسيما - بعد أن جرى ما جرى في مجلسه، وبدأت الروائح الكريهة لأفعاله الشنيعة تزكم الأنوف، وتخفق النفوس والأرواح إضطر إلى الكذب والتدليس على الناس.

فتارة يقول لهم: ما علمت بقتل الحسين.

وأخرى يقول: عجل عليه ابن مرجانة.

وثالثة يقول: كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

ورابعة، وخامسة... لكن ذلك لم ينفع، وبدأت النار تلتهم كرامته، وقوته، وعرشه، ولو بصورة تدريجية.

٦ - وآخر نقطة نذكرها هنا: أن هذا العنف على الدين وأهله ممن ينسبون أنفسهم إلى هذا الدين يدل على أن الإمامة لو لم تكن في أهل البيت المطهرين المعصومين لم يقيم للإسلام عمود، لأنه إذا كان أهل البيت، وهم الأقوى، حضوراً وتقديساً في وجدان الأمة وضميرها، قد جرى عليهم ما جرى، فما بالك بغيرهم لو أن الأمر تجاوز أهل البيت، إلى غيرهم؟! حراب الملائكة:

روى البيهقي عن أبي معشر قال: «وقتل الحسين «رضي الله عنه» وجميع من معه، «رحمهم الله»، وحمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد، فوضع بين يديه على ترس، فبعث به إلى يزيد، فأمر بغسله، وجعله في حريرة، وضرب عليه خيمة، ووكل به خمسين رجلاً. فقال واحد منهم: نمت وأنا مفكر في يزيد وقتله الحسين «عليه السلام»، فبينما أنا كذلك، إذ رأيت سحابة خضراء فيها نور قد أضاءت ما بين الخافقين، وسمعت صهيل الخيل ومنادياً ينادي: يا أحمد اهبط. فهبط رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعه جماعة من الأنبياء والملائكة، فدخل الخيمة وأخذ الرأس، فجعل يقبله، ويبكي، ويضمّه إلى صدره، ثم التفت إلى من معه، فقال: انظروا إلى ما كان من أمّتي في ولدي، ما بالهم لم يحفظوا فيه وصيتي، ولم يعرفوا حقي؟! لا

أنالهم الله شفاعتي!

قال: وإذا بعدّة من الملائكة يقولون: يا محمد، الله تبارك وتعالى يقرئك السلام، وقد أمرنا بأن نسمع لك ونطيع، فمرنا أن نقلب البلاد عليهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: خلّوا عن أمتي، فإن لهم بلغةً وأمدًا.

قالوا: يا محمد، إن الله جل ذكره أمرنا أن نقتل هؤلاء النفر!

فقال: دونكم وما أمرتم به.

قال: فرأيت كل واحد منهم قد رمى كل واحد منّا بحربة، فقتل القوم في مضاجعهم غيري، فإني صحت: يا محمد!

فقال: وأنت مستيقظ؟

قلت: نعم.

قال: خلّوا عنه، يعيش فقيراً، ويموت مذموماً.

فلما أصبحت دخلت على يزيد وهو منكسر مهموم، فحدثته بما رأيت.

فقال: امض على وجهك، وتب إلى ربك»^(١).

ونقول:

(١) المحاسن والمساوي ص ٦٢.

روايتان، أو رواية واحدة؟!:

تقدم تحت عنوان: «اغفر لي، وما أراك فاعلاً»: رواية تشبه هذه الرواية في عدة موارد، ولكنها تختلف عنها في بعض الأمور أيضاً، فلأجل هذه الفوارق أعدنا ذكرها، لاسيما وأن ظاهر الرواية التي ذكرناها سابقاً: أن مضمونها حدث في الطريق، حين جيء بالرأس من الكوفة إلى الشام.

وهذه الرواية تقول: إن مضمونها حصل في دمشق، حين وضع يزيد الرأس في خيمة، ووكل به خمسين رجلاً.

وفي هذه الرواية موارد عديدة تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

توضيح لا بد منه:

تقول هذه الرواية: إن يزيد ضرب على الرأس خيمة، ووكل به الرجال.. فالظاهر: أنه كان يصلب الرأس في النهار على باب مسجد دمشق، فإذا جاء الليل، وضعوه في الخيمة، لأنهم إذا أبقوه ليلاً على باب المسجد يخشون عليه من السرقة. وهذا يجرهم ويظهر ضعفهم.

قتل الخمسين رجلاً:

ذكرت الرواية: أن هذا الرجل رأى الملائكة ترمي أصحابه بالحراش التي قتلتهم جميعاً، باستثناء الرجل المتحدث.

وليس فيها ما يدل على أنهم وجدوا مقتولين على نحو الحقيقة، ولو كان هذا الأمر قد حدث لضج الناس، وتداولوه، ونقلوه إلينا.

وبذلك يظهر: أن المطلوب هو بيان استحقاق تلك الجماعة للقتل.

أما المتحدث، فلعله لم يصل في طغيانه وسوئه إلى الدرجة التي بلغها أولئك.

تب إلى ربك:

وفي الرواية: أن هذا الرجل قد حدث يزيد بما رأى، فقال له: تب إلى ربك.. لكن ليت شعري هل تاب يزيد نفسه إلى ربه من جرائمه التي منها قتل الحسين «عليه السلام» وأهل بيته، وأصحابه، وسبي عياله؟! أو أنه هو المصدق لقول القائل:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء من السقام لذي ومن الردى قد كنت أنت سقيم

أو

تصف الدواء لذي السقام وذي كيما يصح به وأنت سقيم

على أن هذا الرجل يقول: إنه قد دخل على يزيد، وهو منكسر مهموم، فحدثه بما رأى، مع أن النصوص المتضافرة تؤكد على أن يزيد كان فرحاً مستبشراً بقتل الحسين «عليه السلام»، إلا إن كان قد دخل عليه بعد خطبة زينب في مجلسه، وخطبة الإمام السجاد «عليه السلام» في مسجد دمشق، ورأى تغيراً في الناس، وخشي من حدوث أمر لا يطاق، فركبه الهم والغم، وظهر عليه الإنكسار.

لا أنالهم الله شفاعتي:

وقد قال «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: لا أنالهم الله شفاعتي، فقد يقول قائل: ما معنى أن يكون الله هو الذي ينيل المذنبين شفاعته نبيهم؟!

ويجاب:

بأن المراد: هو التوفيق لاستحقاق الشفاعة، من خلال التوبة النصوح، واستئناف العمل الصالح، وإزالة الآثار السلبية للموبقات التي ارتكبها.

فإن بعض الذنوب يفقد مرتكبها الأهلية للشفاعة، فيترك شأنه، ويحرم من البركات والألطف، ويزداد بعداً عن الله بما يقترفه من ذنوب وآثام تضاف إلى سابقتها.

وقتل الحسين «عليه السلام» هو من هذه الذنوب التي تحرم فاعلها من التوفيقات الإلهية، التي تؤهله لاستحقاق الشفاعة.

إن لهم بلغة وأمدًا:

إن عدم رضاه «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: بأن تواجه أمته عذاب الاستئصال، حتى مع استحقاقها له، وآثر أن يعطيها فسحة، أو فقل: بلغة، ففعل أحداً منها يراجع حساباته، أو يكون في ذرية بعضهم من يهتدي لنور الحسين «عليه السلام». لاسيما وأن الأمر لم يصل بجميع الأمة إلى الحد الذي وصل إليه قوم نوح، الذين وصفهم نوح «عليه السلام»

بقوله: (إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) (١).

ومن لم يراجع حساباته، ولم يتراجع لا يفلت من العقاب.. لأن الجزاء والعقوبة والمثوبة إن لم يكن في الدنيا، فلا مجال للتخلص منه في الآخرة.

موقف مروان وأخويه:

روى الطبري بسنده عن القاسم بن بخيت، ورواه غير الطبري أيضاً، قالوا:

لَمَّا أَقْبَلَ وَفَدَ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، دَخَلُوا مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَقَالَ لَهُمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ: كَيْفَ صَنَعْتُمْ [بِهِمْ]؟
قالوا: وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَّةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَتَيْنَا - وَاللَّهِ - عَلَى آخِرِهِمْ.
وهذه الرؤوسُ والسَّبَايا، فَوَتَّبَعَ مَرْوَانُ، فَأَنْصَرَفَ.

فَأَتَاهُمْ أَخُوهُ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ [في نص آخر: عبد الرحمان بن الحكم]،
فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟!!

فَأَعَادُوا عَلَيْهِ الْكَلَامَ.

فَقَالَ: حُجِبْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهِ لَا أَجَامِعُكُمْ [لَنْ أَجَامِعَكُمْ عَلَى أَمْرٍ أَبَدًا].
ثُمَّ قَامَ، فَأَنْصَرَفَ (٢).

(١) الآية ٢٧ من سورة نوح.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٥ وتاريخ

ونقول:

يستوقفنا في هذا النص:

١ - أن سؤال مروان: «كيف صنعتهم بهم»؟! مريب في صيغته هذه، التي تعني أن ما كان يهمه معرفته هو كيفية قتلهم، ربما لكي يتلذذ بها، ويرتاح لها. ولأجل ذلك نرى: أنه لم يستتكر نفس هذا الفعل الشنيع، بل سمع وانصرف.

٢ - يبدو: أن ما كان يهتم له أولئك المجرمون هو إبادة بني هاشم. أما أصحابهم، فلم يكونوا يهتمون لهم، ولذا اقتصر الجواب على عدد شهداء الهاشميين، ولم يشيروا إلى الأصحاب بشيء، وكأنهم لم يحضروا كربلاء، ولم يستشهدوا مع الإمام الحسين «عليه السلام»!!
لكن يحيى بن الحكم أخا مروان كان أكثر إنسانية ولباقة من أخيه، وربما يشاركه في هذا الأمر أخوه عبد الرحمان، لكن ما قاله لهم لم يكن مثيراً لمشاعرهم، ولا قاسياً عليهم، لأنه اقتصر على

مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٨٤ وج ٦٥ ص ٦٦ ومختصر تاريخ مدينة دمشق لابن منظور ج ٢٦ ص ١٥١ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢١٣ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٤ وتسمية من قتل مع الحسين في كربلاء (مطبوع في مجلة تراثنا - السنة الأولى عدد ٢ ص ١٥٧ وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٢٢ والأمالى للشجري ج ١ ص ١٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨١.

الإعلان بأن فعلهم هذا قد حرمهم من الوصول إلى النبي «صلى الله عليه وآله» يوم القيامة.

ثم تعهد بعدم مشاركتهم في أي أمر في المستقبل..

مع أنه لم يثبت أنهم كانوا يحزنون إذا لم يروا النبي «صلى الله عليه وآله» يوم القيامة.

٣ - إن الأمر الأهم في هذه الرواية يكمن في إثبات وجود مروان في الشام حين وصول السبايا، فإنه كان يسكن المدينة. وسيأتي في الحديث عن إرسال الرأس الشريف إلى المدينة: أنه كان له موقف سيئ ومشين حين أرسل الرأس إليها.. فكيف نفسر ذلك، وكيف نجمع بين القول: بأن مروان كان في الشام، ثم كان في المدينة حين وصول الرأس الشريف إليها؟!

إلا أن يقال: لا مانع من أن يكون مروان قد سافر إلى الشام في أمر يهيمه، وقضى حاجاته فيها، وعزم على الرجوع، فشاهد الرأس (أو الرؤوس) والسبايا حين ورودهم إلى الشام. وجرى له مع الوفد ما ذكرته الرواية آنفاً، ثم غادر في نفس اليوم أو بعده إلى المدينة.

ثم لما أرسل الرأس إلى المدينة على جناح السرعة، كان لمروان منه موقف شنيع كما سنرى، ثم أعيد الرأس الشريف إلى الشام، ربما بعد ساعات، واستطاع أن يحصل الإمام «عليه السلام» على رأس أبيه، بالرغم من أن يزيد كان قد قال له: إنه لن يرى رأس أبيه أبداً..

ولكن دراية وحكمة الإمام السجاد «عليه السلام» قد أثمرت أن

يزيد قد غير رأيه هذا، وسلمه الرأس، فاصطحبه معه إلى كربلاء، ودفنه مع الجسد الطاهر.

يزيد: قبح الله بن مرجانة:

عن أبي مخنف: دَعَا [يَزِيدُ] بِالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ، فَأَجْلَسُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَأَى هَيْئَةً قُبِيحَةً، فَقَالَ: قَبَّحَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ، لَوْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ رَحِمٌ أَوْ قَرَابَةٌ مَا فَعَلَ هَذَا بِكُمْ، وَلَا بَعَثَ بِكُمْ هَكَذَا^(١).

ونقول:

١ - متى دعا يزيد بالنساء، وخاطبهن بهذا الخطاب العطوف والرؤوف؟! هل كان ذلك في أول وصولهم إلى الشام؟! أو كان حين شعر بأن الأمور بدأت تتغير لغير صالحه، وذلك بعد مضي حوالي أسبوعين من الأذى، والبلى، والإذلال المتواصل، والإهانات التي كان يتقنن في اختراعها؟! وهل كان ذلك بعد حبسهن في بيت لا يكنهن من

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٢٣٢ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٢ والمنتظم من تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦٢ نحوه؛ والإرشاد ج ٢ ص ١٢٠ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٤ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١١ والدر النظيم ص ٥٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٦٣.

حر ولا برد، أو قبل ذلك؟! إلى غير ذلك مما تقدم وسيأتي بعض منه.

٢ - هل هذا كان هو الذنب الوحيد لابن مرجانة (عبيد الله بن زياد)؟! ولماذا لم يطالبه ولم يعاقبه على ما هو أدهى وأعظم، وهو قتل شبل الرسول، وسيد شباب أهل الجنة؟!!

٣ - إن قاتل الحسين هو يزيد، وقد تهدد ابن زياد بأنه سوف يعيده عبداً كما كان.. وقد تقدمت دلائل كثيرة على هذا.. وسيأتي بعض من ذلك في موارد أخرى أيضاً، وفي الملحق الذي ذكرناه بعد الإنتهاء من الكتاب دلائل أخرى أيضاً.

٤ - لقد كانت بين يزيد وبين بني هاشم رحم وقرابة، كما يُدعى، فلماذا لم تردعه عن قتل سيدهم وعميدهم الحسين بن علي، وابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وذبح أطفاله، وإياداة كل من وصلت إليهم يده، من بني أبيه، وأخيه، فضلاً عن أصحابه ومحبيه؟!!

٥ - وما ينفع تقبيحه لفعل ابن مرجانة، وهو لم يزل يغدق عليه الجوائز والعطايا، ويرفع من مقامه، ويدنيه، ويجعله أنيسه ونديمه، ويشد من أزره، ويقويه؟!!

٦ - إن هذا التقبيح لفعل ابن زياد ما هو إلا لذر الرماد في العيون، وتوطئة للتخلص من عبء الأسرى والسبايا، بعد أن أحس بأن الأمور يمكن أن تنتهي إلى ما لا تحمد عقباه.

يقتل أولاد الأدعياء أبناء الأنبياء:

١ - رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا حُمِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى يَزِيدَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، هَمَّ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فَوَقَّعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ لِيَسْتَنْطِقَهُ بِكَلِمَةٍ يُوْحِبُ بِهَا قَتْلَهُ، وَعَلِيٌّ «عليه السلام» يُجِيبُهُ حَسْبَ مَا يُكَلِّمُهُ، وَفِي يَدِهِ سُبْحَةٌ صَغِيرَةٌ يُدِيرُهَا بِأَصَابِعِهِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ.

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ - عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ -: أَنَا أَكَلَمُكَ، وَأَنْتَ تُجِيبُنِي وَتُدِيرُ أَصَابِعَكَ بِسُبْحَةٍ فِي يَدِكَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ ذَلِكَ؟!

فَقَالَ «عليه السلام»: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي «صلى الله عليه وآله»: أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ وَانْفَتَلَ، لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَأْخُذَ سُبْحَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُسَبِّحُكَ، وَأُحَمِّدُكَ، وَأُهَلِّلُكَ، وَأُكَبِّرُكَ، وَأُمَجِّدُكَ بَعْدَ مَا أُدِيرُ بِهِ سُبْحَتِي، وَيَأْخُذُ السُّبْحَةَ فِي يَدِهِ وَيُدِيرُهَا وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالتَّسْبِيحِ، وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ مُحْتَسَبٌ لَهُ وَهُوَ حِرْزٌ إِلَى أَنْ يَأْوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ، وَوَضَعَ سُبْحَتَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَهِيَ مَحْسُوبَةٌ لَهُ مِنْ الْوَقْتِ إِلَى الْوَقْتِ.

فَفَعَلْتُ هَذَا اقْتِدَاءً بِجَدِّي «صلى الله عليه وآله».

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ: مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، لَسْتُ أَكَلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا وَجِيبُنِي بِمَا يَفُوزُ بِهِ. وَعَفَا عَنْهُ، وَوَصَّلَهُ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ^(١).

(١) الدعوات للراوندي ص ٦١ و ٦٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٠٠ ومستدرک

٢ - لَمَّا اسْتَشْهَدَ [الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»] حُمِلَ عَلَيَّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مَعَ الْحَرِيمِ وَأُدْخِلَ عَلَى اللَّعِينِ يَزِيدَ، وَكَانَ لِابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» سَنَتَانِ وَشُهُورٌ، فَأَدْخَلَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَزِيدُ قَالَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ؟! قَالَ: رَأَيْتُ مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

فَشَاوَرَ يَزِيدُ جُلُسَاءَهُ فِي أَمْرِهِ فَأَشَارُوا بِقَتْلِهِ، وَقَالُوا لَهُ: لَا نَتَّخِذُ مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جَرَوًا.

فَابْتَدَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» الْكَلَامَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِيَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ: لَقَدْ أَشَارَ عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ بِخِلَافِ مَا أَشَارَ جُلُسَاءُ فِرْعَوْنَ عَلَيْهِ حَيْثُ شَاوَرَهُمْ فِي مُوسَى وَهَارُونَ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ، وَقَدْ أَشَارَ هَؤُلَاءِ عَلَيْكَ بِقَتْلِنَا، وَلِهَذَا سَبَبٌ. فَقَالَ يَزِيدُ: وَمَا السَّبَبُ؟! فَقَالَ: إِنَّ أَوْلِيكَ كَانُوا لِرَشْدَةٍ وَهَؤُلَاءِ غَيْرُ (لَعَلَّ الصَّحِيحَ: لَغَيْرِ) رَشْدَةٍ، وَلَا يَقْتُلُ الْأَنْبِيَاءَ وَأَوْلَادَهُمْ إِلَّا أَوْلَادُ الْأَدْعِيَاءِ. فَأَمْسَكَ يَزِيدُ مُطَرَقًا، ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِمْ عَلَى مَا قُصَّ وَرُوي^(١).

الوسائل ج ٥ ص ١٢٤ وسنن النبي للطباطبائي (ط الخامسة) ص ٣٤٧ و ٣٤٨
و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٣٦٥ و ٣٦٦.
(١) إثبات الوصية ص ١٨١.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

حديث السبحة:

تظهر الرواية الأولى: أن الذي أزعج يزيد هو: أنه كان يتوقع من الإمام السجاد «عليه السلام»: أن يعامله كما يعامل الملوك والفراعة، والجبارون، وأن هذا الشاب المفجوع بأبيه، وأهل بيته، وأصحابه، والأسير في يده سوف يكون أكثر خضوعاً، واستسلاماً له، ولربما توقع منه أن يبالغ في الاستعطاف والتملق..

وإذ به يرى السجاد يعامله - وهو الذي تهيم عليه نشوة النصر، ويجوب أفاقها بأشرعة الزهو والخيلاء - وكأنه لا شيء، ويراه بعوضة أو أقل، بالرغم من أنه بين جنده وأنصاره، وفي عاصمة حكمه، وفي ديوان ملكه، وعلى بساطه.

فيزيد المستكبر والمغرور يكلمه، وهو «عليه السلام» بمرأى ومسمع منه ومن كل من حضر ذلك المجلس، وهم أعيان البلاد - يكلمه - وهو يدير سبحة صغيرة بأصابعه، يحسب من يراه أنه يعبت بها..

فأغاظ ذلك يزيد، وأراد أن يوجه إليه سهام اللوم، وإذ به يفاجأ بما لم يكن في الحساب، حيث تبين أن ما يظنه الجهال لعباً وعبثاً، واستهتاراً هو عند أهل العلم والدراية من الأعمال الصالحة الجليلة، التي لها مثوبات، وآثار في الحفظ والاحتراز من شر الأشرار، وكيد الفجار.. وهذا أثر مروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومن الواضح: أن من يدّعي لنفسه مقام خلافة النبوة، لا بد أن يكون عارفاً بمناهج النبي، وفاقاً على أقواله، ملتزماً بها في نفسه، وداعياً إليها الناس، وناشراً لها فيما بينهم، حاثاً لهم على الالتزام بها.

ومن غير المقبول: أن يحتاج إلى غيره لمعرفة أقوال من يدعي أنه خليفته، والقائم مقامه..

ما قضاه الله قبل الخلق:

وبالنسبة للرواية الثانية: نسأل عن سبب مشورة أصحاب يزيد عليه بقتل علي بن الحسين «عليه السلام»، وقبل ذلك عن سبب تمايل يزيد إلى قتله «عليه السلام»، فبادر إلى الاستشارة في ذلك.. مع أن ما حدث هو أن يزيد قال له: «كيف رأيت يا علي بن الحسين؟!»

فقال «عليه السلام»: رأيت ما قضاه الله عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض..

ونجيب:

بأن هذا الجواب منسجم تماماً مع قول الإمام «عليه السلام»: «رضاً بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك»^(١).

ومنسجم أيضاً مع الآية التي قرأها الإمام السجاد «عليه السلام» على يزيد: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي

(١) مفتاح السعادة ج ٦ ص ٢٢٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج ٧ ص ٢٤٨.

كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ^(١).

وخلاصة ما نريد قوله: أن الأئمة هم الذين لا يأسون على ما فاتهم، ولا يفرحون بما آتاهم. لأن الله تعالى إذا قضى أمراً، فإنما يقضي أن يحصل بأسبابه، التي قد يكون منها إرادات واختيارات البشر. فإذا اختار أحد أن يقتل نبياً أو وصياً، وقد حصل ذلك بالفعل، فإنه يكون مما قضاه الله تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض. ولكن قضاءه تعالى لهذا القتل، وحصول ما قضاه لا يعني براءة القاتل، ونجاته من العذاب..

كما أن ذلك لا يعني أن يكون النبي والوصي والإمام مستحقاً للقتل، ومداناً، بل يكون لهذا النبي أو الوصي المقتول أعظم المثوبات لنيله مقام الشهادة، ويكون للقاتل أشد العقوبات.

جلساء فرعون أفضل:

١ - وقد تقدم: أنه «عليه السلام» لم يسكت على مشورة جلساء يزيد على يزيد بقتله «عليه السلام»، بل فندها وأدانها، موضحاً: بأن جلساء فرعون كانوا خيراً منهم..

وبذلك يكون «عليه السلام» قد ألمح أيضاً إلى أن يزيد يشبه فرعون.. ولكن يزيد تغافل عن هذا، ربما خوفاً من أن ينتهي الكلام إلى

(١) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الحديد.

فضائح تكون عليه أشد وأقسى.

٢ - كما أنه «عليه السلام» ذكر أن جلساء فرعون، ومستشاريه كانوا طيبين الولادة، أما جلساء ومستشارو يزيد، فكانوا أبناء زنا. ولم يستطع يزيد أن يناقش في هذا الأمر، لكي لا يفاجئه «عليه السلام» بما لم يكن له في الحساب، مع العلم: بأن المسلمين يعلمون بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف مبغضي أمير المؤمنين «عليه السلام» بما لا يخرج عن هذا السياق، فإنه «عليه السلام» لا يبغضه إلا ابن زنا، أو نحو ذلك..

يطاف برأس الحسين في البلدان:

١ - روي عن علي بن الحسين [زين العابدين] «عليه السلام» قوله: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَلَهُ الْحَمْدُ - ابْتَلَانَا بِمَصَائِبَ جَلِيلَةٍ، وَثَلَمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ «عليه السلام» وَعَتَرَتْهُ، وَسُبِّي نِسَاؤُهُ وَصِيْبُهُ، وَدَارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ فَوْقِ عَامِلِ السَّنَانِ، وَهَذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتِي لَا مِثْلَهَا رَزِيَّةٌ^(١).

٢ - أَمَرَ يَزِيدُ اللَّعِينُ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَطُفِفَ بِهِ فِي

(١) الملهوف ص ٢٢٩ و (نشر أنوار الهدى) ص ١١٧ ومثير الأحرار ص ١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٩١ وليس فيه ذيله، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٤٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٣ ولواعج الأشجان ص ٢٤٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦١٨.

مدائن الشام وغيرها^(١).

ونقول:

١ - ذكرنا في ما سبق: أن الطريق التي سلكها الوفد الذي جاء بالسببايا من الكوفة إلى الشام، قد مرت بعشرات المدن، بدءاً من مدن شمال العراق، إلى مدن شمالي سوريا وغربها، حتى انتهوا بدمشق.

وتقدم: أن أكثر سكان تلك المدن كانوا من غير المسلمين، وما يذكر من أمور جرت في الأديرة، ومع الرهبان، ومع بعض اليهود يشهد على ما نقول.

٢ - تقدم: أنهم دخلوا مدينة دمشق في اليوم الأول من شهر صفر، فإذا كانوا قد تركوا الكوفة في الثالث عشر من شهر المحرم، فذلك يعني: أن سفرهم إلى أن بلغوا الشام قد استمر حوالي سبعة عشر يوماً..

٣ - وقد صرحوا أيضاً: بأن الرأس الشريف قد صلب في الشام ثلاثة أيام.

٤ - سيأتي أن المعتزلي يقول: إن الرأس لم يرسل إلى المدينة، ولكننا مع ذلك نقول: إن كان الرأس قد أرسل إلى المدينة، بعد الثلاثة أيام الأولى، ومكث فيها يوماً أو بعض يوم، ثم أعيد إلى الشام على جناح السرعة، فيمكن أن يكون الذين تولوا أخذه إلى المدينة، وإرجاعه منها قد مروا بالرأس الشريف في بعض البلاد التي كانت على

(١) شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٩.

طريقهم، فكانوا يظهرون الرأس ويرفعونه ليراه أهل البلد حين عبورهم فيه..

وبذلك يكون أيضاً قد طيف بالرأس الشريف في بلاد كثيرة، ممتدة من الشام إلى المدينة، تضاف إلى المدن والبلاد التي مروا بها، وهم في طريقهم من الكوفة إلى الشام كما بيناه.

٥ - وإن كان قد بقي يوم أو أيام بعد رجوع الرأس من المدينة إلى الشام، قبل أن يتحرك ركب العيال والأيتام من الشام إلى كربلاء.. فيمكن أن يكون يزيد قد أرسل الرأس الشريف كل يوم إلى بعض المدن القريبة، ليطاف به فيها.

وبذلك يمكن أن نتلمّس التطبيق العملي للنص المشار إليه آنفاً، من أنهم داروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان..

٦ - بل لو لم يكن سوى المدن التي مروا بها، وهم في طريقهم من الكوفة إلى شمال العراق، وشمال بلاد الشام وغربها، حتى أوصلوا الرأس الشريف إلى دمشق لكفى ذلك خزيًا لهم.. ولتحقق مضمون قولهم حول الطواف بالرأس الشريف في البلدان..

رزية لا مثلها رزية:

وفي النص المنقول عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: أن دورانهم بالرأس في البلدان رزية لا مثلها رزية.

وهذا واضح المأخذ، لأن هذا التصرف يستدرج الناس للخروج للنظر إلى الرأس الشريف، وإذا عرف موقعية صاحب الرأس في

الدين، والقرآن، وقداسته، وكونه ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيد شباب أهل الجنة، فلا بد أن يهون على الناس كبيرهم وصغيرهم أمر الدين، وابتذال، ووهن أمر المقدسات، ويسهل عليهم انتهاك أعظم الحرمات.. وقد أشار الإمام الحسين «عليه السلام» إلى أنهم إن قتلوه، فلا يهابون بعد ذلك أحداً، وقد قدمنا ذلك في هذا الكتاب.

فلو أن الهيبة حفظت، وبقي الناس يستعظمون أمثال هذه الجرائم، لأمكن استدراك شيء مما فات..

في مجالس المجون:

١ - عن عبد السلام بن صالح الهروي: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا «عليه السلام» يَقُولُ: أَوَّلُ مَنْ أَتَّخَذَ لَهُ الْفُقَّاعُ (١) فِي الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَأَحْضِرَ وَهُوَ عَلَى الْمَائِدَةِ، وَقَدْ نَصَبَهَا عَلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَجَعَلَ يَشْرَبُهُ وَيَسْقِي أَصْحَابَهُ، وَيَقُولُ لَعَنَهُ اللَّهُ: إِشْرَبُوا، فَهَذَا شَرَابُ مُبَارَكٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَرَكَتِهِ إِلَّا أَنَا أَوَّلَ مَا تَنَاوَلْنَاهُ وَرَأْسُ عَدُوِّنَا بَيْنَ أَيْدِينَا، وَمَائِدَتُنَا مَنْصُوبَةٌ عَلَيْهِ، وَنَحْنُ نَأْكُلُهُ (٢) وَنُفَوِّسُنَا سَاكِئَةً، وَقُلُوبُنَا مُطْمَئِنَّةٌ.

فَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا فَلْيَتَوَرَّعْ عَنْ شُرْبِ الْفُقَّاعِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَرَابِ

(١) الْفُقَّاعُ: شَرَابٌ يَتَّخَذُ مِنَ الشَّعِيرِ. راجع: لسان العرب ج ٨ ص ٢٥٦ مادة «فقع».

(٢) الضمير يرجع للطعام الذي هو على المائدة.

أعدائنا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»: لَا تَلْبَسُوا لِبَاسَ أَعْدَائِي، وَلَا تَطْعَمُوا مَطَاعِمَ أَعْدَائِي، وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ أَعْدَائِي، فَتَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي^(١).

٢ - عن الفضل بن شاذان: سَمِعْتُ الرِّضَا «عليه السلام»: لَمَّا حُمِلَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى الشَّامِ، أَمَرَ يَزِيدُ - لَعْنَهُ اللَّهُ - فَوُضِعَ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ، فَأَقْبَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ الْفُقَاعَ. فَلَمَّا فَرَّغُوا أَمَرَ بِالرَّأْسِ، فَوُضِعَ فِي طَسْتٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، وَبُسِطَ عَلَيْهِ رُقْعَةُ الشَّطْرَنْجِ، وَجَلَسَ يَزِيدُ - لَعْنَهُ اللَّهُ - يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ، وَيَذْكُرُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَأَبَاهُ وَجَدَّهُ «صلى الله عليه وآله»، وَيَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِمْ، فَمَتَى قَامَرَ صَاحِبَهُ تَتَاوَلَ الْفُقَاعَ فَشَرِبَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ صَبَّ فَضْلَتُهُ عَلَى مَا يَلِي الطَّسْتَ مِنَ الْأَرْضِ.

فَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا فَلْيَتَوَرَّعْ عَنْ شُرْبِ الْفُقَاعِ، وَاللَّعْبِ بِالشَّطْرَنْجِ،

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١ ص ٢٦ وعلل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٤٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٦٣ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج ١ ص ٢٥٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٤ ص ٣٨٥ وج ٢٥ ص ٣٦٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٣ ص ٢٧٩ وج ١٧ ص ٢٩٠ والنوادر ص ٢٣٢ ومشكاة الأنوار ص ٥٦١ والجواهر السنية ص ٣٤٣ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٢٧٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٢٤٣.

وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْفُقَاعِ أَوْ إِلَى الشَّطْرَنْجِ فَلْيَذْكُرِ الْحُسَيْنَ «عليه السلام»،
وَلْيَلْعَنَ يَزِيدَ وَآلَ زِيَادٍ، يَمْحُو اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ بِعَدَدِ
النُّجُومِ^(١).

٣ - كَانَ يَزِيدُ يَتَّخِذُ مَجَالِسَ الشَّرَابِ، وَاللَّهْوِ، وَالْقِيَانِ، وَالطَّرَبِ،
وَيُحْضِرُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» بَيْنَ يَدَيْهِ^(٢).
ونقول:

لا حياة لمن تنادي:

لقد كان ما مر بيزيد، وما سمعه من الإمام السجاد ومن زينب
«عليهما السلام» منذ وصل الرأس الشريف والسبايا إلى دمشق - كان
- يكفي لأخذ العبرة، وإعادة النظر في ما هو فيه من طيش ومجون،

-
- (١) من لا يحضره الفقيه (ط جماعة المدرسين) ج ٤ ص ٤١٩ و عيون أخبار
الرضا ج ٢ ص ٢٢ و (ط الأعلمي) ج ٢ ص ٢٥ و جامع الأخبار ص ٤٣٢
ح ١٢٠٨ والدعوات للراوندي ص ١٦٢ و بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧٦
وج ٦٣ ص ٤٩٢ وج ٧٦ ص ٢٣٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١٥
ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٥ ص ٣٦٣ و (الإسلامية) ج ١٧ ص ٢٩٠
ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٤٨ والوافي ج ٢٠ ص ٦٦٥.
(٢) مثير الأحزان ص ١٠٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٢ وراجع: بحار
الأنوار ج ٤٥ ص ١٤١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٤٢ والملهوف
ص ٢٢٠ و (نشر أنوار الهدى) ص ١١٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢
ص ٧٢ عن محمد ابن الحنفية، وزيد بن علي.

وتهتك، أو على أقل تقدير كان ينبغي أن يجعل يزيد يمسك عن هذه التصرفات الرعناء التي كان يحرص عليها.

كما أن الحجج التي سمعها وعجز عن الإجابة على أي منها، كان يتوقع أن تجعله يخجل من نفسه من متابعة هذه التعدييات على جلال وقدسية الإمام الشهيد «صلوات الله عليه».

ولكن السيدة زينب «عليها السلام» قد وضعت إصبعها على الجرح حين قالت: إن هذا العتو والطغيان، وشدة العداوة لرسول الله هو نتيجة خلال الكفر.

وهذا ما دل عليه قوله تعالى: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)^(١).

وهذا يدلنا على أن زينب كانت تعلم: بأن يزيد لن يتأثر بكل ما قيل، ولكنها أرادت للناس أن يسمعوا ويعوا، وأن يروا بأمر أعينهم كيف يتحقق مصداق الآية الكريمة، ويتجسد في يزيد، فكلما جار على طريقة: إياك أعني واسمعي يا جارة.

أما يزيد، فهو ميت القلب، فاقد لكل معاني الخير، فالكلام معه كالكلام مع الأموات، وقد قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(١) الآية ١٠ من سورة الروم.

الفقاع شراب أعدائنا:

- ١ - وقد تضمنت الروايات المتقدمة حكماً شرعياً بالمنع من التشبيه بأعداء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في اللباس والطعام...
ومن الواضح: أنه ليس المراد بالتشبيه هو المحاكاة في الأمور المشروعة، والراجحة بنظر الشارع، فإن فعل هذه الأمور إنما هو طاعة لأمر الشارع، والتماس لرضاه.. إلا إذا فرض أن من يفعلها لا ينوي بفعله لا هذا ولا ذاك، وإنما يقصد إلى مجرد المحاكاة الخفية من أي مضمون، سوى تأييد أهل الباطل، وإظهار الحب لهم.
- والمقصود من التشبيه بأعدائه «صلى الله عليه وآله»:** هو محاكاتهم فيما اخترعوه، وابتدعوه لأنفسهم مما يميزهم عن غيرهم، حتى صارت تلك الأحوال شعاراً لهم، ومن خصوصياتهم، بحيث إذا لوحظت تلك الأمور، أو ذكرت انتقل الذهن إلى أولئك الأعداء.
- ٢ - قوله «عليه السلام»: «وَلَا تَطْعَمُوا مَطَاعِمَ أَعْدَائِي» يشهد لما قلناه، من أن المراد: هو المطاعم المحرمة، مثل أكل الميتة، وشرب المسكرات، ومنها الفقاع.
- ٣ - قوله: «وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ أَعْدَائِي» يراد التشبيه بهم في الحركات والأفعال، كاستماع اللهو، والتحايا بالشراب المحرم، كما يفعل الفساق في شربهم الأنخاب. وكذلك عقد مجالس الرقص واللهو والمجون، وسواها.

الشراب المبارك:

١ - ولا ندري كيف يكون المسكر الذي حرمه الله - كالفقاع - شراباً مباركاً، تلتمس الرحمة والنماء والخير فيه ومنه، كما يدعيه يزيد!!

٢ - وما الذي أوجب الوجل والقلق لدى يزيد، حتى يكون قتل الحسين «عليه السلام» من موجبات سكون نفسه، واطمئنان قلبه، وهل ومتى أخافه الحسين، أو هده، أو جمع الجيوش لحربه حتى يقلق ويأرق؟!

٣ - ما هذا القلب القاسي ليزيد، حتى إنه ليحضر رأساً مقطوعاً في مجلس لهوه وطربه، ولعبه، وشربه..

٤ - والأنكى من ذلك: أنه يلعب بالشطرنج فوقه.

٥ - أن يذكر الحسين بن علي وأباه وجده «صلى الله عليه وآله»، ويستهزئ بذكرهم. ولا ندري ما العيب أو العيوب التي وجدها في شخصيات هؤلاء الثلاثة، مما يبرر هذا الاستهزاء.

٦ - لنفترض: أنه كان يخشى من الإمام الحسين على ملكه، ولو بأن يجمع الناس لقتاله، وهذا ما لم يحدث، فما الذي كان يخشاه من علي «عليه السلام»، ومن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

رأس اليهود يسلم ويستشهد:

١ - [النَّفَتَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَكَانَ حَاضِرًا [أَيَّ عِنْدَ يَزِيدَ]،

فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْعَلَامُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟!

فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُ الرَّأْسِ هُوَ أَبُوهُ.

قَالَ: وَمَنْ هُوَ صَاحِبُ الرَّأْسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟!

قَالَ: الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ فَمَنْ أُمُّهُ؟

قَالَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ.

فَقَالَ الْحَبَرُ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ قَتَلْتُمُوهُ فِي هَذِهِ السَّرْعَةِ! بِئْسَ مَا خَلَقْتُمُوهُ فِي دُرِّيَّتِهِ، وَاللَّهِ لَوْ خَلَفَ فِينَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ سَبَطًا مِنْ صُلْبِهِ، لَكُنَّا نَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ! وَأَنْتُمْ إِنَّمَا فَارَقْتُمْ نَبِيِّكُمْ بِالْأَمْسِ، فَوَتَّبِعْتُمْ عَلَى ابْنِ نَبِيِّكُمْ فَقَتَلْتُمُوهُ! سَوَاءٌ لَكُمْ مِنْ أُمَّةٍ.

قَالَ: فَأَمَرَ يَزِيدُ بَكْرٌ^(١) فِي حَلْقِهِ، فَقَامَ الْحَبَرُ وَهُوَ يَقُولُ: إِنْ شِئْتُمْ فَاضْرِبُونِي، أَوْ قَاتِلُونِي، أَوْ قَرِّرُونِي، فَإِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَةِ: أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ دُرِّيَّةَ نَبِيٍّ لَا يَزَالُ مَغْلُوبًا أَبَدًا مَا بَقِيَ، فَإِذَا مَاتَ يُصَلِّيهِ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ^(٢).

(١) الكُرُ: الحَبَلُ الغليظ. لسان العرب ج ٥ ص ١٣٦ مادة «كرر». وفي بحار

الأنوار: «فأمر به يزيد لعنه الله فوجيء في حلقة ثلاثاً، فقام...».

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٣٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧١

والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٧ كلاهما نحوه، وفيهما «ملعوناً» بدل

«مغلوباً»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧

٢ - عن سليمان بن مهران الأعمش عن رجل: دَخَلَ عَلَيْهِ [أَي عَلَى
يَزِيدَ] رَأْسُ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الرَّأْسُ؟!

فَقَالَ: رَأْسُ خَارِجِيٍّ.

قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟

قَالَ: الْحُسَيْنُ.

قَالَ: ابْنُ مَنْ؟

قَالَ: ابْنُ عَلِيٍّ.

قَالَ: وَمَنْ أُمُّهُ؟

قَالَ: فَاطِمَةُ.

قَالَ: وَمَنْ فَاطِمَةُ؟

قَالَ: بِنْتُ مُحَمَّدٍ.

قَالَ: نَبِيُّكُمْ؟!

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَا جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا، بِالْأَمْسِ كَانَ نَبِيُّكُمْ، وَالْيَوْمَ قَتَلْتُمُ ابْنَ بِنْتِهِ!
وَيَحْكُ إِنِّي بَيْنِي وَبَيْنَ دَاوُدَ النَّبِيِّ نَيْفًا وَسَبْعِينَ أَبًا، فَإِذَا رَأَتْنِي الْيَهُودُ
كَفَّرَتْ (١) لِي. ثُمَّ مَالَ إِلَى الطَّشْتِ، وَقَبَّلَ الرَّأْسَ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ

ص ٤٤٠.

(١) التكفير: هو أن ينحني الإنسان ويطأ رأسه قريباً من الركوع. راجع:

النهاية ج ٤ ص ١٨٨ مادة «كفر».

إِلَّا اللَّهَ، وَأَنَّ جَدَّكَ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَخَرَجَ.
فَأَمَرَ يَزِيدُ بِقَتْلِهِ^(١).

ونقول:

لعل هذين النصين بصدد تقرير قصة واحدة جرت بين يزيد وبين
حبر يهودي، كان رأس اليهود في الشام. مع ملاحظة قلة عدد اليهود في
تلك المناطق في ذلك الزمان، ولكن رؤساءهم كانوا يتوددون للحكام،
ويحضرون مجالسهم.

ويلاحظ: أن مصير هذا اليهودي كان هو القتل، كما أن مصير
رسول ملك الروم - وكان هذا الرسول نصرانياً - كان أيضاً القتل.
وذلك بسبب موقفهما الصريح والحاد تجاه هذه الجريمة الكبرى..
وكنا نتوقع أن نجد بين المسلمين المئات من المعترضين على يزيد
بحدة أكثر، وحنق أكبر، وأن يقتلهم يزيد وابن زياد بسبب ذلك..
ولكننا وبالأسف لم نر لأمنيتنا هذه حظاً في الموقف أو
الخطاب، ولا محلاً من الإعراب.

رسول ملك الروم:

١ - عن محمد ابن الحنفية، عن علي بن الحسين زين العابدين

(١) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٨٧ والعوالم،
الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٠١ وراجع: مدينة المعاجز ج ٤ ص ١٠٤ والدر
النظيم ص ٥٦٤.

«عليه السلام»: لَمَّا أَتَى بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى يَزِيدَ كَانَ يَتَّخِذُ مَجَالِسَ الشُّرْبِ، وَيَأْتِي بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَشْرَبُ عَلَيْهِ.

فَحَضَرَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَحَدِ مَجَالِسِهِ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ الرُّومِ وَعُظَمَائِهَا، فَقَالَ: يَا مَلِكَ الْعَرَبِ، رَأْسُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: مَا لَكَ وَلِهَذَا الرَّأْسُ؟

فَقَالَ: إِنِّي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَلِكِنَا يَسْأَلُنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَهُ بِقِصَّةِ هَذَا الرَّأْسِ وَصَاحِبِهِ، لِيُشَارِكَكَ فِي الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

فَقَالَ يَزِيدُ: هَذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ: وَمَنْ أُمُّهُ؟

قَالَ: فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ.

قَالَ: بِنْتُ مَنْ؟

قَالَ: بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ.

فَقَالَ الرَّسُولُ: أَفَّ لَكَ وَلَدِينِكَ، مَا دِينُ أَحْسَنُ مِنْ دِينِكَ، اعْلَمْ أَنِّي مِنْ أَهْلِ دَاوُدَ «عليه السلام» وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ آبَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَالنَّصَارَى يُعَظِّمُونَنِي، وَيَأْخُذُونَ الثَّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيَّ تَبَرُّكًا، لِأَنِّي مِنْ أَهْلِ دَاوُدَ «عليه السلام»، وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أُمٌّ وَاحِدَةٌ! فَأَيُّ دِينٍ هَذَا؟

ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ: يَا يَزِيدُ، هَلْ سَمِعْتَ بِحَدِيثِ كَنِيسَةِ الْحَافِرِ؟
فَقَالَ يَزِيدُ: قُلْ حَتَّى أَسْمَعَ.

فَقَالَ: إِنَّ بَيْنَ عُمانَ وَالصَّيْنِ بَحْرٌ مَسِيرَتُهُ سَنَةٌ، لَيْسَ فِيهِ عُمَرَانُ
إِلَّا بَلَدَةٌ وَاحِدَةٌ فِي وَسْطِ الْمَاءِ، طَوْلُهَا ثَمَانُونَ فَرَسَخًا، وَعَرْضُهَا كَذَلِكَ،
مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَلَدَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا.

وَمِنْهَا يُحْمَلُ الْكَافُورُ، وَالْيَاقُوتُ، وَالْعَنْبَرُ، وَأَشْجَارُهُمُ الْعُودُ، وَهِيَ
فِي أَيْدِي النَّصَارَى لَا مَلِكَ لِأَحَدٍ فِيهَا مِنَ الْمُلُوكِ.

وَفِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ كَنَائِسُ كَثِيرَةٌ أَعْظَمُهَا كَنِيسَةُ الْحَافِرِ، فِي مِحْرَابِهَا
حَقَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٌ فِيهَا حَافِرٌ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ حَافِرُ حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ عِيسَى
«عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَقَدْ زُيِّنَتْ حَوَالِي الْحَقَّةِ بِالذَّهَبِ، وَالْجَوَاهِرِ، وَالذَّبِياجِ
وَالْأَبْرِيسَمِ.

وَفِي كُلِّ عَامٍ يَقْصُدُهَا عَالَمٌ مِنَ النَّصَارَى، فَيَطُوفُونَ حَوْلَ الْحَقَّةِ
وَيَزُورُونَهَا وَيُقْبِلُونَهَا، وَيَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِبِرْكَتِهَا.
هَذَا شَأْنُهُمْ وَدَأْبُهُمْ بِحَافِرِ حِمَارٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ حَافِرُ حِمَارٍ كَانَ
يَرْكَبُهُ عِيسَى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» نَبِيُّهُمْ، وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ! لَا
بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، وَلَا فِي دِينِكُمْ.

فَقَالَ يَزِيدُ لِأَصْحَابِهِ: أَقْتُلُوا هَذَا النَّصْرَانِيَّ؛ فَإِنَّهُ يَفْضَحُنَا إِنْ رَجَعَ
إِلَى بِلَادِهِ، وَيُشَتِّعُ عَلَيْنَا.

فَلَمَّا أَحَسَّ النَّصْرَانِيُّ بِالْقَتْلِ، قَالَ: يَا يَزِيدُ، أَتُرِيدُ قَتْلِي؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَاعْلَمْ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ نَبِيَّكُمْ فِي مَنَامِي وَهُوَ يَقُولُ لِي: يَا نَصْرَانِيَّ، أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَعَجِبْتُ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى نَالَني هَذَا، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْسَ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ يَبْكِي، حَتَّى قُتِلَ^(١).

أضاف الخوارزمي هنا قوله: «وروى مجد الأئمة السرخسي عن أبي عبد الله الحداد: أَنَّ النَّصْرَانِيَّ اخْتَرَطَ سَيْفًا، وَحَمَلَ عَلَى يَزِيدَ لِيُضْرِبَهُ، فَحَالَ الْخَدَمُ بَيْنَهُمَا وَقَتْلُوهُ وَهُوَ يَقُولُ: الشَّهَادَةُ، الشَّهَادَةُ»^(٢).
٢ - عن عبيد بن عمير: كَانَ رَسُولُ قَيْصَرَ^(٣) حَاضِرًا عِنْدَ يَزِيدَ، فَقَالَ لِيَزِيدَ: هَذَا رَأْسُ مَنْ؟!

فَقَالَ: رَأْسُ الْحُسَيْنِ.

قَالَ: وَمَنْ الْحُسَيْنُ؟

قَالَ: ابْنُ فَاطِمَةَ.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٢ والملهوف ص ٢٢٠ و (نشر أنوار الهدى) ص ١١٠ ومثير الأحزان ص ١٠٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٢ من دون إسنادٍ إلى أحدٍ من أهل البيت «عليهم السلام» وكلاهما نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٤٢ وراجع: الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨١.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧٢.

(٣) قَيْصَرَ: لَقَبُ مَنْ مَلَكَ الرُّومَ. راجع: القاموس المحيط ج ٢ ص ١١٨ مادة «قصر».

قال: وَمَنْ فَاطِمَةُ؟

قال: بِنْتُ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله».

قال: نَبِيُّكُمْ؟

قال: نَعَمْ.

قال: وَمَنْ أَبُوهُ؟

قال: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

قال: وَمَنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟

قال: ابْنُ عَمِّ نَبِيِّنَا.

فَقَالَ: تَبَّأَ لَكُمْ وَلِدِينِكُمْ، مَا أَنْتُمْ وَحَقَّ الْمَسِيحِ عَلَى شَيْءٍ، إِنَّ عِنْدَنَا فِي بَعْضِ الْجَزَائِرِ دَيْرًا فِيهِ حَافِرُ حِمَارٍ رَكِبَهُ عِيسَى السَّيِّدُ الْمَسِيحُ «عليه السلام»، وَنَحْنُ نَحُجُّ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَنَنْذِرُ لَهُ التُّذُورَ، وَنُعَظِّمُهُ كَمَا تُعَظِّمُونَ كَعَبَتَكُمْ، فَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ، ثُمَّ قَامَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ^(١).

ونقول:

هل هما حادثة واحدة؟!:

١ - قد يقال: إن هذين النصين يحكيان قصة واحدة جرت لرسول ملك الروم.

(١) تذكرة الخواص (ط النجف) ص ٢٦٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨٩ عن التبر المذاب (مخطوط) ص ٨٨.

ولكننا نرى: أن الاختلاف الظاهر بين الأحداث، يعطي: أنهما قصتان مختلفتان.

٢ - عن رسول ملك الروم نقول: لا مانع من أن يكون ملك الروم قد أرسل رسولاً إلى يزيد، ثم استجد أمر آخر بعد أيام، فأرسل رسولاً آخر إليه، وكانت لكل منهما قصته مع الرأس الشريف، وانتهى الأمر بأحدهما إلى القتل والشهادة، وبالأخر إلى مغادرة مجلس يزيد، ولم يعد إليه بعد ذلك.

ما دين أخس من دينك:

إن ما قالته الرواية الأولى، من أن النصراني قال ليزيد: ما دين أخس من دينكم.

وفي الرواية الثانية: أنه قال: «تَبَّأَ لَكُمْ وَلِدِينِكُمْ». كذلك قوله: «لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، وَلَا فِي دِينِكُمْ».. لا يمكن قبوله، فإن ما يفعله الظالمون والعصاة لا يمكن أن يكون دليلاً على أن الدين الحاكم في تلك البلاد هو أخس الأديان، لأن الطغاة لا يلتزمون بأحكام الدين، لتكون أفعالهم معبرة عنه، وليصح معرفة صحته وعدمها من خلالهم.

إلا أن كان يريد: أن التزامهم بالدين هو في أدنى وأخط الدرجات.

وقد يشهد لذلك: قوله في الرواية الثانية: «ما أنتم وحق المسيح على شيء»، ومثل قوله: «فأشهد أنهم على باطل» إن كان المراد به أن أشخاصاً بأعيانهم، مثل يزيد لم يلتزموا بأحكام الدين، ولا استجابوا

للشريعة.

الفضيحة في بلاد الروم:

وقد لفت نظرنا: قول يزيد: إنه يخشى من أن يفضحه النصراني، ويشنع عليه في بلاد الروم، فقتله لأجل ذلك.

وبالرغم من أن هذا من قبيل القصاص قبل الجناية، فإن من الواضح: أن خبر قتل الحسين «عليه السلام» لا بد أن ينتشر في البلاد، ويصل إلى جميع الأقطار بما فيها بلاد القيصر أيضاً.. ولا بد أن يتسبب قتل رسول قيصر بسرعة انتشار هذا الخبر في قومه، ولا سيما إذا علم سبب قتله.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

٥	الفصل الثالث: هل كان الحر مرتدًا؟!
١٨	الفصل الرابع: دفن الرؤوس
٥٦	الباب الثالث: إلى الشام
٥٨	الفصل الأول: أحداث في طريق الشام
٨٠	الفصل الثاني: من الكوفة إلى الشام
١٠٨	الفصل الثالث: كرامات ومزارات
١٣٧	الفصل الرابع: السبايا في الشام
١٧١	الفصل الخامس: من درج المسجد .. إلى مجلس يزيد
٢٠٨	الباب الخامس: ماذا جرى في الشام؟!
٢١٠	الفصل الأول: قرع الثنايا
٢٣١	الفصل الثاني: المعترضون على يزيد
٢٥٧	الفصل الثالث: يزيد: لم أعلم بقتل الحسين!!
٢٧٦	الفصل الرابع: العزاء في بيت يزيد
٢٨٩	الفصل الخامس: هو المتكلم
٣١٨	الفصل السادس: مما جرى في الشام
٣٦٣	الفهارس
٣٦٥	الفهرس الإجمالي
٣٦٧	الفهرس التفصيلي

الفهرس التفصيلي

٥	الفصل الثالث: هل كان الحر مرتدًا؟!
٧	الأسد الذي هو علي X:
٨	دفن الحر في موضع قتله:
٩	قبر الحر لا يزار لماذا؟!:
١٣	رواية مكذوبة:
١٥	أول زائر للحسين X:
١٨	الفصل الرابع: دفن الرؤوس
٢٠	بداية:
٢١	رؤوس الشهداء ورأس الحسين X:
٢٤	نصوص لا تذكر رؤوس الشهداء:
٢٧	دفن الرؤوس في باب الصغير:
٣٠	أين دفن رأس الحسين؟!:
٣٠	ألف: أقوال غير الشيعة:
٣١	ب: أقوال الشيعة:
٣١	وقفات مع أقوال غير الشيعة:
٣٢	دفن في المدينة:

- ٣٤ الرأس في الشام:
- ٣٥ في مسجد الرقة:
- ٣٦ في خزاين السلاح:
- ٣٩ إلى عسقلان.. ثم إلى مصر:
- ٤٠ في النجف، أو بين الحيرة والنجف؟! :
- ٤٦ القول الأمثل: الرأس في كربلاء:
- ٥٠ الرواية في كلام ابن طاووس:
- ٥٠ كيف نوفق بين النصوص؟! :
- ٥٢ البريد وسيلة سريعة:
- ٥٢ في أي مكان في الشام؟! :
- ٥٦ الباب الثالث: إلى الشام.. ..
- ٥٨ الفصل الأول: أحداث في طريق الشام:
- ٦٠ السبايا إلى الشام:
- ٦٠ سبايا أهل البيت فقط:
- ٦٢ الطريق إلى الشام:
- ٦٣ لماذا هذا الطريق؟! :
- ٦٧ طريق عودة السبايا:
- ٦٩ شواهد ومؤيدات:
- ٧٣ أهل الكوفة يودّعون السبايا:

- ٧٥ السجاد x في وداع أهل الكوفة:
- ٧٧ ابن زياد يقترض تكاليف السفر:
- ٧٨ توضيحات:
- ٨٠ الفصل الثاني: من الكوفة إلى الشام..
- ٨٢ الإنطلاق من الكوفة:
- ٨٥ شدائد الطريق:
- ٩٠ الأغلال للإذلال:
- ٩٣ إنفاذ رأس الحسين أولاً:
- ٩٣ صمت الإمام زين العابدين x:
- ٩٥ رواة الكرامات وكثرة المزارات:
- ٩٧ مكشفات الوجوه والرؤوس (الشعور):
- ٩٨ اغفر لي، وما أراك فاعلاً:
- ١٠٠ اليأس من رحمة الله:
- ١٠١ كنا خمسين نفرأ:
- ١٠٢ لم تذكر الرواية موسى وعيسى ':
- ١٠٤ إن لهم معي موقفاً:
- ١٠٨ الفصل الثالث: كرامات ومزارات
- ١١٠ كرامات في الأديرة والكنائس:
- ١١٤ رهبان ويهود يسلمون:

- ١١٩ نظرة في حديث اليهودي:
- ١٢٠ راهب قنسرين:
- ١٢٠ النور يصعد من فيه!!:
- ١٢١ الدراهم تصير حجارة:
- ١٢٢ لعلها أكثر من قضية:
- ١٢٢ عمر بن سعد لم يكن مع الركب:
- ١٢٣ العهدة على الراوي:
- ١٢٨ قرائن ودلالات أخرى:
- ١٣٠ حدث.. ومزار:
- ١٣٠ ١ - مشهد النقطة في حلب:
- ١٣١ ٢ - مشهد السقط في حلب!:
- ١٣١ ٣ - مشهد محسن، ومشهد الحسين:
- ١٣٣ ٤ - مشهد النقطة بنصيبين:
- ١٣٣ ٥ - مشهد الرأس بنصيبين:
- ١٣٤ ٦ - مشهد مسقط الرأس بنصيبين:
- ١٣٧ الفصل الرابع: السبايا في الشام..
- ١٣٩ على أبواب دمشق:
- ١٤٠ إشارات ولفقات:
- ١٤٢ السبايا، أو السبايا والرؤوس؟!:

- ١٤٣ يزيد يتلقى السبي والرؤوس:
- ١٤٥ سهل بن سعد في الطريق:
- ١٤٧ خزيينا من كثرة النظر إلينا:
- ١٤٨ ماذا عن كشف الوجه؟! :
- ١٥٢ من أي باب دخلوا دمشق؟! :
- ١٥٢ المستقبلون في الخارج والداخل:
- ١٥٣ رأس الحسين x يتكلم:
- ١٥٧ أعجب من أصحاب الكهف:
- ١٦٠ على درج الأذايا والشماتة:
- ١٦١ أشرار أهل الذمة:
- ١٦٢ إذا بكت فالطموها! :
- ١٦٣ هل قرأت هذه الآية يا شيخ؟! :
- ١٧١ الفصل الخامس: من درج المسجد.. إلى مجلس يزيد.....
- ١٧٣ من الذي قدم بالرأس الشريف؟! :
- ١٧٦ هكذا جرت الأمور:
- ١٧٧ أحمق الناس:
- ١٧٨ من الذي لم يقرأ آية الملك؟! :
- ١٨٠ يزيد يكذب في شعره:
- ١٨١ التزوير في خطوط متناقضة ومتوازية:

- زحر حامل الخبر إلى يزيد: ١٨٢
- الحسين X شبيه الرسول ﷺ: ١٨٥
- شيطنة يزيد: ١٨٧
- يزيد يستشير النعمان بن بشير: ١٨٩
- إملاً ركابي فضة وذهباً: ١٩٢
- عذر أقبح من ذنب: ١٩٤
- طشت من ذهب: ١٩٦
- يزيد يخترع ويكذب، ويخدع أهل الشام: ١٩٨
- التلاعب بالنص: ٢٠١
- مع القاضي النعمان: ٢٠٣
- لعلهما حادثتان: ٢٠٤
- القاضي النعمان أصاب: ٢٠٥
- الباب الخامس: ماذا جرى في الشام؟! ٢٠٨
- الفصل الأول: قرع الثنايا.. ٢١٠
- ترتيب المطالب: ٢١٢
- زينب رأت الرأس في مجلس الطاغية: ٢١٣
- هل شقت زينب جيبها؟! : ٢١٧
- أشياخ يزيد.. وقرع الثنايا: ٢١٨
- بذاك الشيخ أوصاني: ٢٢٤

- يزيد لا يعرف مقدار سن الإمام: ٢٢٤
- العشائرية مرفوضة: ٢٢٥
- كفر يزيد: ٢٢٦
- بأي رواية نأخذ؟! : ٢٢٨
- الفصل الثاني: المعترضون على يزيد.. ٢٣١
- الإعتراضات على يزيد: ٢٣٣
- ١ - إعتراض أبي برزة الأسلمي: ٢٣٣
- إعتراضات بالجملة: ٢٤٠
- ٢ - سمرة بن جندب يعترض على يزيد: ٢٤١
- ٣ - زيد بن أرقم: ٢٤٦
- ٤ - النعمان بن بشير: ٢٤٨
- ٥ - يحيى بن الحكم: ٢٤٨
- ٦ - عبد الرحمان بن الحكم: ٢٤٨
- ٧ - الحسن المثنى: ٢٥٠
- زيد بن أرقم شيخ خرف: ٢٥١
- ردود يزيد: تنوع، واختلاف: ٢٥٢
- إختلالات في الأشعار: ٢٥٤
- الفصل الثالث: يزيد: لم أعلم بقتل الحسين!! ٢٥٧
- في مواجهة يزيد: ٢٥٩

- الأسرى من الرجال: ٢٦١
- أسماء متيقنة أو مشكوكة: ٢٦٣
- في الأغلال أو في الحبال: ٢٦٤
- النساء خلف سرير يزيد: ٢٦٥
- امتنع من أكل الرؤوس: ٢٦٥
- لا تقل هجراً؟! : ٢٦٦
- يزيد يدين نفسه: ٢٦٩
- أمر بالحبال فقطعت: ٢٧٢
- عبيد أهل العراق: ٢٧٢
- ما علمت بخروج أبي عبد الله، ولا بقتله: ٢٧٤
- الفصل الرابع: العزاء في بيت يزيد ٢٧٦
- الهاشميات في بيت يزيد!! : ٢٧٨
- إعترض يزيد على ابنته: ٢٨١
- هل هذه مبالغات؟! : ٢٨٢
- هل هذا استهزاء؟! : ٢٨٤
- عجل عليه ابن زياد: ٢٨٥
- هل هي قضية أموال؟! : ٢٨٦
- إذا قضى الله أمراً: ٢٨٧
- لماذا سكينه؟! : ٢٨٧

- ٢٨٩ الفصل الخامس: هو المتكلم.
- ٢٩١ نبذة من مواقف السجاد X:
- ٢٩٨ الأدب الزينبي:
- ٢٩٩ هو المتكلم:
- ٣٠١ ولا نلومكم إن لم تحبونا:
- ٣٠٢ أرادا أن يكونا أميرين:
- ٣٠٣ من الذي أذله الله؟!:
- ٣٠٤ الإمرة في آباء وأجداد الحسين X:
- ٣٠٥ أبشر بالخزي والندامة:
- ٣٠٥ لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم:
- ٣٠٩ السجاد غلام قد بلغ:
- ٣١٠ أبوك جهل حقي، ونازعني سلطاني:
- ٣١٣ نتيجة الاختبار:
- ٣١٥ من يردّ بنات الرسول؟!:
- ٣١٦ لفت نظر:
- ٣١٨ الفصل السادس: مما جرى في الشام.
- ٣٢٠ ليس ذلك لك، ولا لأميرك:
- ٣٢٥ الأفراح وصلب الرأس في دمشق:
- ٣٣٠ حراب الملائكة:

- روايتان، أو رواية واحدة؟! ٣٣٢
- توضيح لا بد منه: ٣٣٢
- قتل الخمسين رجلاً: ٣٣٢
- تب إلى ربك: ٣٣٣
- لا أنالهم الله شفاعتي: ٣٣٤
- إن لهم بلغة وأمدًا: ٣٣٤
- موقف مروان وأخويه: ٣٣٥
- يزيد: قبح الله بن مرجانة: ٣٣٨
- يقتل أولاد الأدعياء أبناء الأنبياء: ٣٤٠
- حديث السبحة: ٣٤٢
- ما قضاه الله قبل الخلق: ٣٤٣
- جلساء فرعون أفضل: ٣٤٤
- يطاف برأس الحسين في البلدان: ٣٤٥
- رزية لا مثلها رزية: ٣٤٧
- في مجالس المجون: ٣٤٨
- لا حياة لمن تنادي: ٣٥٠
- الفقاع شراب أعدائنا: ٣٥٢
- الشراب المبارك: ٣٥٣
- رأس اليهود يسلم ويستشهد: ٣٥٣

- ٣٥٦رسول ملك الروم:
- ٣٦٠هل هما حادثة واحدة؟!:
- ٣٦١ما دين أحسن من دينك:
- ٣٦٢الفضيحة في بلاد الروم:
- ٣٦٣الفهارس:
- ٣٦٥الفهرس الإجمالي:
- ٣٦٧الفهرس التفصيلي: